وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية قسم اللغة العربية وآدابها

لغة المرأة مقاربة لسانية اجتماعية لإشكالية النوع "الجندر" في الدراسات اللغوية

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه
تخصص دراسات لغوية تطبيقية

إعداد الطالبة:
سهام لعوبي

السنة الجامعية:2018/2017

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية قسم اللغة العربية وآدابها

لغة المرأة مقاربة لسانية اجتماعية لإشكالية النوع "الجندر" في الدراسات اللغوية

تخصص: دراسات لغوية تطبيقية

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذة:

سهام لعوبي د. خولة طالب الإبراهيمي

أعضاء اللجنة المناقشة:

أ.د/ حياة أم السعد.....رئيسا

أ.د/ خولة طالب الإبراهيمي..... مقررا

أ.د/ عائشة بورغدة..... عضوا

أ.د/.فتيحة لعلاوي..... عضوا

أ.د/ انشراح سعدي ..... عضوا

أ.د/ كريمة سالمي..... عضوا

السنة الجامعية :2018/2017

شكر وتقدير

بعد رحلة بحث وجهد واجتهاد تكللت بإنجاز هذا البحث أحمد الله عز وجل على نعمه التي منّ بها عليا ، كما لا يسعني إلا أن أخص بأسمى عبارات الشكر والتقدير الأستاذة " خولة طالب الإبراهيمي" لما قدمته لي من جهد ونصح ومعرفة طيلة إنجاز هذا البحث.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدم لي العون لإنجاز هذا العمل وأخص بالذكر زملائي الأساتذة : حياة أم السعد ووحيد بن بوعزيز طيبة ميدني وصبيحة بوزكري ، انشراح سعدي ووهيبة العايب

إلى من زرعوا التفاؤل في دربي وقدموا لي المساعدات والتسهيلات فلهم مني كل الشكر

الإهداء

إلى من كان دعاؤهم سر نجاحي

إلى كل الذين أحببتهم وأحبوني أهدي هذا العمل

بـــــسم الله الرحـــــــمن الرحيــم

المقدمة

مقدمة

اللغة ظاهرة اجتماعية ومكونا من مكونات الثقافة، وهي أحد عناصر هوية المجتمع والوجه الثقافي الذي يدل على هوية الفرد، ناهيك عن كونها أداة الاتصال بين أفراد المجتمع. ودراسة اللغة في جانبها الاجتماعي أصبح له علم مستقل يعرف ب " **علم الاجتماع اللغوي** " وهو يدرس اللغة في علاقتها بالمجتمع، وينظم كل جوانب بنيتها وطرق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية، وعلاقتها بالمتكلمين من حيث الفئة الاجتماعية والمستوى المهني، والمستوى التعليمي، والجنس، وعلاقتها باللهجة والفصيلة والثنائية والتعددية اللغوية...، ومن بين كل هذه المتغيرات الاجتماعية لفت انتباهنا موضوع اللغة والجنس وبالتحديد لغة المرأة، ففي العقود الأخيرة بدأ الاهتمام بلغة المرأة ككيان مستقل متميز عن لغة الرجل، واحتلت دراسة اختلافات الجنسين اللغوية مكانا هاما في حقول الدراسات الاجتماعية واللغوية عند علماء الغرب، فتعددت الأعمال التي تناولت الموضوع، خاصة بظهور الحركات النسوية وتطور مفهوم النوع الاجتماعي أو ما يعرف بالجندر الذي هو بنية اجتماعية تعرف الأفكار ونظم الاعتقاد والمواقف والصور والقيم والتوقعات للرجل والمرأة في المجتمع، ويشمل التحول في المواقف والممارسات في كافة المجتمعات، ويشير إلى كفاح المرأة من أجل تغيير الأوضاع غير المتساوية بينها وبين الرجل، ويطرح أفكار دعت إلى المساواة بين الجنسين وتحرير المرأة، والقضاء على أشكال التحيّز اللغوي للذكور، وتطلع إلى لغة محايدة تمثل الجنسين معا.

وباطلاعنا على ما كتب عن السلوك اللغوي واختلاف الجنسين وجدنا أن معظم ما كتب كان يخص المجتمعات الغربية وطبق على لغاتها، ولم تحض اللغة العربية إلا نادرا بهذا النوع من الدراسات التي تحدد حقيقة الفروق اللغوية بين الجنسين، وتسعى للتحقق من التحيز اللغوي والعوامل التي تسهم في تشكله.

وركزنا في بحثنا هذا على دراسة لغة المرأة الجزائرية والعوامل المؤثرة فيها من مجتمع وعادات وتقاليد وثقافة وسياسة وقانون وإعلام، وهو موضوع لم يدرس من قبل على

حسب علمنا، فمعظم الدراسات التي تناولت المرأة ركزت على اللغة في الجانب الأدبي (المرأة المبدعة، أو بصفتها موضوع كتابة وإبداع) ولم تتناول الأبعاد الأخرى، لذلك أردنا أن نسهم بهذا العمل لمعرفة خصوصيات لغة المرأة عامة والمرأة الجزائرية خاصة ولفتح المجال أمام المهتمين بهذا النوع من الدراسات للبحث والدراسة.

وكان هدفنا من هذا البحث هو الإجابة عن إشكال مفاده:

ما مدى انتشار مفهوم النوع الاجتماعي في المجتمع الجزائري؟ وما موقع المرأة (الجزائرية) في اللغة؟

إن الإجابة عن هذا الإشكال وفك مغاليقه تقودنا ــ حتما ــ إلى التساؤلات التالية:

ــ هل هناك حقا لغة نسائية ؟ وإن كانت، بما تتميز هذه اللغة؟ وما هي حقيقة الفروق اللغوية بين الجنسين، وما العوامل التي تسهم في تشكلها ؟ هل يمكن لمقاربة النوع الاجتماعي "الجندر" أن تنصف المرأة لغويا؟

ــ هل اللغة العربية متحّيزة؟ أم أن مستعمليها متحيزون؟ وما هي العوامل التي تسهم في هذا التحيّز؟

ــ ما هي مميزات لغة المرأة الجزائرية ؟ وما هي العوامل المؤثرة فيها؟

تشكل بحثنا من ثلاثة فصول، بحثنا في الفصل الأول عن العوامل المؤثرة في لغة المرأة من مجتمع وثقافة ودين وسياسة وقانون وإعلام وغيرها، وأرفقنا هذا البحث باستبيان ليرصد تأثير هذه العوامل في لغتها.

وتناولنا في الفصل الثاني الانتفاضة النسوية في القرن العشرين من خلال البحث في تاريخ الحركات النسوية في العالم الغربي وفي الوطن العربي وفي الجزائر، وفي البحث عن نهضة المرأة العربية والجزائرية التي ظهرت في كتاباتها، ونقدها، وخطابها. كما تتبعنا في الفصل الثالث الخصائص اللغوية التي تميز لغة المرأة والتي وضعها الدارسون، من خلال تتبع لغة الحديث اليومي ووسائل الاتصال غير اللفظية، ووقفنا عند فكرة التحيز اللغوي بدراسة موقع المرأة في اللغة العربية بين مؤيد لتحيز اللغة للرجل على حساب المرأة ومعارض لذلك.

اعتمدنا في بحثنا هذا على منهج الدراسات التطبيقية القائم على وصف الظواهر وتحليلها، وتنوعت مصادر ومراجع دراستنا بين القديم والحديث، لمعرفة أنظار القدماء

والمحدثين في بحث المسألة وشملت العديد من التخصصات لتقاطعها مع مسلكنا، كما ضمت العديد من المراجع الأجنبية لأن أغلب الدراسات التي تناولت موضوع بحثنا كانت في لغات أخرى.

وفي الأخير أملنا أن يفلح هذا العمل في الإحاطة ببعض جوانب هذا الموضوع، وأن يكون مساهمة في الدرس اللغوي الاجتماعي في الجزائر.

الفصل الأول

العوامل المؤثرة في لغة المرأة

(الأبعاد المختلفة لتشكل التصورات النوعية)

1ــ المبحث الأول: المجتمع والمرأة: تحديد الأدوار والمواضع.

2 ــ المبحث الثاني:المرأة في الموروث الإنساني.

3 ــ المبحث الثالث: المرأة والمعيار الديني والإيديولوجي.

4ــ المبحث الرابع: النظرة الجنسية للمرأة.

5ــ المبحث الخامس: المرأة والخطاب القانوني والسياسي.

6ــ المبحث السادس: المرأة في الخطاب الإعلامي.

شغل موضوع المرأة على مر العصور فكر العلماء في شتى مجالات المعرفة فكرّسوا له فصولا في مؤلفاتهم، وتطرق الجميع لهذا الموضوع من زاويته، فنجد الأمر قد شغل فكر أهل اللغة والأدب وعلم الاجتماع والتربية والدين وحتى الإعلام والسياسة...

والمتتبع لهذه المؤلفات يلحظ وضع المرأة في صورة نمطية سلبية، وتوقعات جاهزة قائمة على معتقدات عديدة أهمها القيم والأفكار المتوارثة والمتراكمة عبر العصور المختلفة حتى أصبحت الإطار المرجعي للنظر في قضايا المرأة وكل ما يتعلق بها في المجتمع ولعل ما يهمنا في هذا المقام الجانب اللغوي أو لغة المرأة التي تبلورت حولها أفكار ورؤى متنوعة وتأثرت بدورها بعوامل عديدة جعلتها لغة خاصة ومختلفة، وسوف نتطرق في هذا الفصل لأهم هذه العوامل وننظر في تأثيرها على لغة المرأة وخطابها، فالمرأة بخصائصها وطبيعتها المختلفة هي نتيجة لاشتراط راجع لتاريخها ولظروفها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .....ولا يستند إلى أي أساس بيولوجي أو ذهني، فمنذ البداية حرمت المرأة في المجتمع من كل فرص الارتقاء النفسي والذهني، وكل فرص التقدم المهني من خلال حبسها في البيت، بينما احتفظ الرجل بالأعمال ذات القيمة بحجة أنه كاسب القوت، ومنه جاء مفهوم النوع الاجتماعي" الجندر" الذي يهدف إلى طرح موضوع العلاقة بين الجنسين على مستوى المكانات والأدوار الاجتماعية بموضوعية وعلمية تهدف إلى تجاوز التمييز خاصة، وقد دلت الدراسات والبحوث على أن إقصاء المرأة عن الإسهام بدور اجتماعي مماثل لدور الرجل في تنمية المجتمع وتقدمه له تأثير سلبي على المرأة وعلى المجتمع، إذا يسعى الجندر إلى أن لا يكون هناك تمايز واختلاف بين الأفراد على أساس الجنس، وأن تكون مساواة في الفرص والواجبات في الحياة العملية بل وفي كل نشاط من أنشطة الحياة المختلفة .

الـمـ بحثالأول:

ــ المجتمع والمرأة: تحديد الأدوار والمواضع

1 ــ النوع الاجتماعي (الجندر)

2 ــ المرأة في المجتمعات العربية

3 ــ المرأة في المجتمع الجزائري

4 ــ اللغة ظاهرة اجتماعية

5 ــ أثر الثقافة في تحديد دور المرأة

ـ المجتمع والمرأة: تحديد الأدوار والمواضع

انشغل عدد من الدارسين الاجتماعيين بدراسة التنوع اللغوي الخاص بجنس المتكلم من خلال وصف الاختلافات الموجودة في كلام الرجال والنساء، وهذه الدراسة أكدت أن هذه الاختلافات سببها الدور الاجتماعي المنوط بكل منهما في المجتمع، إضافة إلى انتمائهما إلى ثقافة فرعية منفصلة ومختلفة، انعكست على كلامهما وشكلت لكل منهما هوية اجتماعية مختلفة، كما يمكن تفسير هذه الاختلافات على أنها انعكاس لسيطرة الرجل وتابعية المرأة في المجتمعات.

إذن يمكن أن نعزي الكثير من الاختلافات اللغوية بين الجنسين إلى العامل الاجتماعي فالمجتمع يصنف المرأة والرجل على أساس أنهما جنسان مختلفان وغير متساويين، فلا أحد يستطيع أن ينكر أن النساء لهن طريقة مختلفة ومميزة في الكلام ربطها معظم الدارسين بمركزهن في المجتمع ودورهن الهامشي الذي ولد لديهن رغبة في إظهار تميزهن واختلافهن عن المعايير الذكورية.

وتقل الفروق بين الجنسين أو تزول في المجتمعات الحديثة المختلطة، التي تسمح للنساء بمنافسة الرجال، وتعطيهن فرص لأخذ مكانة مرموقة في الوظائف العامة "فالمجتمعات التي تضرب حجبها على الأنثى يزداد فيها التباين بين لغة الأنثى ولغة الذكر، فيصبح للأنثى ألفاضها وموضوعاتها واستعمالها اللغوي الذي يميزها عن لغة الذكر، أما المجتمعات التي تبيح للجنسين التفاعل والاختلاط، فإن السلوك اللغوي يتضام في شكل الخطاب واختيار المفردات، بل قد يتقارب في الأداء اللغوي" .([1])

[1]_ عيسى برهومة، اللغة والجنس، حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، دار الشروق للنشر والتوزيـــع، عمـــان، ط1 2002. ص40.

وتقول **سيمون دي بوفوار** في كتابها الجنس الثاني:" المرأة لا تولد امرأة بل تصبح امرأة" وهي تشير بذلك إلى الدور الكبير الذي يلعبه المجتمع في صياغة وضع الأنثى والتفرقة بينها وبين الذكر، وفي تكذيب مقولة الحتمية البيولوجية التي كانت من وراء هذا الوضع بل أن المجتمع هو السبب الأساسي لهذا التحديد، وهي ترى أنه " ليس بوسع البيولوجيا الإجابة على السؤال الذي يشغل بالنا: **لماذا تكون المرأة الجنس الثاني؟** " فالبشر يولدون ذكورا أو إناثا، لكن السلوك الاجتماعي هو الذي يشكل مفهوم كونهن صبية وبنات، رجالا ونساء يقومون بأدوار محددة ومرسومة سلفا، إذ يتم تلقينهم مبادئ السلوك وتحدد لهم الأدوار والنشاطات المناسبة، وحتى الكيفية التي يتصلون بها مع الآخرين.

ويؤكد علماء السوسيولوجيا على أن السلوك المرتبط بالنوع إنما هو سلوك مكتسب اجتماعيا فالشخص يولد ذكرا أو أنثى، أما اكتسابه لسلوك الرجال والنساء فهو ينشأ عن نسق التوقعات الاجتماعية والثقافية التي يقتدى بها، وهذا يبدأ قبل ميلاد الطفل حين يعرف جنسه ذكرا أو أنثى حيث يبدأ الآباء والأجداد في تجهيز ملابسه وأدواته مميزين بين كل من النوعين سواء في نمط الملبس أو لونه وحتى في طريقة ومشاعر استقباله فاستقبال الفتاة في وسطها الأسري عادة ما يتم بتجهم ورفض إعلانا على عدم تقبل جنسها مقارنة باستقبال الذكر الذي يتم بفرح وحبور، وخلال المراحل التابعة للولادة أي من خلال التنشئة الاجتماعية يبدأ كل من الذكر والأنثى في تشرب أنماط السلوك والقيم والمعايير التي تعكس التمييز النوعي بينهما، فيشرع التركيب الاجتماعي والثقافي في وضع قوانينه منذ تخلق الجنسين محددا قائمة سلوك متعين لهما، ولا ينبغي لهما الخروج عن هذه الضوابط. ويعمل المجتمع على تأكيد هذا السلوك حتى أصبح أمرا طبيعيا ومحفورا في العقول فلا يخرج عنه أحد الجنسين، فلو حاولت الفتاة أن تكسر هذه القواعد الاجتماعية تعرضت للسخرية والتوبيخ، ولو قلد الفتى البنت في حديثها وتصرفاتها لاستهجن تصرفه ونعت بالتخنث.

إذن تكون سعادة الأسر في المجتمعات الذكورية كبيرة إذا ما رزقت ولدا وتحزن إذا ما رزقت بأنثى، من هنا تبدأ عملية التربية والتنميط على أساس أن الولد أفضل من البنت فتوفر له الأسرة والمجتمع كل أسباب النجاح والقوة وتحرم البنت منها وهكذا يكون نصيب الأولاد من التعليم أعلى من نصيب البنات، وبالتالي تكون فرصهم في الحصول على المناصب العالية والمرموقة في المجتمع أعلى، كما أن الحرية التي تمنح لهم تكسبهم مهارات عالية للتعامل والتواصل مع العالم المحيط، أما البنات فتكون حريتهم مقيدة داخل البيت وخارجه وتقتصر أدوارهم على الحمل والوضع والرضاعة وتنشئة الأطفال وهي أدوار تعوق حركتهم وتقصر وجودهم على المجال المنزلي فقط، كما يربى الذكر على" تأكيد الذات والثقة بالنفس وتنقل له عدة رسائل من قبيل: أنت قوي شجاع قادر ..، رسائل إيجابية دائما ومقوية لذاتيته، فيكون بذلك أكثر ثقة بنفسه، بينما الأنثى تلقن العكس، فهم ينقلون لها رسائل سلبية من قبيل: لا تستطيعين فعل هذا ولا ذاك، أنت ضعيفة هذا ممنوع عليك، فتكون دائما بحاجة لحامي ولن تستطيع اتخاذ القرارات بنفسها"([1]) ونتيجة كل هذا التمييز بين الجنسين تنشأ المرأة محرومة من كل الإمكانيات المتاحة للذكر مما يجعلها ضعيفة، سلبية وتابعة للرجل، وكي تقبل يجب أن تطيع القوانين والقواعد والمعايير الاجتماعية (الشرف،الحرمة ،الطاعة)، اعتمادا على السلطة الأبوية التقليدية.

إذا لقد وجدت المرأة نفسها منذ زمن في وسط يقيّدها ويحاسبها على أنّها فرد فاقد الأهلية فرد لا يحق له أن يمارس حرّياته المتنوعة والكاملة إلاّ ضمن الإطار الذي يحدده العرف والمجتمع، ويذكّرها المجتمع كل لحظة أنّها تختلف عن الآخر وينشئها تنشئة تقيّدها وتحدد أفقها "وحتى تظل المرأة في منطقة الصمت الغامضة والنمط المحدد، والوظيفة

[1] _Boudefa Saliha ,L'image de la femme dans le discours, OP ,cit,p218 .

المرسومة وتحرزا من أي محاولة تمرد أو خروج عن المألوف، أو رفض لأشكال القيد الموضوعة " ([1]) .

أ ــ النوع الاجتماعي (الجندر)Le genre:

قبل عرض مفهوم النوع الاجتماعي لابد من تحديد الفرق بين مفهومه وبين مفهوم مصطلح الجنس لأنه غالبا ما يتم الخلط بين هذين المفهومين المختلفين.

ــ الجنس: كلمة تشير إلى التقسيم البيولوجي بين الذكر والأنثى، فهو يهتم بالاختلافات البيولوجية بين الجنسين ذكر وأنثى على أساس الاختلاف في الكروموزومات والجينات والأعضاء التناسلية والوظيفة الإنجابية وهو ثابت لا يتغير، و" يتم تحديده بناءا على الجوانب البيولوجية للإنسان المتضمنة للصفات الفيزيولوجية والتي تفرق ما بين الذكر والأنثى من خلال الكروموزومات والصفات التشريحية، الإنجابية والهرمونية، أما الجندر فيتضمن تلك الصفات الاجتماعية والحضارية المرتبطة بالرجال والنساء في إطار محتوى اجتماعي محدد"([2]).

ويمكن تمثيل الفرق بين الجنس البيولوجي والنوع الاجتماعي من خلال الجدول التالي([3]):

---

[1] ــ زوليخة أبو ريشة، أنثى اللغة، أوراق في الخطاب والجنس، دار نينوى، دمشق، سوريا، 2009، ص 13.

[2] ــعبد النور إدريس، النقد الأدبي النسائي والنوع الاجتماعي (الجندر) تمثلات الجسد الأنثوي في الكتابة النسائية، سلسلة دفاتر الاختلاف، المغرب، ط1، 2011، ص107.

[3] ــ ثريا هاشم، نجاح منصور، دليل تدريبي للمدربات والمدربين على قضايا النوع الاجتماعي في التعليم، مطبعة المركز التربوي للبحوث والإنماء، بيروت، لبنان، 2012، ص18.

الجنس البيولوجي	النوع الاجتماعي
ذكر/ أنثى	امرأة/ رجل
بيولوجي	اجتماعي
الفطرة/ الطبيعة	ثقافة/ عادات وتقاليد/ اقتصاد/ سياسة
أعضاء/ وظائف	أدوار/علاقات
مميزات جنسية/ أولية/ ثانوية	مميزات اجتماعية/ ثقافية
يولد مع الإنسان	لا يولد مع الإنسان
لا يرتبط أو يتقاطع مع المؤسسات المجتمعية (وزارات، مستشفيات، مدارس) هذه المؤسسات تقاوم التغيير	يرتبط أو يتقاطع مع المؤسسات المجتمعية (وزارات، مستشفيات، مدارس) هذه المؤسسات تقاوم التغيير
ثابت لا يتغير	غير ثابت ــ قابل للتغيير

ــ **الجندر:** مصطلح حديث ظهر منذ عقود فقط، تعددت تعريفاته ومفاهيمه، لكن المتفق عليه أن المجتمع هو الذي يشكل الاختلاف بين الذكورة والأنوثة أكثر من أي عامل آخر على اعتبار أن الفكر القديم يعتبر تفضيل جنس على آخر من فعل الطبيعة وأصل الخلقة وتجسيدا للإرادة الإلاهية، وتترجم كلمة " جندر" بالنوع الاجتماعي لكن المصطلح المتداول والمنتشر باللغة العربية في معظم الكتابات هو" الجندر" حيث تم التعامل مع هذا المصطلح بمرونة وكأنه كلمة رباعية "جندر" قابلة للاشتقاق تبعا لقواعد الاشتقاق في اللغة العربية، كما يستعمل هذا المصطلح في جميع لغات العالم، حيث " يقر الاستعمال العالمي للفظ الإنجليزي جندر على حاله ونطقه في أي لغة من لغات العالم"([1])، و"الجندر" أساسا مقولة ثقافية وسياسية، تختلف عن الجنس باعتباره معطى بيولوجيا ف" البحث في الجندر يمكننا

[1] ــ جنفييف فريس وآخرون، مفاهيم عالمية : التذكير و التأنيث (الجندر) من أجل حوار بين الثقافات، سلسلة تشرف عليها نادية التازي، ترجمة أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط1، 2005، ص77.

من تعويض الماهوية البيولوجية بالبنية الثقافية بحيث يتبين لنا أن الاختلاف بين الرجل والمرأة مبني ثقافيا وإيديولوجيا وليس نتيجة حتمية بيولوجية" ([1])، ويعرفه صندوق الأمم المتحدة الإنمائي بأنه" الأدوار المحددة اجتماعيا لكل من الذكر والأنثى وهذه الأدوار التي تحتسب بالتعليم تتغير بمرور الوقت وتتباين تباينا شاسعا داخل الثقافة الواحدة ومن ثقافة إلى أخرى ويشير هذا المصطلح إلى الأدوات والمسؤوليات التي يحددها المجتمع للمرأة والرجل، ويعني الجندر الصورة التي ينظر بها المجتمع إلينا كنساء ورجال والأسلوب الذي يتوقعه في تفكيرنا /تصرفاتنا، ويرجع ذلك إلى أسلوب تنظيم المجتمع وليس إلى الاختلافات البيولوجية (الجنسية) بين الرجل والمرأة"([2])، ويقصد به الأدوار والاختلافات التي تقررها وتبنيها المجتمعات بين الرجل والمرأة، ويعني العلاقات والسلوكات المناسبة التي يحددها المجتمع لكل من الرجل والمرأة مسبقا في ضوء موروثات اجتماعية ومنظومة ثقافية تضم مجموعة من العادات والتقاليد والقيم السائدة في مجتمع ما وفي فترة زمنية معينة.

إذا الجندر يتجلى في الأدوار الاجتماعية التي يتم تشكيلها ثقافيا في إطار مجتمع ما وفرضها تلقائيا على كل جنس بعينه، فيتوقع المجتمع بالتالي " التزام كل فرد منه، تبعا لجنسه بتلك الأدوار وما تحمله من مشاعر وقيم مع التعبير عنها في السلوك اليومي فعلى سبيل المثال يتم تربية الأولاد بالتأكيد على قيم الحياء، فيصبح السلوك الشجاع لدى الفتاة مبررا لوصفها ب(الرجولة) ــ بنت بألف راجل ــ بينما يكون التعبير عن الحياء لدى الولد ممجوجا ومدعاة للسخرية منه باعتباره يتصرف كالبنات ــ متتكسفش زي البنات خليك راجل ــ"([3]) وينطبق هذا حتى على السلوك المعبر عن العاطفة والمشاعر فالبكاء

---

[1] ــ رجاء بن سلامة، مفاهيم عالمية، التذكير والتأنيث (الجندر)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المعرب، 2005، ص14.

[2] ــ مسرد مفاهيم ومصطلحات النوع الاجتماعي ، صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة، المكتب الإقليمي للدول العربية، ط1 2001، ص4.

[3] ــ هالة كمال، النوع الاجتماعي (الجندر) : التنوع الثقافي والخصوصية الثقافية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2013 ص3.

مثلا للتعبير عن الحزن أو الألم مرفوض بالنسبة للصبي ومقبول للبنات في الموقف الواحد، وذلك دون منطق أو رابط بطبيعتنا البيولوجية كذكور وإناث، وإنما يتصل بالأدوار الاجتماعية التي يفرضها علينا المجتمع بناءا على انتمائنا لجنس دون آخر، ومن هنا نشأت دراسات الجندر لدراسة الأدوار الاجتماعية القائمة واختلافاتها بين الجنسين وانعكاساتها عليهما انطلاقا من مفاهيم الذكورة والأنوثة .

ظهر مصطلح الجندر بظهور الحركات النسوية، التي انطلقت من قناعتها بوجود خلل في ميزان القوى بين الجنسين ف" دراسة الجندر التي تعني البحث في واقع الرجال والنساء معا، مثلت مطلبا رئيسا من بين مطالب الباحثات النسويات، فقد ألححن على ضرورة الاعتماد على الجندر واعتباره من ضمن أدوات التحليل الأساسية لمقاربة جميع القضايا"([1]) فانشغلت النسويات بدراسة تلك المنظومة التي تفتقد للعدالة، وبتحليل بنية المجتمعات البطركية وإبراز مظاهر التمييز بين الرجل والمرأة، كما أنها ناضلت من أجل القضاء على اللامساواة بين الجنسين والدعوة إلى المقاومة والتغيير في سبيل تحقيق العدالة بين الجنسين في الحقوق والواجبات.

أما سمات الجندر فقد حددتها الحركة النسوية في مجمل السمات الثقافية التي تقر بأن الاختلاف بين الذكر والأنثى هو اختلاف ثقافي، يبني الفوارق على أساس اللغة والمعرفة ويهتم بمواضيع عديدة كمسألة العنف ضد المرأة ومسألة اتخاذ القرار، ويفسح المجال أمام دراسات الذكورة والأنوثة وما ترتبط بها من سلوكيات وخصائص وتصورات وأشكال للتعبير يتم صياغتها في ظل أوضاع اجتماعية وثقافية معينة تنعكس على الأعراف الاجتماعية والحقوق والواجبات الواردة في التشريعات، أما الفكر النسوي" فيرتبط أكثر بالعمل النسوي كحركة سياسية هدفها الكشف عن مواطن التمييز ضد النساء، سعيا لإحداث تغيير على مستوى الوعي المجتمعي والثقافة الرائجة والتشريعات، بما يحقق

[1]_ Geneviève Fraisse, Les Femme set le féminisme , in E ,Universalis, article Femme , p 364 .

للنساء العدالة والمساواة "([1]) وبالتالي يشكل مفهوم الجندر أو النوع الاجتماعي منهجا فكريا وأداة تحليلية، بينما تسعى الحركات النسوية للعمل السياسي لغرض تحسين أوضاع النساء على أرض الواقع ، فإذا كان الجندر أداة للتحليل، فالعمل النسوي أداة للتمكين.

2 ــ المرأة في المجتمعات العربية :

تتغير مكانة المرأة من مجتمع إلى آخر، ومن حقبة زمنية إلى أخرى بتغيير الأنظمة والبنى الاقتصادية والاجتماعية التي سادت وتسود في المجتمعات، كما أن للتغيير الاجتماعي والتطور العلمي والاقتصادي الذي تعيشه المجتمعات في العصر الحاضر أثرا كبيرا في تغيير وضعية المرأة داخل العائلة، إذ أتاح لها تعلمها وحصولها على شهادات علمية وخروجها إلى العمل الفرصة بأن تشارك في مختلف المجالات ومنها المشاركة في اتخاذ القرارات العائلية، **لكن إلى أي مدى استطاعت المرأة العربية أن تتطور وتصنع لنفسها مكانة معتبرة داخل المجتمع؟ وهل استطاعت التحرر من أفكار وتقاليد بالية سجنتها وحدت من تقدمها ؟**

رغم تغير الظروف وتحسن الأوضاع في الوطن العربي لم يشمل هذا التغيير كل النساء ولم يمس كل المجتمعات العربية، فمازالت المرأة العربية في بعض المناطق تبحث عن أحلامها المزعومة بين التربية الاجتماعية المعقدة وبين طموح لا يتوافق مع المتغيرات التي تحدث في العالم، فالفتاة مازالت خاضعة لآراء الأب والأخ والجد والعم والخال، كلهم يتدخلون في طموحاتها وأهدافها، ومازالت أسيرة للأفكار المعقدة في كثير من المجتمعات العربية وفاقدة للثقة بنفسها، ولا تستطيع اتخاذ قراراتها بنفسها ولا بناء

[1] ــ هالة كمال، النوع الاجتماعي (الجندر) : التنوع الثقافي والخصوصية الثقافية، ص4.

حياة خاصة بها إلا من خلال واقع اجتماعي عقيم تركها بلا هوية ولا دور في مجتمعها أي عليها في بعض المجتمعات فقط أن تتزوج وتنجب الأطفال وينتهي دورها.

والمعروف أن المجتمع العربي مجتمع ذكوري فيمكن لك التحدث عن أي حق إلا حق المرأة، والغريب أن المجتمع أقنع المرأة بذلك فأصبحت تعتبر نفسها عورة وتتوارى عن الأعين في خجل، ولكي تأخذ المرأة حقها يجب أن تعلم أن لها حقوق في الأساس، فالمرأة العربية لم تعد ترى إلا ما يراه الرجل العربي فيها، ووعي المرأة بحقوقها جزء هام من تطورها حيث يساهم جهلها بحقوقها وانتشار الأمية إلى ضعف مطالبتها للحقوق المشروعة .

فالمرأة العربية تعاني من الأمية وعدم تكافؤ فرص التعليم بين الذكور والإناث وبالرغم من تأكيد المؤتمرات العربية (مؤتمر مراكش 1970) ومؤتمر (أبو ظبي 1977) على إزالة الفوارق في فرص التعليم في ما بين الذكور والإناث، إلا أن الواقع الفعلي لا يعكس تنفيذ القرارات، إذ رغم ارتفاع نسبة تمدرس البنات مقارنة بالفترات السابقة إلا أن بعض المناطق العربية وخاصة النائية لازالت تحرم الأنثى حق التعليم ويمكن القول أن المرأة العربية مازالت تفتقر إلى الثقة بنفسها، لأنها عاشت تابعة قرونا عدة، وهي مازالت تعيش على هامش المجتمع، بعيدة عن صنع القرار، من هنا تأتي مسؤولية التربية والتعليم في تأكيد شخصيتها وإحساسها بالثقة والقدرة على الإنتاج والعطاء، وتحريرها من الخوف، وتعليمها كيف تفكر تفكيرا علميا، وكيف تختار وكيف تشارك في صنع القرارات التي تنظم مجتمعها.

إذا المجتمع العربي بجميع عناصره وفواعله يقصي المرأة، لكن لابد أن لا نغفل أن للمرأة دور في ذلك، بما في ذلك المرأة التقليدية والعصرية، فمن الملاحظ أن المرأة العربية العصرية، مثلها مثل التقليدية تربي عموما ابنها على أن يكون "رجلا" مثل أبيه أي متميزا عن النساء، وممتازا عليهن، وتربي ابنتها على التكيف مع الواقع المفروض ذكوريا، وعلى دونيتها بصورة أو بأخرى فهذه المرأة العصرية التي ناضلت إلى هذا

الحد أو ذاك، بصخب وبصمت، من أجل أن تكسب بعضا من حقوقها، هي نفسها تعيد إنتاج ظروف متناقضة مع سعيها التحرري نحو المساواة ...بل إن سلوكها التربوي يماثل إلى حد بعيد ما كانت تقوم به أمها وجدتها" .([1])، فمعظم النساء يفضلن إنجاب الأولاد ويفرطن في دلالهم لهم، ويدعمن الفحولة وحب التسلط فيهم، ولكي نحسن من نظرة المجتمع العربي للمرأة لابد للمرأة قبل كل شيء أن تصنع لنفسها مكانة في هذا المجتمع وتطمح إلى تغيير أفكاره وتوجهاته انطلاقا من تصحيح أفكارها وطرق تربيتها للأجيال القادمة، فحين تدرك المرأة أن لها حقوق كضرورة التعلم والعمل وإبداء الرأي ومناقشة القضايا العائلية وقضايا المجتمع واعتلاء مراكز مهمة تتغير حالتها في المجتمع العربي وتتطور، وتغير نظرة الآخر لها.

[1]_ ياسين بوعلي، أزمة المرأة في المجتمع الذكوري العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1992، ص134.

3 ــ المرأة في المجتمع الجزائري:

مر المجتمع الجزائري بعدة مراحل وعرف عدة أحداث قبل الفتح الإسلامي وبعده فشهد العديد من الحملات الاستعمارية والغزوات، ولم نجد الدراسات التي تؤرخ للحياة الاجتماعية للمرأة الجزائرية آنذاك إلا ما هو سطحي منها، أما في القرون المتأخرة (من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين) فأهم ما كان يميز وضع المرأة في تلك الفترات هو تدني وضعها ومركزها في المجتمع، كما ظهر تباين في ظروف المعيشة بين المرأة الأرستقراطية والمرأة البسيطة التي تميزت بالاحتجاب والانزواء، أو العمل في المجال الزراعي والصناعات التقليدية، هذه الفئة كانت محرومة من التعليم ومن المطالبة بالحقوق وغيرها، وما زاد في تدهور وضعها الاستعمار الذي جردها من حقوقها وساهم في سوء وضعها، فقد استطاع الاستعمار الفرنسي أن يسلب الجزائر ثرواتها المادية والمعنوية وسعى لطمس هوية شعبها ودينه، فعانى الذل والهوان والفقر والأمية والأمراض وكل هذه الظروف كانت أسوء على المرأة فعانت النصيب الأكبر منها إضافة إلى تهميش مجتمعها الذي حصرها في دائرة العيب والحرام والحشمة وحرمها من التعليم، وسخرها للإنجاب والتربية والعناية بشؤون البيت دون غيرها من الأدوار فعاشت زوجة مطيعة ومحببة إذا أنجبت ذكورا، ملازمة ليتها راعية لأطفالها، وجسد مؤنثا وأداة للإغراء، أدنى من الرجل تعيش تحت وصايته وسلطته في المجتمع الجزائري التقليدي، وهذا الوضع جعلها متخلفة مضطهدة تابعة وغير قادرة على التفكير وغير واعية، وكان الاستعمار بالموازاة يقهر المرأة الجزائرية فعزلها اجتماعيا واقتصاديا ووصل لدرجة الاعتداء عليها، مما دفع بالمجتمع التقليدي إلى عزلها عن المحيط الخارجي تماما خوفا عليها، فزادت هذه الظروف من جهلها وتهميشها .

النظام في المجتمع التقليدي الجزائري نظام أبوي، فالأب مسير الأسرة ويملك السلطة الكاملة عليها إذ أن " الأسرة في المجتمع الجزائري التقليدي تعد خلية أساسية

خلية سياسية تحت سلطة قائد واحد، رب الأسرة وهو الأب أو الجد الذي يتخذ القرارات ويسير الأمور".([1])، ويفصل هذا المجتمع تماما بين الجنسين، فهو مقسم إلى عالمين واحد للرجال وآخر للنساء منفصلان كليا " الرجل كسيد للمجال، في الطرقات، الأسواق الأماكن العامة، الأسفار، مقابل المرأة التي تقضي جل حياتها داخل البيت ..." ([2]) فالمرأة تملك المجال الداخلي أو بالأحرى مفروض عليها، والرجل يسيطر داخل البيت وخارجه وله الحرية المطلقة في التصرف بينما " المرأة مجالها محدد ومحصور في الدار لا مكان لها في المجال الخارجي، العالمان منفصلان" .([3]) وعلى المرأة في البيت الامتثال لأوامر زوجها وكل رجال العائلة، وطاعتهم فـــ " الرجال يتكلمون بصوت مرتفع يعطون أو يصدرون الأوامر الصارمة بينما النساء يوشوشن مطيعات مذعنات، لا مجال للحوار بين الرجل والمرأة....الرجال يتكلمون فيما بينهم والنساء يتكلمن فيما بينهن ..." ([4]) فالمرأة الجزائرية لطالما التزمت بمجموعة من القوانين العائلية الصارمة (الطاعة وعدم التكلم في حضرة الرجل...)، والتي إن خرجت عنها لاقت الاستنكار والإهانة.

عرفت العائلة الجزائرية العديد من المظاهر التي رسخت دونية المرأة، وقدست الذكر، منها :

ـــ **تفضيل الذكر عند الإنجاب**، وهذه الظاهرة سادت العديد من المجتمعات ومنها المجتمع الجزائري، ومنذ القديم كان ميلاد الذكر مقدسا، وقدومه يثير الفرح والبهجة، عكس الأنثى التي لا يرضى بقدومها الكثير، ففي المجتمع الجزائري التقليدي يستقبل الذكر بالزغاريد والولائم، فهو يساهم في استمرار النسب ويعطي مكانة لأمه داخل العائلة فإنجاب الذكور له دور في تحديد مكانة المرأة داخل العائلة وفي المجتمع، وكلما زاد عدد الذكور زاد

[1] _ Ramzi Abadir Sonia , La femme arabe au Maghreb et au Machrek ,Fiction et réalités ,Alger Entreprise nationale du livre, 1986,p91 .
[2] _ Ibid,p104.
[3] _ Ibid,p106.
[4] _ Ibid,p107 .

مجدها، فهم مصدر مالي وحماية للعائلة، بينما الإناث يعجزن عن تقديم ذلك وبالتالي ولادتهن تعد خيبة أمل للعائلة، وترجع مسؤولية إنجابهن للأم فعادة ما نسمع عبارات من قبيل" يمات لبنات، جابت غير لبنات مسكينة...." وهذا " موقف المجتمع والعائلة من المرأة التي تلد إناثا فقط، موقف يصنفها بنفس مستوى العاقر كلتاهما تعتبران جالبتان للشر، ومسؤولتان عن ضياع اسم العائلة". ([1]) إذا التمييز الجنسي في المجتمع الجزائري يبدأ منذ الولادة.

ــ **التربية وطرق المعاملة التي يتلقاها الجنسان مختلفة تماما،** حيث أن ما يتلقاه الذكر في المجتمع الجزائري يختلف تماما عن ما يقدم للأنثى، فالذكر له الحرية في فعل ما يشاء فهو قوي قادر وشجاع، يدعم دائما من العائلة فتتكون لديه الثقة بنفسه منذ الصغر بينما الأنثى تعامل بالعكس، فيقال لها لا تستطعين فعل كذا وكذا، هذا ممنوع عليك، لا تخرجي أنت ضعيفة ....الخ، فتفقد ثقتها بنفسها، وتبقى دائما تابعة تحتاج لمن يحميها ويدعمها ويجب أن تتقيد بالقوانين الاجتماعية(الشرف ،الطاعة، الحرمة) وتخضع لسلطة الرجل.

ــ **الخضوع لسلطة الأب، والطاعة العمياء له،** فأفراد الأسرة جميعا يعملون على طاعته وتنفيذ أوامره بما فيهم الزوجة والأولاد والأحفاد، والعائلة الجزائرية منذ القديم قائمة على هذا الأساس الذي يفرض الطاعة والخضوع لرب الأسرة خاصة المرأة، كزوجة وكبنت وحتى كزوجة ابن، وهنا يظهر نوع من التراتب داخل الأسرة الجزائرية تراتب هرمي قاعدته النساء وقمته الرجال، مفصول بينهم، فكل فئة تعيش حدودها وللنساء عالمهن الخاص، لا يشاركن الرجال في الأحاديث والآراء وحتى الطعام والمعاملة الزوجية تتسم في معظم الأحيان بالجفاء والتحفظ، فللمرأة من زوجها الأكل والشرب والملبس والحماية من أي خطر خارجي، وعليها الطاعة والخضوع للسلطة العليا.

ــ **زواج المرأة في المجتمع الجزائري التقليدي يكون مبكرا،** فهي تحتاج لزوج يصونها ويرعاها، ويحقق لها مكانة في المجتمع حيث يضفي على وجودها صفة الشرعية

[1] _ Mostaghanemi Ahlem , Algérie ,femme et écritures ,Paris ,Edition L'harmattan, 1985 p 454.

والاعتراف الاجتماعي، وإن لم تتزوج تكون في مكانة أدنى وتنعت بصفات بذيئة من قبيل : " البايرة"، وبعد الزواج لا تتأمل المرأة شيئا من زوجها فتسعى لإنجاب الأبناء ليدعموا مكانتها في العائلة، فالزوج قد يتركها إن لم تنجب، أو يحضر لها ضرة في البيت، وكان للرجل حق جمع عدة زوجات في بيت واحد من أجل إنجاب أكبر قدر من الأولاد لتخليد اسم العائلة

كما لم يكن من حق الفتاة اختيار زوج لها أو حتى أن تعطي رأيها فيه، ويصل الأمر أحيانا عند بعض العائلات إلى حد أن الفتاة تتعرف على زوجها يوم عرسها.

ـ **ستر المرأة وحجبها،** فالمرأة يجب أن تحجب بمنعها من الخروج من البيت لوحدها فعليها أن تعيش محبوسة في البيت في عالم خاص إلى أن تتزوج، " فلطالما اعتبرت المرأة كائن مبتور، ناقص ، قذر...عار وجب أن يخفى وراء الجدران، ولكن حتى الاسم نال جزء من هذه القذارة وهذا العار...فالرجل الجزائري عندما يتكلم عن زوجته، لا يستعمل أبدا كلمة امرأتي بل يفضل كلمة المرا..."[1]، وشمل حجب المرأة في البيت عدم تطلعها إلى الخارج عبر جدران البيت وستائر النوافذ، وساهم هذا العزل والحجب المنزلي في تأخر النساء الجزائريات بتفشي الجهل والأمية في أوساطهن والإيمان بالخرافات و الشعوذة والسحر وغيرها من المظاهر السلبية.

وبعض هذه الممارسات تخلى عنها المجتمع الجزائري في وقتنا هذا بفضل انتشار الدين والتفتح على العالم الخارجي، ووعي المرأة ونيلها لبعض حقوقها، إلا أن الكثير منها مزال متداولا خاصة في المناطق الداخلية والجنوبية للوطن

[1] _ Mostaghanemi Ahlem , Algérie ,femme et écritures,p454.

4 ــ اللغة ظاهرة اجتماعية :

تعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية تتطور داخل الشرط الاجتماعي تبعا لحاجات المتكلمين وأغراضهم، وهي وسيلة للتواصل والخطاب وشكل من وجود الفكر وشكل للتعبير عنه والمجتمع يستمر باللغة لأنها وسيلته للسلطة، وهو يفرض على مستعمل اللغة نظام لغوي لا يخرج عن نسقه العام ف" الفرد في ممارسة السلوك اللغوي مشروط بالنظام الاجتماعي الذي يحدد الاختيارات اللغوية في عملية التفاعل الاجتماعي" . ([1])

فلكل مجتمع تقاليده الاجتماعية ومعتقداته الدينية التي يمارسها الأفراد في كثير من الأحيان عبر اللغة، فالقوانين الاجتماعية التي تمارس سطوتها على أعضاء الجماعة تلقي بظلالها على السلوك اللغوي " فلكل جماعة لغوية طرائقها في التحية، والتهنئة والعزاء، واللقاء، والجلوس، والحفلات، والوداع ، وممارسة الشعائر الدينية، وأي خروج عن هذه الأعراف يوقع الأفراد في الحرج والسخرية وقد يعرضهم للإهانة والعقوبة". ([2])

إذا اللغة تأخذ دور العادات والتقاليد، كما تأخذ دور الشرائع والقوانين مما يجعلها تحمل نظرة دونية لجنس النساء، والتحيز الذكوري هو تحيز ثقافي واجتماعي، وتاريخي يتمركز في اللغة ، فالمجتمع "يحتمي باللغة لأنها سلطة، ليمارس عبر هذا السلاح سطوته وتشكل المرأة في المجتمع البطركي تحديدا، الهدف الأول كموضوع للسيطرة وغاية للاضطهاد والاستغلال " . ([3])

فالبنت في بعض المجتمعات تلقن اللغة بطريقة مغايرة للصبي " فلا يسمح لها الحديث بصوت عال أو مقاطعة الكبار، أو إبداء رأيها في حوار أو مناقشة، أو أن تنطق بعض الألفاظ أو أن تتداول بعض النكت فالبنات الصغيرات لا يتحدثن هكذا، البنت لا ترفع صوتها، البنت المؤدبة لا تتدخل في شؤون الكبار، البنت تبتسم ولا تضحك.....إلخ

---

[1] ــ عيسى برهومة، اللغة والجنس، ص9.

[2] ــ علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1976، ص3.

[3] ــ زليخة أبو ريشة، أنثى اللغة، ص13.

أما الصبيان فيحضون بما حرم على البنات، فلهم أن يصرخوا، وأن ينفجروا غضبا، وأن يعترضوا وأن يقاطعوا في الحوار، وأن يلقوا النكات البذيئة، وأن يضحكوا بصوت مرتفع وأن يسخروا من الآخرين، فهم صبيان ويحق لهم ما لا يحق لغيرهم" .([1]) ، فبهذا الضغط والتفريق الجنسي أكيد ستكون لغة المرأة مختلفة ومحددة بقوانين وتقاليد تضبطها وتحد من حريتها وإبداعها.

كما لا تعرف النساء في معظم المجتمعات إلا بصيغة علائقية مع الآخر، فهي زوجة فلان أو أم فلان أو ابنة شخص ما، (عيب ذكر اسمها) فيقال: المرا، الدار، يمات الأولاد، الحرمة ..الخ ، كأن اسمها شيء يخجل .

إذا تقترن الاختلافات اللغوية بين الجنسين بالمتغيرات الاجتماعية ونظرا للمكانة الهامشية التي تحتلها المرأة في أغلب المجتمعات يظهر هذا التهميش في لغتها ويؤثر فيها " فالمرأة تميل إلى المحافظة في اللغة أكثر من الرجل، وهي أكثر التزاما بالأعراف اللغوية والاجتماعية ولعلها أكثر مقاومة للتغيير، ويمكن أن ترد حساسية المرأة نحو المعيار اللغوي إلى وضعها الاجتماعي غير الآمن، فتسعى لتحقيق المنزلة، وإظهار التضامن". ([2]) فهي دائما تخشى من نظرة المجتمع لها، فتضع رقابة على كلامها.

[1]_عيسى برهومة، اللغة والجنس، ص35.

[2]ــ المرجع نفسه، ص120.

5 ــ أثر الثقافة في تحديد دور المرأة:

إن مفهوم الثقافة واسع وعميق وله علاقة بالبنية العقلية للأفراد، ومرتبط بكافة مناحي الحياة، وهذا الارتباط له تأثيراً في تشكيل صورة المرأة في المجتمع ف "يذهب دارسو الجنسوية إلى أن الفرق بين الرجل بصفاته الإيجابية والمرأة بسماتها السلبية مما ينجم عنه الهرمية الضدية بين الذكر والأنثى، إنما هو فرق إيديولوجي ثقافي اجتماعي دافع عنه المجتمع والثقافات المختلفة بقوة القانون والسلاح، كما أن الضغط الاجتماعي والثقافي يؤسّس "بنية جنسوية"، ويجيز الدور الذي يشغله كل من الطرفين وبهذا فإن الثقافة وليست الطبيعة البيولوجية هي التي تضع قيودا ومحددات على طرق التفكير والإبداع والسلوك"([1])، وعندما تكون الثقافة مذكرة يكون لهذا أثرا على المجتمع برمته، وتدعمها في ذلك اللغة، فهي وسيلتها للاستمرار ومعززة لمفهوم التحيز ف " اللغة موازية وداعمة ومعززة للهيمنة الذكورية إنها تضطلع بدور العادات والتقاليد، وبدور الشرائع والقوانين، وبدور المضمون الاستعلائي القمعي الذي يحمل نظرته الدونية لجنس النساء"([2]) لكن ينبغي هنا أن ننبه لشيء مهم وهو أن اللغة داعمة لهذا التحيز وليست في حد ذاتها متحيزة فهي تتأثر بالأطر المعرفية والمفاهيم الاجتماعية للأفراد، وإن كان هناك تحيز فمبعثه الثقافة والمجتمع لا اللغة، " فالإحساس المتكرر بذكورة اللغة منبثق عن الإحساس بذكورة الثقافة التي هي نتاج طبيعي لهيمنة النظام الأبوي البطركي، وتصنيف الناس إلى طبقات وإثنيات وأعراق وجنسين، وأناس في الصحة، وأناس في الإعاقة وأناس في الشباب وأناس في أرذل العمر ...أي اعتماد الطبقة والعرق واللون والجنس والسن، والصحة معايير لإطلاق الأحكام القيمية على الناس، وهو ما تحاربه الإنسانية اليوم بما أصدرت من بيانات لها قوة القانون مثل (البيان العالمي لحقوق الإنسان) "([3])

1_ ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط2،2000، ص85.

[2]_المرجع نفسه ص86.

[3]_ زليخة أبو ريشة، أنثى اللغة، ص 21

ويتعين لدراسة التحيز البحث في أثر الثقافة على اللغة، فاللغة في جوهرها مرتبطة بالثقافة ومتأصلة فيها من خلال طرق العيش والعادات والتقاليد عند كل جماعة، وهي تعيننا على فهم المفاهيم الأساسية فيها، كما لا يمكن فهم اللغة وإيضاحها إلا بالعودة إلى المحيط الذي تستعمل فيه، ويظهر ذلك في" الكثير من المقولات المتقادمة القارة في الثقافة والمجتمع التي أرخت سدولها على اللغة، وتجلت هذه الضلال في الأصول التي أسست اللغة على بنيانها، وفي المؤونة التي وفرتها الثقافة للغويين والنحويين لتصنيف اللغة وتقعيدها" ([1]) .

لقد كان لمعتقدات المجتمع البدائي وثقافته القائمة على "الطابو" والخرافة الدور الكبير في إيجاد هذا التمييز اللغوي بين الجنسين، فبالنسبة للطابو اللغوي أثبتت الدراسات أن للرجال تعابير محظورة على النساء، كما أن التعابير النسوية إذا ما استعملت من قبل الرجال فإنهم يتعرضون للاحتقار، ولهذا يجب "على المرأة أن لا تتلفظ وأن لا تتعرف على نماذج رجالية خوفا من أن تجعل منها نماذج عديمة التأثير، أو ذات طابع شؤم والعكس صحيح" .([2])

كما كان يحرم على المرأة لدى هذه الشعوب التلفظ ببعض الكلمات كاسم الزوج أو اسم أحد أفراد عائلته لأن "أسماء أفراد عشيرة الرجل من الذكور عبارة عن طابو بالنسبة للمرأة، إنها عادة قبلية، وبالنسبة للأسرة الملكية يمنع زيادة على ذلك التلفظ باسم الزوج إن الأسماء الشخصية يجب أن تحذف ليس كما هي، بل كذلك كعناصر في الاستعمال اللغوي، إن كل اسم أو جزء منه بل حتى الفونيم الذي يذكر بالكلمة /الطابو يجب أن يغير أو يعوض بآخر مقلوب ينوب عنه" .([3])

إذن التحريم اللغوي المفروض على المرأة عند بعض الشعوب يشمل حتى المقاطع المكونة للكلمة الواحدة بالنسبة لأسماء أعضاء عشيرة الزوج، كما يوجد اختلاف بين

---

[1] ــ عيسى برهومة، اللغة و الجنس، ص88.

[2]- Marina Yaguello , Les mots et les femmes ,Payot ,Paris ,1978, p16.

[3]_ Marina Yaguello , Les mots et les femmes, p16.

الإناث والذكور في اختيار الكلمات ويظهر بصورة واضحة كلما كان هناك تميز بين المعارف الثقافية والأنشطة عند كل من الرجال والنساء، وهذا الاختلاف ليس راجعا إلى الاختيار أو الاختلاف النسبي في الاستعمال، وإنما يرجع إلى ما تفرضه الثقافة .

كما عملت الثقافة على إقناع المرأة بأن الصمت مكرمة، يتعين عليها تقمصه والالتزام به، حتى تحظى بالقبول، لأن الكلام لا يتلاءم وطبيعتها التي صاغها المجتمع لها وكرست أدوار الجنسين، فكان للرجال مركزية العقل والمكانة المرموقة وللمرأة العاطفة والهوى فهي مستغنية عن العقل، ونحن هنا أمام مظهر من مظاهر تقسيم الأدوار الذي " يسمح ببقاء الأحكام المسبقة حول الطبيعة الأنثوية أو الذكرية، فتكون النشاطات الثقافية والتأملات التجريدية، والنظريات ذات التركيبة الفلسفية والإبداعات الواعية للرجال بينما تبقى للنساء إنتاجات الأحاسيس والخيال غير المقيد بالفكر العلمي، فالرجال يفكرون برؤوسهم والنساء بأحشائهم"([1]) فالثقافة عملت على الحط من مكانة المرأة وعزلتها عن الفعل والتفاعل باستعمال اللغة، والتأنيث والتذكير مفهوم ثقافي وتصور ذهني، وليس طبيعي، عمل على إبعاد المرأة عن اللغة، ويعلل ذلك الغدامي بقوله :" إنّ ذلك عائد إلى التصور الثقافي الذي يرى أنّ جسد المرأة خالي من الفعل، وهذا تصور ثقافي عالمي نقرأ لدى الدنمركيين هذا المثل(للنساء فساتين طويلة وأفكار قصيرة)" .([2])

فالثقافة في بعض أنحائها عدّت اللغة شرطا ذكوريا، فحكمت على المنجز الأنثوي بالإجهاض، فتوارت المرأة عن مزاحمة الرجل "ويبدو أنها كانت تخشى إن تميزت في الواقع تحت تسمية تخص جنسها أن تفقد حماية الرجل، التي هي دائما مشروطة بالانصياع في الثقافة كما في البيت، وكما في المجتمع" .([3])

---

[1] _ Marina Yaguello: Les fous du langage, Des langue imaginaires et de leur inventeurs, Seuil, 1984 P : 43.

[2] _عبد الله الغدامي، ثقافة الوهم،المركز الثقافي العربي، الرباط، ط1، 1999، ص66.

[3] ــ نازك الأعرجي، صوت الأنثى، دراسات في الكتابة النسوية العربية، الأهلي للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1997ص8

إذن وضعت المرأة في موقع دوني مقارنة بموقع الرجل في الأدوار والوظائف والمسؤوليات، ويعود السبب كم أسلفنا الذكر إلى أن الثقافة الذكورية انتقصت من المرأة في كل شيء، وعليه فإنه لابد من إعادة النظر في الثقافة الذكورية المهيمنة ورد الاعتبار للأنثى بوصفها كائنا إنسانيا مكافئ للذكر، وبالتالي التأسيس لهوية نسوية ذات خصوصية كفيل بمنحها مكانة تستحقها وذلك بزحزحة العلاقة بينها وبين الرجل من التبعية إلى الشراكة

المبحث الثاني: المرأة في الموروث الإنساني (من المسؤول عن النظرة النمطية الدونية للمرأة في الثقافات البشرية؟)

1ــ الأساطير والخرافات.

2ــ المرأة والخطيئة الأولى.

3ــ المرأة في المخيال التراثي الشعبي.

4ــ الأمثال الشعبية.

5ــ المرأة الجزائرية في الأمثال الشعبية.

ـ المرأة في الموروث الإنساني:

من المسؤول عن النظرة النمطية الدونية للمرأة في الثقافات البشرية؟

ساهمت العديد من الخلفيات الأسطورية والخرافية والنصوص الدينية والأدبية والفلسفية والثقافات السائدة في تهميش المرأة وجعلها مخلوق ضعيف لصالح الرجل وذلك بجعله سيدا عليها، "فكانت المرأة بذلك معرضة لمظاهر القهر والعبودية في ثلاثية اغترابية هي: العبودية الجنسية، حيث تتحول المرأة جسد لمتعة الرجل، والعبودية الاقتصادية التي تشير إلى استغلال المرأة في مجال الإنتاج والعمل، وأخيرا العبودية المنزلية التي تكون فيها المرأة مجرد أداة لخدمة الرجل والأطفال في إطار الحياة المنزلية " .([1])

وتحديد الخلفيات التراثية المسؤولة عن تهميش وقهر المرأة صعب جدا وذلك لتعدد قضاياها وتنوعها، ولعل أهم هذه الخلفيات ما يلي:

1- الأساطير والخرافات:

تعتبر الأساطير مجموعة من التصورات تتجاوز الواقع الملموس، فهي وليدة الفكر الإنساني ومرتبطة بالمجتمع، كما أنها تشكل لغة التعبير الشعبي ويعتقد الكثير من الناس بها لاتصالها الوثيق بالغيبيات، وتشكل الأساطير خطورة كبيرة لأنها تقدم تفسيرات جاهزة ومقصودة، ورغم ما يحصل اليوم في العالم من تطور علمي وفكري وإعلامي لا يزال الفكر الأسطوري بعدا هاما من أبعاد الوعي البشري، وقد نالت المرأة حصة الأسد في الفضاء الأسطوري.

فالأساطير والخرافات من أهم الأسباب التي دعمت سيادة العقلية الذكورية وأعطت للمرأة دور الإمتاع الجنسي للرجل، والمنجبة للأولاد، والمسؤولة عن أعمال المنزل....

1-علي وطفة، الشواخص الاجتماعية لوضعية المرأة الاغترابية في الوطن العربي، مجلة الفكر العربي 1995،ع82،ص6.

ولطالما وضعت الأساطير للمرأة صفات متعلقة بالدونية والشر ونقمة الجمال مجردة إياها من إنسانيتها، وعلى العكس من ذلك رسمت الأساطير الرجل في صورة إيجابية فهو دليل الخير والبطولة والرجولة...إلخ ،" فعندما تطرح الثقافة الشعبية موضوعة الذكر والأنثى فإنها لا تطرحها على أساس الاختلافات الطبيعية بين الجنسين حيث تؤدي العلاقة بينهما إلى استمرار النوع الإنساني، ولكنها تطرحها على أساس الدونية والفوقية فالمرأة تحتل مرتبة تحتية باستمرار بالنسبة للرجل" .([1])

ولو عدنا إلى أساطير التكوين الأولى لوجدنا أن " هبوط المرأة الأولى (بندورا) من السماء إلى الأرض كان من أجل أن تنتقم من (بريميتيوس) إله الأرض وعباده البشر الذكور المثاليين، عقابا لهم على سرقة النار المقدسة رمز المعرفة من السماء.

ورغم أن (بندورا) قد امتلكت عناصر الجمال كافة التي منحتها إياها الآلهة ، مثل الجمال والرشاقة والحب والشعر والموسيقى ....إلا أن هذه الأشياء كلها مظاهر خداعة تستر في الباطن الجوهر الخبيث، مكمن الخطورة في المرأة التي أعطيت المكر والدهاء كما وهبت حسب بعض الأساطير" الثرثرة وقلب الكلب ونفس اللص وعقل الثعلب، وأيضا حملت معها من السماء صندوق الخبائث، أو صندوق الأمراض الذي نشرته فيما بعد بين الذكور الطاهرين من كل العيوب والأمراض، فعاشوا مع العذاب والألم المتعدد في المرض والفقر والجوع والبخل والقحط والنفاق....وفوق ذلك تحجز (بندورا) الأمل (الفراش الأبيض) القادر على شفائهم وتحسين حالهم في قعر صندوق" .([2])

يظهر من مضمون أسطورة (بندورا) الصورة البشعة التي رسمتها لتكوين المرأة الأولى فحسب هذه الأسطورة فإن الرجال قبل حضور المرأة الأولى لم يقعوا في الأخطاء ولم يعانوا من المصائب لأنهم كانوا رجالا فقط " هانئة كانت حياة البشر في الماضي فما كانوا يعرفون المحن والمصائب، ولا عناء العمل، ولا فاتكات الأمراض، أما بعد ذلك

1-عابد الزريعي، المرأة في الأدب الشعبي الفلسطيني، دار الأسوار، عكاظ، ط3، 1989، ص39.

1-عماد حاتم، أساطير اليونان، دار الشرق العربي، بيروت وحلب، ط2، 1994، ص 166-167.

(بعد حضور بندورا) فقد انتشرت أسراب المحن بين البشر وامتلأت الأرض والبحار بالشرور" .([1])

إن التعرض إلى التاريخ الاضطهادي للمرأة يبرز أن الرجل ساهم في صناعته وترسيخه مستغلا ما حيك من أساطير قديمة حول "دنس المرأة" أو ضعفها ونقصها إلى أن تحولت هذه الأساطير مصيرا وقدرا حقيقيا استغله الرجل للتحكم في المرأة وإحكام السيطرة عليها وإخضاعها لمصير مسقط عليها لم تشارك في صناعته، فانبرى يحدد لها ما يجب عليها فعله وما لا يجب مسطرا لها مصيرا أبديا وإطارا أخلاقيا يمنع استباحته أو مجاوزته .

وترى **سيمون دي بوفوار** أن كل التاريخ والأساطير التي يكتبها الرجال حول النساء موهومة لذلك تقول في هذا السياق " كل ما كتب عن المرأة من قبل الرجال يجب أن يثير الشبهات لأنهم خصوم وحكام في نفس الوقت، وقد سخروا اللاهوت والقوانين لخدمة مصالحهم" .([2])

[1]–المرجع نفسه، أساطير اليونان، ص167.

[2]ــ سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، ت/ مجموعة من المترجمين، ب ت، ص8.

2 ــ المرأة والخطيئة الأولى:

تعد قصة خلق المرأة من الضلع وعلاقتها بالحية وبإبليس والطرد من الجنة الإطار المرجعي المؤسس لاضطهادها التاريخي منذ القدم وإلى عصرنا هذا، "فالأصالة والفرعية التي اتكأت عليها الأجيال للتعاطي مع الجنسين ليست منفصلة عن قصة خلق آدم واشتقاق حواء من ضلعه، فهذه القصة وما أصبغ عليها من تحويرات أسطورية وتوراتية تعد المرجع المؤسس لأدوار الجنسين في الحياة منذ طفولة البشرية حتى عصر الانفجار المعرفي" . ([1])

فقصة خروج آدم وحواء من الجنة بعد أن أغواهما الشيطان فأكلا من ثمر الشجرة المحرمة، وبدت لهما سوءاتهما كما أوردها الطبري نقلا عن" وهب بن منبه" أحد أحبار اليهود الذين اعتنقوا الإسلام تقول" لما أسكن الله آدم وزوجته الجنة، ونهاه عن الشجرة وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم وهي الثمرة التي نهى الله آدم وزوجته عنها. فلما أراد إبليس أن يستذلهما دخل في جوف الحية، وكان للحية أربع قوائم كأنها بختية (ناقة عظيمة تتبختر في مشيتها وتتعاجب) من أحسن الدواب التي خلقها الله .فلما دخلت الحية الجنة، خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حواء، فقال: أنظري إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها، فأخذت حواء فأكلت منها ثم ذهبت بها إلى آدم فقالت: أنظر إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها، فأكل منها آدم ، فبدت لهما سوءاتهما ، فدخل آدم في جوف الشجرة فناداه ربه، **يا آدم أين أنت؟ قال:أنا هنا يا رب ، قال ألا تخرج؟** قال:أستحي منك يا رب قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة يتحول ثمرها شوكا، ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرة أفضل من الطلح والسدر، ثم قال: يا حواء، أنت التي غررت عبدي فإنك

[1] ــ عيسى برهومة، اللغة والجنس، ص72ــ73.

لا تحملين حملا إلا حملته كرها، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مرارا، وقال للحية : أنت التي دخل الملعون في جوفك، حتى غرر عبدي ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك، ولا يكون لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك حيث لقيت أحدا منهم أخذت بعقبه (طاردته)، وحيث لقيك شذح (حطم) رأسك" .([1]) ، إذن الأسطورة التوراتية تحمل المرأة (حواء) السبب المباشر لخروج الرجل من الجنة بسبب الغواية والتبعية للشيطان والأفعى، والأسطورة التوراتية تحمل تعليلا لجملة من الطباع الملازمة للمرأة فهي معادل موضوعي للمكر، والدهاء والخطيئة وهي التي أوقعت الرجل البريء بحبائلها، فمارست إغواءها الجنسي لتحقيق مآربها ويبرز الجنس سلاحا ملحقا بالمرأة، لا مناص عنه لكسب معاركها.

إذا حسب الرواية التوراتية خروج أدم من الجنة سببه المرأة، لذا حملت خطيئة البشرية فلولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر كله، لكن ماذا عن خيانة الأزواج لزوجاتهم ألا تعتبر خطيئة كذلك؟

وقسمت الرواية التوراتية الأدوار بين الجنسين، فالرجل هو سيد المرأة ومالكها والمرأة وظيفتها الإنجاب وتحمل المشاق تكفيرا عن الخطيئة التي أقدمت عليها، فلولا حوّاء ما حاضت امرأة، ولا اقترفت أنثى فاحشة، فضربت اللعنة على المرأة أينما حلت لأنها سبب شقاء الإنسان.

إذن المرأة حسب الأسطورة التوراتية قرين الشيطان، وسلاحه الأمضى، لذا رسخ في المخيال الشعبي أن النساء حبائل الشيطان، وما آيس الشيطان من شيء إلا آتاه من النساء.

وعلى الرغم مما أشاعته الأسطورة التوراتية من ظلال على الفكر المسيحي، إلا أن القرآن الكريم ذكر القصة بصياغة مختلفة عن ما جاء في التوراة، فالقرآن لم يحمل

[1] _الطبري، التفسير، ج1، دار الفكر بيروت،1984 م، ص335.

المرأة المسألة، بل كان محايدا في خطابه، و يظهر هذا في قوله تعالى﴿ يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة و كلا منها رغدًا حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين *فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه و قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو و لكم في الأرض مستقّر و متاع إلى حين﴾ البقرة، الآية 34ــ35.

قصة بداية الخلق في القرآن لم تحمل المرأة مسؤولية الخروج من الجنة بل كان الخطاب بصيغة المثنى : فأزلهما، فأخرجهما، خلافا لما جاءت به التوراة، لكن نظرا لتوزع القصة في القرآن على آيات متعددة ــ لم تأتي نصا متصلا ــ لم تعطي المعلومات الكافية عن قصة خلق آدم وحواء ولا عن تفاصيل خروجهما من الجنة، مما دفع بالمفسرين المسلمين بالبحث عن هذه التفصيلات في التوراة وتفاسير اليهود، فشاع في تفاسيرهم إيحاءات أسطورية رسخت في المخيال الشعبي فهي مشتقة من ضلع أعوج وهي قرين الشيطان، ومكمن الخطيئة والرذيلة، سلاحها الإغراء، وطبعها المكر والدهاء.

وأسطورة خلق المرأة من ضلع الرجل، وتمكنها بالتواطؤ مع الحية والشيطان من إخراجه من الجنة، وقصة الجنة والشجرة المحرمة والأفعى والمرأة الغاوية، موجودة في جميع الأساطير والقصص الشعبية في العالم كله، وقد أظهرت جميع هذه القصص أنَّ هناك جنة، وفي الجنة أشجار، منها شجرة محرمة، وفيها أيضا أفعى تنفث السم، وتسلب الجنس البشري ميزة الخلود، وجميع القصص تجعل المرأة دوماً هي الأداة التي تتخذها الحية، أو يتخذها الشيطان وسيلة لإيقاع الإنسان في الشر الجميل، سواء كان اسم هذه المرأة حواء أو ليليت أو بندورا أو ويوسي كما ورد اسمها في قصص (شي جنج) الذي يقول: "إنَّ كل الأشياء كانت في بداية الأمر خاضعة للإنسان، لكنَّ امرأة ألقت به في ذل الاستعباد، فشقاؤه لم يأت من السماء، بل جاءت به المرأة، وهي التي أضاعت الجنس البشري" .([1])

1_ السواح فراس، لغز عشتار، دار علاء الدين دمشق، سوريا، ط8، 2002، ص31.

ويذكر(روبرت برايولفت) في كتابه (الأمهات)، "أنَّ اليونانيين اعتقدوا بأنَّ عدد أضلاع الحية يعادل عدد أيام الشهر القمري، وفي ذلك تعبير رمزي عن صلة المرأة بالحية ..". ويذكر أيضا عن أسطورة من الكونغو، تقول: "عندما أحاقت كارثة الطوفان الكبير بالأرض، عَمَّ الذعر المخلوقات وأعادهم إلى أصولهم الأولى، فتحول الرجال إلى قرود وتحولت النساء إلى أفاع"([1]). ومع هذا الاتحاد الجسدي لآدم وحواء، ظهر في العالم مفهوم (خطيئة الجسد)، واستمر عبر الزمن مقيماً في ضمير كل البشر على اختلاف عقائدهم وديانـاتهم)) .فالمرأة وقد دفعتها الأفعى هي الساقطة الأولى، لذا كان لابد وأن تكون حواء هي المثال الأول للغواية والضلال" .([2])

إذا اتفقت معظم الأساطير القديمة على تحميل المرأة مسؤولية خروج أدم من الجنة ومسؤوليتها عن كل الشرور والفساد الذي يحدث في الأرض، وكان لذلك أثرا كبيرا على حياتها و كان سببا لدونيتها وتحقيرها على مر الأزمنة .

[1]ــ المرجع نفسه ، ص32

[2]ــ المرجع نفسه، ص 25.

3_ المرأة في المخيال التراثي الشعبي :

الموروث الثقافي الشعبي مادة حية تضم كنوز فنية غزيرة تعتبر وعاء للكثير من العادات والتقاليد والأعراف التي تشيع في مجتمع ما، وتتداول بين أفراده، ويلتزم بها عبر أجياله وهو نوعان : أدب مكتوب في قصص وسير وحكايات مكتوبة بالعامية موجهة للعامة وملبية لاحتياجاتهم، وأدب منطوق مجهول المؤلف، حفظته الذاكرة الشعبية كالأمثال والحكايات والملاحم والموسيقى والغناء والرقص والألعاب والألغاز....إلخ وللأدب الشعبي بأشكاله المتنوعة عدة وظائف وأدوار يؤديها في المجتمع، بحيث لا تستغني عنه الجماعة، فهو أداة ثقافية حيوية وفاعلة تخدم الجماعة الإنسانية، فله قدرة فائقة على تصوير العلاقات الاجتماعية والواقع شكلا ومضمونا، وهو يمارس تأثيرا كبيرا على المجتمع إلى جانب الدين والثقافة والعرف الاجتماعي، وهو حافظ لتراث الأمة الثقافي الفكري الذي " ينتقل بفكر الأمة وعاداتها وتقاليدها وحكاياتها وقصصها وأنسابها ومعتقداتها من جيل إلى جيل" .([1])، فهو كالمرآة أو الدليل الذي يكشف ثقافة أي مجتمع بشقيها المادي والمعنوي.

والثقافة الشعبية ــ كفلسفة للمجتمع ــ ترصد أنماط وسلوك الأفراد وتؤثر في طرق تفكيرهم وتصرفاتهم، فتقسيم الأدوار الاجتماعية على أساس الجنس بين الرجل والمرأة يعود أصلا إلى التصورات التي ينتجها المجتمع بتأثير عاداته وثقافته، وتبرز مساهمة الموروث الثقافي الشعبي في قضية النوع الاجتماعي " الجندر" حيث أن القيم المجتمعية مازالت ترفض بإسرار مساواة الرجل مع المرأة بحجة الأدوار الأمومية والزوجية.....

فأهم المواضيع التي تناولها التراث الشعبي موضوع المرأة، فهو يعمل على خدمة واستمرارية مختلف المعتقدات والأعراف السائدة عن المرأة فــ "عندما تطرح الثقافة

1ــ بدير حلمي، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2003، ص26.

الشعبية موضوعة الذكر والأنثى فإنها لا تطرحها على أساس الاختلافات الطبيعية بين الجنسين، حيث تؤدي العلاقة بينهما إلى استمرار النوع الإنساني، ولكنها تطرحها على أساس الدونية والفوقية ، فالمرأة تحتل مرتبة تحتية باستمرار بالنسبة للرجل" .([1])

إن الذكر وبعد الانقلاب الأكبر الذي قاده ضد مجتمع الأمومة، كان قد احتل المؤسسات الدينية واللغوية ومؤسسة التاريخ بالإضافة إلى مؤسسات المجتمع : الأسرة السلطة، الحكم .. وتسيّد عليها، وتدريجيا صارت المرأة في كل هذا مهمشة، وبرزت فقط ضمن شروط شديدة التعيين، ولذلك فإن التراث العربي ليس استثناءا من هذا الاحتلال فالذكر– عموما– هو الفاعل فيه ومدونه، ويستطيع حسب مصالحه وثقافته أن ينفي من يشاء ويضيف ما يشاء، فالسلطة التي يتمتع بها مدون التاريخ والتراث عموما (و التذكير هنا مقصود) تخوله أن ينظر من زاوية متحيّزة وأن يحذف ويضيف ما يؤكد انتصاره وانكسار خصمه .

ولا تخلو المأثورات الشعبية من حضور المرأة، فنعتقد أنه بمجرد ذكرنا لكلمة "امرأة" نكون قد دخلنا في مجال الموروث الثقافي من بابه الواسع لأن ما أنتج عن المرأة مكتوبا كان أو منطوقا شكل رصيدا هائلا لا يمكن حصره، وخاصة الأمثال فلقد استحوذت المرأة على نصيب كبير منها، فكانت محل اهتمام واضح من جانب واضعي الأمثال الشعبية، وإن كانت تتضمن في معظمها إساءة مباشرة وغير مباشرة للمرأة وتكرس لها نظرة دونية متخلفة، فقد سايرت ما يجود به التصور الثقافي العام عنها، فمعظم الأمثال الشعبية رسمت معالم صورة المرأة بتوظيفها للصفات السلبية، أما الصفات الإيجابية فهي قليلة إن لا نقل غائبة على الإطلاق، فهي تعتبرها كائنا غير صالح يجب نبذه والابتعاد عنه بصفة قاطعة، لأنها متحايلة غدارة وخداعة، حقودة، كائدة وغاوية.

2_عابد الزريعي، المرأة في الأدب الشعبي الفلسطيني، ص39.

إذا الثقافة الشعبية نسبت العديد من الصفات السلبية للمرأة وألصقتها بطبيعتها كالغدر والخيانة، والسفه، والفجور، وتقلب الأهواء، والمكر، والخديعة، والأنانية، وإيثار الذات وقصور العقل، وعدم صواب الرأي والفكر، ومن ثم نصحت بعدم الثقة فيها أو الأخذ بمشورتها، وخصت هذه الثقافة المرأة بهذه السمات السلبية دون الرجل مغفلة أن الطبيعة البشرية لم تلعب دورا في هذا التمييز، وإنما هو من صنع الرجل ذاته، إذ أن لكل من الرجل والمرأة صفات سلبية وإيجابية، وعيوب، ومميزات وهذه الصفات ليس خاصة بجنس معين. كما لا نغفل دور التنشئة الاجتماعية في هذا التفكير، فالأفكار التقليدية التي لطالما حملها الموروث الشعبي عن المرأة في مختلف العصور والثقافات من المفروض أنها أصبحت من الماضي ولم تعد تعبر عن المرأة العصرية التي أصبحت لها مكانة متميزة في المجتمع مع التغيرات الاجتماعية والثقافية المعاصرة بعد أن شغلت العديد من الوظائف واخترقت مختلف الميادين العلمية وأصبحت عنصرا فاعلا و نشطا فيها. لكن ارتفاع معدلات التعليم وزيادة فرص العمل لا يعتبر مؤشرا على فهم أفراد المجتمع لقضية المرأة، فمازالت القيم المجتمعية ترفض مساواة المرأة بالرجل.

ولتبيين النظرة السلبية التي قدمتها الثقافة الشعبية للمرأة اخترنا دراسة عينة من الأمثال الشعبية الجزائرية وإبراز ذلك فيها، وارتأينا قبل ذلك تقديم نظرة شاملة عن الأمثال الشعبية وعلاقتها بالمرأة.

4 ــ الأمثال الشعبية:

تعبر كل المأثورات الشعبية الشفهية عن الضمير الجمعي للمجتمع وعن تجاربه الحياتية في ظروف اجتماعية واقتصادية معينة, وأهم هذه المأثورات الأمثال الشعبية التي تعبر عن فلسفة المجتمع, وترصد أنماط سلوك الأفراد وتؤثر في طرق تفكيرهم وتصرفاتهم، ويتميز خطاب الأمثال الشعبية بانتشاره السريع بين مختلف الفئات الاجتماعية لسهولة تمثله واستيعابه ولبنائه التركيبي وقدرته التعبيرية التي تجعله يعكس مختلف أنماط السلوك البشرى، ثم لاستمرارية حضوره وانتقاله من جيل لآخر، إضافة إلى قدرته المجازية الكبيرة، ويعبر هذا الخطاب عن الواقع ويختزن صوراً مختلفة عن الواقع البشرى، من ضمنها صورة المرأة، وقد احتلت المرأة النصيب الأكبر والوجود الفعال فيه.

وصورة المرأة في المثل الشعبي لا يؤمن فيها عامة الناس فحسب بل هي صورة يعتقدها الكثير من العارفين والمثقفين حيث تقتضي الضرورة تصرفهم بلا وعي بفعل الضغط الإكراهي الواقع عليهم من سلطة المجتمع أو بفعل رغبتهم بهذه الانزياحات التي يحبذونها ويختارون سياقاتها عند اختلافهم مع المرأة، وإن كانت التشريعات والقوانين والواقع الحديث الذي وصلت اليه المرأة قد اتسم بالتطور والوعي, إلا أن النظرة الدونية للمرأة لا تزال مهيمنة على هذا الصراع وبالتالي عزلها وتهميشها, فصورة المرأة في الثقافة الشعبية تأسست على نمط يقوم على السيطرة والتهميش واستغلال الخصائص البيولوجية والنفسية وعكسها على المنظومة الأخلاقية، والفكرية، والثقافية في المجتمع الذي يورثها لأفراده لتستمر هذه الصورة، ومهما حققت المرأة من مكتسبات ينظر إليها على أنها قاصرة وتابعة لعالم الذكور.

تضمنت أغلب الأمثال الشعبية إساءة مباشرة وغير مباشرة للمرأة, كما كرست النظرة الدونية لها لتبعيتها للرجل, وقد غلب عليها السخرية منها، ودعمها للاختلاف

النوعي الأعمى بين الطرفين، فالتميز في النوع الاجتماعي قد كرسته ثقافة المجتمع عبر أسلوب التربية ما يؤكد أهمية التنشئة الاجتماعية في التمايز النوعي وخاصة بالنسبة للمرأة إذ تم تكريس القناعة عندها أن وظيفتها الرئيسية أن تكون زوجة مطيعة وأما حنونا وأدنى من الرجل, وبالتالي أي تغيير في هذا الوضع سيؤدي الى تصدع اجتماعي واختلال في الأدوار المتوقعة, وقد أثبتت التجارب والدراسات والبحوث إن شخصية الإنسان هي نتاج التنشئة الاجتماعية وتراثه الثقافي.

ورغم المكانة التي منحها الإسلام للمرأة مازلت المجتمعات العربية تقلل من شأنها حتى وقتنا الراهن ونحن في أوائل القرن الحادي والعشرين، فمازالت تعانى من التخلف والظلم الاجتماعي سواء من الرجل أو من العادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع، ومازالت المجتمعات العربية تعلى من قيمة الذكر، ولعل ما تقدمه الأمثال الشعبية من صور التمييز ضدها أقرب دليل على وضعها في هذه المجتمعات، فكثيراً ما تعمل الأمثال الشعبية على وضعها في مكانة أقل من الرجل مثل قولهم " ظل راجل ولا ظل حيطة ، المره ضلع قصير، هم البنات للممات"....

والمفارقة أن المرأة مسؤولة إلى حد ما عن تكريس صورتها السلبية، باعتبارها فاعلاً أساسياً فى مجال التنشئة الاجتماعية، فالوضع الدوني للمرأة في الأسرة والمجتمع لا تعبر عنه الأمثال الشعبية (والثقافة الشعبية بشكل عام) فحسب، وإنما تعمل على تكريسه، بفعل التنشئة الاجتماعية، ووصف المرأة باعتبارها الأكثر خضوعا للتقاليد والأعراف والعادات وللموروث الثقافي بصفة عامة .

ظل الرجل في المخيال الشعبي رديفا للفحولة والقوة، وأختُزِلت المرأة في أطوار حياتها الجنسية والصفات المحفورة في الذاكرة الجمعية، فحضور الرجل في المخيال الشعبي صارخ، متعدد التحققات، وهو ممتد في نسيج الحياة المختلفة، أما المرأة فاقترنت

بمجموعة من القيم الراتبة حاكت لها ذاتها وطباعها، وعملت الأمثال على تعزيزها وإلحاقها بها، فهي وفقا لذلك: ذات كيد، جسد ضعيف، وعقل ناقص، وليست أهلا للمشورة، وقرينة الشيطان، ومجلبة للعار والهم، ضلع أعوج، وليست أهلا للود.

5 ــ المرأة الجزائرية في الأمثال الشعبية الجزائرية:

قدمت الأمثال الشعبية الجزائرية كغيرها من الأمثال العربية والعالمية المرأة في نمط سلبي ودوني، واعتبرتها مجرد جسد خال من العقل، ووصفتها بالمكر والكيد، وأنها ضلع أعوج يصعب تقويمه، ويغلب على تصرفاتها الثرثرة والنفاق والحسد....إلخ ، ولابد أن وجود هذا القدر الكبير من الأمثال التي تتناول المرأة بهذا الفكر سيكون له الأثر في تكوين صور مسبقة وسلبية عنها، تلازمها في مجتمع يتناقل الأمثال جيل بعد جيل ويحافظ عليها.

ــ ولادة المرأة وتربيتها:

إذا تعكس الأمثال الشعبية الجزائرية نظرة المجتمع للمرأة باعتبارها جزء منه وللمرأة في نفس الوقت الأثر الكبير في تكوّن هذه النظرة، فانطلاقا من لحظة ميلادها يتم الفصل بينها وبين الذكر، فميلاد الذكر ينتظر بفرح وحبو، على عكس ميلاد الأنثى الذي يمثل خيبة أمل للعائلة، ومن هنا يبدأ التمييز على أساس الجنس، وهذه الظاهرة لا تخص المجتمع الجزائري فقط وإنما عدة مجتمعات عربية وغير عربية، وعبرت الأمثال الشعبية عن هذا التمييز، ومنه قولهم " **الي جابت لبنات همها للممات**" دليل على رفض الأنثى وشقاء أمها طول حياتها، وقولهم عند تهنئة المرأة على إنجاب الأنثى من باب المجاملة " **مبروك على الصهر**" ذاك الذي سيخلصها من ابنتها مستقبلا، إذا التمييز يبدأ **من** لحظة الولادة من خلال المعاملة التي يتلقاها الجنسين، ومن خلال الأفكار التي تنقل لهم عن الذكورة المتفوقة والأنوثة الضعيفة الخاضعة من قبيل قولهم " **كلمة لا لا ذكر وكلمة إيه أنثى**" فالذكورة عندهم رفض وتمرد والأنوثة قبول وخضوع.

وتربية البنت في المجتمع الجزائري تخضع لضوابط وقيود، فيجب أن لا تكون ثرثارة وتتصرف برزانة وتلتزم الحياء والحشمة " **المرة بلا حيا كي الطعام بلا ملح**" ولا تكون مسترجلة كي لا تفقد أنوثتها " **عيشة راجل**" فكل ما يصدر منها هو محل انتقاد المجتمع

وإذا خرجت عن الضوابط تكون **سايبة** و" **كل سايبة عايبة**" أي لم تربى تربية حسنة كما تعد العفة والشرف من أهم ما يجب أن تلتزم به الفتاة، حفاظا على شرفها وشرف عائلتها مما يخضعها للمراقبة والحجب والستر، والرقابة على خروجها وتفضيل ملازمتها للبيت "**خنفوسة مدسوسة خيرمن ياقوتة تبان**"، وهذا العزل يؤثر سلبا على الفتاة الجزائرية التي عاشت محصورة ما بين جدران البيت خاضعة تابعة وضيقة الأفق محرومة من التعليم كقولهم "**ما تعلم بنتك حروف ما تسكنها غروف**"، على عكس الرجل الذي تعلم وخاض تجارب متنوعة فكان له حظ القيادة والتسلط .

كما تربط الثقافة الشعبية عدة صفات سلبية بالمرأة، فهي مصدر شؤم ونحس فيقال دائما "**الخير مرا والشر مرا**" فيلقى على المرأة مسؤولية خيبة الرجل ووقوعه في المصائب وعدم توفيقه .

ـ المرأة المطلقة " الهجالة" :

إذا انفصلت المرأة عن زوجها تنعت ب" الهجالة" وهو معنى دوني يدل على أن المرأة لا قيمة لها من دون رجل، وتكثر الرقابة عليها، وينتقص من قيمتها، ولا تؤتمن " **من أمي ما تامنو هجالة**"، "**إذا يتزوجو يتعوجو، وإذا يتهجلو يتحوجوا**" فالمطلقة في المجتمع مسؤولة عن طلاقها وعادة ما تكون محل نفور ورفض" **لا تاخذ الهجالة ولو كانت باهية الحالة**" ،" **الهجالة ربات عجل ما فلح، ربات كلب ما نبح**" ، فالمجتمع يزدري المطلقة، فالمرأة تكون أكثر قيمة حينما تكون بكرا، وبقاؤها بدون حماية الذكر يمثل خطرا على المجتمع الذي يرى فيها خطر الانحراف ويعتقد أن زواجها معيار الشرف والطهارة وهكذا تعاني المرأة المطلقة ضغطا نفسيا وتعيش محتقرة رغم أن الدين شرع لها الطلاق في حال استحالة استمرار علاقتها الزوجية.

ـ الضلع الأعوج:

يقصد بالضلع الأعوج في الفكر الثقافي الشعبي نقص عقل المرأة وتمسكها برأيها وأنه مهما حاولت تقويمها زادت اعوجاجا، وهذا المعنى مستمد من التصور الإسلامي المستمد من الحكاية التوارثية التي ترى أن " المرأة عوجاء لأنها خلقت من أعوج وهو الضلع".([1]) ، ويقال إن ذهبت تقيمها كسرتها، و إن تركتها استمتعت بها على عوج فيقال " **عادت حليمة لعادتها القديمة ــ لي فيها فيها لو تقطعولها يديها ورجليها** " فالمرأة يصعب عليها الرجوع عن رأيها وعاداتها السيئة، كما وصفت المرأة بنقصان العقل والثرثرة وإفشاء الأسرار " **لالا لسانها قد تكة سروالها ــ انتوما النسا هدرتكم ما تنحصى، ومرقتكم ما تنحسىــ الي يحب الهراج يكثر النسا والجاج** " من كثرة كلامها ويقال عن المرأة التي لا تحفظ سر، والتي تنقل الأخبار وتفشي الأسرار " **الي عينو في سرو يفشيه يجي لمجلس النسا ويوريه**" ، "**مشات للحمام جابت أخبار عام**" ، واتصاف المرأة بالثرثرة ونقل الأخبار وإفشاء الأسرار حسب رأينا نابع من الفراغ الذي تعيشه والمفروض عليها فهي تعيش مكبوتة لذلك نجدها تتحدث بكثرة وبلا فائدة أحيانا، وتنقل الأخبار من فلانة إلى أخرى لأنها تجد في ذلك متنفس للتعويض عن أشياء كثيرة محرومة منها كالخروج والتعلم وممارسة نشاطات أخرى مما يجعلها تنشغل بتوافه الأمور، وإن غاب الرجل عنها وتحررت بعض الشيء من قيوده نعتت **بالسايبة** فتقول الأمثال " **الرجال غايبة والنسا سايبة ــ الرجال في الحركة غايبة والنسا في الديور سايبة ــ هاك الغرايب المرا مكحلة والراجل غايب**" .

[1] ــ صبار خديجة، المرأة بين الميثولوجيا والحداثة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص14.

ــ كيد النساء :

يصور المخيال الشعبي على غرار الثقافة العربية الإسلامية المرأة كمدبرة مكائد وحيل ويعطي عنها أفكار وتصورات سلبية من قبيل أنها مخادعة ، كاذبة، ماكرة، داهية لعوب، فاتنة وغاوية، تستمد دهاءها من الشيطان ومن مهاراتها الإغواء والإغراء ، وهذه الصفات لها عدة مرجعيات، دينية وثقافية وأسطورية، ولطالما حذرت هذه المرجعيات الرجل من كيد النساء وخطرهن، فهي " الأداة التي اتخذها الشيطان وسيلة لإيقاع الإنسان في الشر، بل تعتبر الشيطان ثالث الجنسين، وبالتالي فالاطمئنان إلى سلوكها غير وارد" ([1])

وعبرت الأمثال الشعبية عن ذلك، فصورتها أداة طيعة بيد الشيطان " **النسا بقرات ابليس ــ كيد النسا غلب كيد الرجال ــ كيد النسا قوي وكيد الشيطان ضعيف ــ الي ما يقدرش عليه الشيطان تقدر عليه مراــ حطت الشيطان في قرعة** " وكيد المرأة في هذه الأمثال يتفوق حتى على كيد الشيطان، وحذرت الثقافة الشعبية الرجل من هذا الكيد والدهاء والمرأة التي " تتحين الفرص وتبتكر الحيل من أجل الإيقاع به لكي تصرع روحه وعقله وتقضي عليه جنسا وجنسيا، هذا هو الخطر المؤنث كما تصوره الثقافة ".([2]) ولهذا تدعو الأمثال إلى عدم مشاورة النساء والأخذ برأيهن فيقال " **طاعة النسا ندامة طاعة النسا تدخل للنارــ الراجل اللّي عمرو ما يشاور مرا ــ شاور مرتك وخالفها ــ شاورها لا تعمل برايها** " وتعكس هذه الأمثال صورة عن المرأة يغلب عليها طابع الدونية حيث تحث على عدم مشورتها للاعتقاد بعدم صواب رأيها وفكرها، وتسخر من الرجل الذي يأخذ برأي زوجته وتصف عاقبته بالخراب، كما تحثه على عدم الثقة بها بوصفها غير أهل للثقة مهما فعلت " **آمن للحية ولا تأمن للمرة ــ المراه ما تتامن ــ** " فالأمثال تنسب للمرأة صفة الغدر والشر والخيانة وعدم الوفاء " **ضربة النسا ما تتنسى ــ اللي بغا**

---

[1] ــ خديجة صبار، المرأة بين الميثولوجيا والحداثة، ص55.

2 ــ عبد الله الغدامي ، ثقافة الوهم، ص95.

العذاب يرافق النسا والكلاب ــ كل بلية سببها ولية ــ إذا حلفت فيك مرا بات قاعد وإذا حلف فيك راجل بات راقد ــ أربعة يا إنسان ما فيهم أمان المرا والسلطان البحر والزمان ــ ما في الشتا نهار دافي ولا في النسا عهد وافي" إذا عملت الأمثال على " التحامل على المرأة وإغراقها في بحر من النقائض على رأسها الخيانة والغدر وسوء المعاملة والتخويف من سلوكها الأنثوي الملتوي وطبيعتها المائلة للانحراف ".([1]) وتحامل الثقافة الشعبية على المرأة ووصفها بهذه الصفات مرجعه الخلفية الدينية فبعض علماء الدين يرون أن المرأة فتنة وهي أحد شواغل الدنيا التي استخدمها الشيطان لخراب حياة الإنسان، ف" النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطان على الرجال".([2])، وهن فتنة الدنيا " اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء ، فإن فتنة بني إسرائيل الأولى كانت من قبل النساء" . ([3])

ــ النساء ناقصات عقل ودين:

عرف عن المرأة نقصان العقل وهذا مرجعه ديني مذكور في حديث الرسول صل الله عليه وسلم، ولكنه لم يفهم وحور معناه فنقصان العقل ليس بالضرورة نقصان الذكاء فهناك فرق بين العقل والذكاء، وأن الحديث لا يستنقص من ذكاء المرأة، ولكنه يشير فقط إلى نقصان العقل، والعقل يختلف عن الذكاء، لأن من النساء من تفوق الرجال ذكاءً وفطنة، بدليل أن اللص المحترف يوصف بالذكاء ولا تستطيع وصفه بالعقل، وتزودنا الأمثال الشعبية الجزائرية بعديد من الصور التي تنفي صفات العقل عن المرأة، وتختزلها في جسد خال من العقل، واهتمامها منصب على هذا الجسد، فيقال " **شبوب الرجال في عقولها، وعقول النسا في شبوبها** " فالثقافة تقول أن النقص الجسدي عند الرجل يعوضه

---

[1]ــ خديجة صبار، المرأة بين الميثولوجيا والحداثة، ص60.

2ــ أبو حامد الغزالي ،إحياء علوم الدين ، بيروت، دار المعرفة ،ج3، ص100.

[3]ــ المرجع نفسه، ص 102.

العقل بينما ذاك النقص عند المرأة ليس له تعويض، فـــ " مصير الرجل إلى حكمة وحنكة ونضج عقلي يعوض النقص العضلي، أما النقص الجسدي في المرأة فليس له من تعويض لأن الثقافة تنفي العقل عن المرأة ..... فالثقافة تنفي العقل عن المرأة وتحصرها في الجسدية الحسية، وتجعل عقلها بين الأفخاذ، وأقدامها أبصر وأفهم من رأسها ".([1])

ـــ جسد المرأة :

ساهمت الأمثال الشعبية في وضع المرأة بمرتبة دونية في المجتمع وتشييئها ناعتة إياها بأبشع النعوت والصفات، فقدمت عنها أحكام مسبقة جائرة ومجحفة في حقها اختزلتها إلى جسد بدون عقل " فالشرط الثقافي قسم العقل واللغة وجعلهما للرجل، أما الأنوثة فهي مجرد جسد يستقبل اللغة ويخضع لها" .([2])، هذا الجسد الذي اعتبرته عورة " **المرا كيف المشموم وين تمشي تشعشع ريحتها** " .

ـــ المرأة منحوسة :

معروف أن الفرد في حياته يتشاءم ويتطير من بعض المظاهر التي يعيشها في حياته ويقرنها بأشخاص وأشياء معينة، والمرأة كانت محل شؤم في المثل الشعبي الجزائري فيقال " **الخير مرا، والشر مرا**" فعادة ما تربط المرأة ببعض الأحداث في الحياة كالربح والخسارة، وتظلم الأمثال الشعبية المرأة في وسمها وربطها بالنحس والشؤم وهذه الظاهرة مرتبطة بالزوجة في المجتمع الجزائري فقد يكون قدومها على الرجل خيرا وقد يكون العكس، فيقال " **واحد اعفس على تمرة ، وواحد اعفس على جمرة ـــ واحدة تجيب الخير معاها والأخرى تخرجو بعمود**" فهذه الأمثال تعبر عن خيبة أمل الرجل وعدم توفيقه، وإذا لم ينجح الزواج فمرجعه أن المرأة منحوسة، وهذه الفكرة لصيقة في عقلية المجتمع المرأة نحس.

---

[1] ـــ عبد الله الغدامي، ثقافة الوهم، ص 59/58.

[2] ـــ المرجع نفسه، ص64.

ــ المرأة العاقر:

تعتبر المرأة في المجتمع الجزائري وسيلة إنجاب، فالغاية من زواجها هي الإنجاب وكما أسلفنا الذكر تتحقق مكانتها في المجتمع وتتعزز بإنجاب الذكور والمحافظة على النسب، والأمثال تدعم هذه العقلية لأنها تمثل المجتمع وتعكس أفكاره وآراءه، ومن هنا تظهر أزمة العقيم أو (العاقر)، في مجتمع يحتقر المرأة، وتجد الولود فيه مكانة بصعوبة فما بالك المرأة العاقر أو العقيم، فالتي لا تنجب أو التي يتأخر حملها تعتبر مصيبة وعارا بل ومثارا للمعايرة والشماتة، وقد يؤدي عقمها إلى تهديد حياتها من قبل الزوج وأهله ".([1]) وعبرت الأمثال الشعبية عن المرأة العاقر ووصفتها ب (خالية الدار) " **المرا بلا ولاد كي الخيمة بلا وتاد**"، وحثت الرجل على اختيار المرأة الولود " **محرومة وحارمة**" محرومة هي من الإنجاب وحارمة لزوجها من الأولاد، وتعاني المرأة العقيم في المجتمع على عكس الرجل العاجز عن الإنجاب، فكابوس العقم يتهددها دوما باستبدال، أو نبذ، أو طلاق، فلا وجود للمرأة إلا عبر الإنجاب، و" إذا عجزت عن الإنجاب فلا قيمة لها، ولا فائدة ترجى منها، وعليها أن ترضى بنصيبها وتستكين لقدرها وترحب بالتي ستدخل ضرة عليها" .([2])

والأمثال الشعبية تعبر عن واقع المرأة العقيم، وفي نفس الوقت تشكل وسيلة للضغط عليها بوصفها بالجسد الفارغ الخال في مقابل المرأة الولود التي تمنح الاستمرارية للعائلة ولفحولة الرجل.

حاولنا تقديم نماذج عن صورة المرأة في الأمثال الشعبية، والتي اتسمت بالنمطية والسلبية، ووصفتها بالمكر والدهاء، ونقصان العقل، وأظهرت الرجل عاجزا على مقاومة

1ــ سامية علي حسنين، صورة المرأة في المثل الشعبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1 2006 ص48.

[2]ــ خديجة صبار، المرأة بين الميثولوجيا والحداثة، ص53.

كيدها، فهي تفوقه ذكاء وقوة ، كما عملت على تشيء المرأة وتحقيرها فهي عورة خلقت من ضلع أعوج، وهذه الصفات التصقت بها نظرا لقوة تأثير الأمثال الشعبية في المجتمع ولانتقالها من جيل لآخر، وهذا كان له الأثر الكبير في تشويه صورتها ودونيتها في المجتمع فأصبح يعتقد بالأفكار التي تعبر عنها حتى وإن كانت غير موجودة .

المبحث الثالث: المرأة والمعيار الديني والإيديولوجي

1ــ المرأة في الديانة اليهودية.

2 ــ المرأة في الديانة المسيحية.

3 ــ المرأة في الإسلام.

4ــ المرأة في الخطاب الديني.

المرأة والمعيار الديني والإيديولوجي

موضوع المرأة وقضاياها لا يمكن مناقشتها والفصل فيها دون استحضار المنظور الديني باعتباره رسم لها صورة ذات معالم محددة، ولا نجد أي باحث يتعرض لموضوع المرأة دون أن يتعرض لموقف الدين منها، فلا يمكن أن ننفي تأثير البعد الديني في حياة الإنسان، بل وحتى في كل ممارساته الاجتماعية، باعتبار أن الدين يستلزم من الإنسان الامتثال لمختلف الأحكام والفرائض، وكذلك الخضوع لمختلف التعاليم، وتعمل مختلف المؤسسات التربوية والاجتماعية على إقناع الأفراد بهذا الخضوع ليصبح المؤسس لقيمه وقناعاته، ولهذا السبب يجب التركيز على الخلفية الدينية التي تتحكم في السلوك وتضبطه، فالدين من أهم العوامل المتحكمة في سلوك الإنسان عامة والمؤسس لصورة المرأة لديه.

عانت المرأة كثيرا لدي أغلب الأمم والتشريعات ، فعاشت وضعا قاسيا ومهينا، فلم ترتق عندهم حتى لمكانة إنسان بروح، واعتبروها أصلا للشرور والآثام في الوجود ف" لو تأملنا بعض المرجعيات الدينية، فإننا نقف على صورة سلبية للمرأة، بل مكانة دونية، تفتقر إلى الرفع من مكانتها إلى مرتبة الإنسان، فنجد التحريم والتجوير، بل أن النظرة للمرأة تستند إلى بنية فكرية منشدة إلى أفق فكري يكاد يكون قبرا ووأدا، إنها اللعنة التي تحيط بالمرأة، وكلما اقتربت من "جنان" الرجل إلا وأفقدته نظارته وصفاوة فكره." .([1])

1-نادية السنوسي، الذاكرة الذكورية للفلاسفة الغربيين ضدّ قابلية المرأة للتفكير، الفلسفة والنسوية، إشراف وتحرير علي عبود المحمداوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1،2013، ص22.

1ــ المرأة في الديانة اليهودية:

لم تشد شريعة إسرائيل عن مناهج الشرائع القديمة من اعتبار المرأة متاعا للرجل وتابعا له، وعليها الخضوع التام لصاحب السيطرة والحرص على إرضائه وطاعته وكانت بمثابة شيء من الأشياء تباع وتسبى ويتزوج بها وتطلق وتكاد تنتقل بالإرث، فلا إرادة لها ، فبالرجوع إلى بعض ثنايا الديانة اليهودية وتعاليم التلمود، فإن المرأة لا يجوز لها تلاوة التوراة، بل ليس لها الحق حتى المشاركة في العبادة، و"القصد من ذلك أن المرأة ليس لها القدرة والحكمة في تأويل نص التوراة، وفهمه وتفسير معانيه، بل أنها يمكن أن تفرغه من قدسيته، فهي إذن أدنى من الرجل، بل أنّ التحقير يصل إلى تصنيفها في مرتبة الحيوان" .([1])

وهذا الإقصاء وعدم الاعتراف بالمرأة يرتقي لدى بعض المفكرين والفلاسفة إلى " اعتبار المرأة "لعنة" تطارد الرجال، وكان على الأب أن يبيعها، إن المرأة في بعض مآثرهم "أمرّ من الموت....وأن الصالح أمام الله ينجو منها"، إنه تصور يوحي لنا بلحظة الجاهلية حيث أن المرأة وجب وأدها إنقاذا لشرف العائلة ". ([2])

ومن أدعية اليهود دعاء يقول أن اليهودي يحمد الله أنه خلقه يهوديا، وليس في غيره من الأديان، وأن خلقه رجلا وليس امرأة، وما المرأة في الفكر الديني اليهودي إلا عبدا وقاصرا لعدم استقلاليتها وارتباطها بزوجها، فهي بدونه نكرة وأنّ وجودها وعدمه حد سواء .

كما كانت المرأة عندهم غير طاهرة بالفطرة " فالتي تلد ذكرا تبقى سبعة أيام غير طاهرة، ثم تقضي لاستكمال طهارتها ثلاثة وثلاثين يوما منذ الولادة، ويحضر عليها الدخول إلى قلب المعبد مدة أربعين يوما، وأما التي تلد أنثى فيلزمها

---

1 ــ نادية السنوسي، الذاكرة الذكورية للفلاسفة الغربيين ضدّ قابلية المرأة للتفكير،الفلسفة والنسوية ، ص22.

[2]_ المرجع نفسه ، ص23.

ضعف المدة"([1]) وتعتبر في وقت الحيض نجسة عندهم، ف"من يمسها ويمس مقعدها يكون غير نقي إلى المساء، ولا تطهر إلا بالماء البارد، ولا يقربها زوجها إلا بشهادة من رأتها تغتسل" ([2]) وأما من حيث المكانة الاجتماعية فليس للمرأة عند اليهود منزلة، فهي شيء منحط على مستوى الإنسانية، و" لا يحق لها أن ترث بوجود الذكر، ولا تقبل بتاتا في الوظائف الدينية، ولا تقبل شهادتها، بل لا يعتد بنذرها وقسمها سواء كانت بنتا أو زوجة إلا أن يثبت ذلك أبوها بسكوته" .([3])

وفي التوراة يحمّل "اليهود" حواء مسؤولية خروج آدم من الجنّة، وينقل "بن كثير الدمشقي" روايتهم بقوله: "أنّ الذي دل حواء على الأكل من الشجرة هي الحية(..) فأكلت حواء عن قولها، وأطعمت آدم عليه السلام، و ليس بها ذكر لإبليس " . ([4]) ، فالمرأة– في نظرهم– أصل الشر، "ووريثة الحيوانات والشياطين " ([5]) ، أمّا "عقل الرجل يشكل جزءا من العقل الإلهي "([6]) ، فالرجل اليهودي أثناء صلاة الصّباح: يقول: " إلهي... أشكرك لأنّك لم تخلقني امرأة، بينما تقول المرأة اليهودية: إلهي أشكرك لأنّك خلقتني، فهذه إرادتك "([7])

إذا عاشت المرأة في الديانة اليهودية أسوء الظروف فكانت مجرد متاع يباع ويشتري، محتقرة لدرجة مساواتها بالحيوان، ورغم التطور الذي تعرفه إسرائيل ما زالت آثار هذه الممارسات القديمة في تعاملهم مع المرأة خاصة في الجانب الدين.

1ــ عمر رضا كحالة، المرأة في القديم والحديث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1979، ص188.

[2]ــ المرجع نفسه، ص189.

[3]ــ المرجع نفسه، ص179.

[4]ــ ابن كثير، قصص الأنبياء، المكتبة العصرية، بيروت، 2004، ص 17.

5ــ ناي بنسادون، حقوق المرأة منذ البداية حتّى أيامنا، ت/ وجيه البعيني، عويدات للنشر والتوزيع، بيروت، 2001 ص10 .

[6]ــ المرجع نفسه، ص10.

[7]ــ المرجع نفسه، ص10 .

2 ــ المرأة في الديانة المسيحية:

لم تختلف الديانة المسيحية كثيرا عن الديانات الأخرى، فجاءت على ما جرت به من تقرير سيادة الرجل وتثبيت وصايته على المرأة معتبرة إياها قاصرة، وتحاملت الكنيسة على المرأة فهي في نظرها حيوان اللذات، وحولت إليها الكره العام، وألقت عليها حمل الرذيلة متوهمة بأنه ملتصق بها من الفطرة، وبذلك صارت المرأة بعين الكنيسة شريكة الشيطان غير طاهرة، مضيعة للإنسانية، أما الرجل فوحده خلق على صورة الله وعلى المرأة بالإجمال أن تكون تابعة له، بل عبدته .([1])

لقد أظهرت الديانة المسيحية الاختلاف بين الرجل والمرأة ، وأظهرت دور المرأة الثانوي في الحياة العامّة، فجاء في الإصحاح الحادي عشر من رسالة القديس بولس الأوّل: " أريد أن تعلموا أنّ رأس كل رجل هو المسيح، وأمّا رأس المرأة فهو الرجل، ورأس المسيح هو الله، أما المرأة فهي مجد الرجل لأنّ الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل ولأنّ الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل " .([2])

وفي الرسالة نفسها يذكر" لتصمت نساؤكم في الكنائس، لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن". ([3]) ، فما كان للمرأة المسيحية إلا الصمت والخضوع.

ومنعت الكنيسة الأرثوذوكسية المرأة من القيام بالواجبات الدينية إلا التافهة منها كما كانت محرومة في الهيئة الاجتماعية كل الحرمان، لا يسمح لها مطلقا أن تظهر للجمهور أو تحضر المآدب والحفلات، وكان ازدراء شأنها أمرا عاديا، فلا أهمية لها في المجتمع و لا يراعى شعورها .

لقد كانت المرأة الأوربية في العصور الوسطى محرومة من حق التملك والتعليم وظلت حتى وقت قريب ممنوعة من تولى معظم الوظائف، التي ما زالت أبواب بعضها

---

[1] ــ عمر رضا كحالة،المرأة في القديم والحديث،ص202.

[2] ــ العهد الجديد "الكتاب المقدس"، رسالة بولس(الرسول الأوّل إلى أهل كورنثه)، مكتبة الحياة الزرقاء، ص8ــ9.

[3] ــ المرجع نفسه، ص9.

مغلقة في وجهها حتى الآن، بل كان الرجل في بعض مناطق ألمانيا حتى نهاية القرن التاسع عشر يستطيع أن يبيع زوجته كأية سلعة، وفى فرنسا كان على النساء أن يغطين رأسهن في الأماكن العامة حتى ذلك التاريخ أيضا، كذلك لم يكن للمرأة الغربية حتى بداية القرن العشرين الحق في أن تدير عملا اقتصاديا، اللهم إلا من خلال وكيل يقوم هو بما تريد. كما لم يكن لها أي سلطان على أولادها دون إذن الزوج، وبالمثل لم يكن من حقها الحصول على الطلاق، وفوق ذلك كان رأى القساوسة فيها شديد السوء طوال العصور الوسطى، ليس ذلك فحسب، بل كانت آدميتها محل شك كبير في الغرب إلى وقت قريب بتأثير الكنيسة، وكانت طوال التاريخ حتى العصر الحديث قعيدة بيتها، ولا تشارك في الحياة العامة.

ناضلت المرأة المسيحية في أوروبا وفي جميع أنحاء العالم للتخلص من هذا الوضع الذي لازمها لقرون عديدة، فلم تنل حقوقها وتؤمن مكانة لها في المجتمع إلا في بداية القرن العشرين.

3 ــ المرأة في الإسلام:

عاش العرب في فترة الجاهلية على نظام قبلي، غلب عليه سيطرة القوي على الضعيف، وأن السلطة للأقوى، وشرط القوة غير متوفر في المرأة وهذا ما أثر في تفضيل الذكر على الأنثى، فكان الجاهلي يستحي من قومه ويتوارى عنهم إذا بشر بالأنثى، قال تعالى﴿ و إذا بُشِّر أحدُهُم بالأُنثى ظلّ وَجْهُهُ مسودّاً وهُوَ كظيم * يتوارى من القوم من سوءِ ما بُشِّر به أيُمسِكُهُ على هونٍ أم يَدُسّه في التُّرابِ ألا ساء ما يحْكُمُون﴾ سورة النحل57ــ58. وقد يدفع به التهور إلى التخلص من تلك المولودة ومن عبئها بدسها في التراب ودفنها حية، قال تعالى ﴿ وَإِذَا الموءودَة سُئِلت * بأيِّ ذَنبٍ قُتِلتْ﴾ سورة التكوير،9 .

وإذا سلمت من الوأد صارت حملا ثقيلا على والدها، ويتحين الفرص للتخلص منها حيث " لا تكون نصرتها إلا بكاء، ويراها عديمة الفائدة، كما أنكروا حقها في إرث الأب والزوج قد تعتبر هي بذاتها إرثا تكون من نصيب أحد ورثة الزوج" ([1])، وظلت المرأة على هذا الحال في الجاهلية تعاني ألوانا من القسوة والمهانة والاضطهاد، وسلبت شرعية التصرف المادي والمعنوي، إلى أن جاء الإسلام فأنصفها وردّ لها الاعتبار وكرمها حين اعتبرها مكلفة ومسؤولة كالرجل، مجزية بالثواب والعقاب مثله، فقد عاشت " البشرية فترة كانت المرأة تعيش فيها في منزلة لا تليق بها كإنسانة أكرمها الله بنعمة الحياة فعانت شتى أنواع الظلم وسوء المعاملة، وكان ينظر إليها كإنسان ناقص الأهلية، حتى إذا جاء الإسلام العظيم لقت المرأة التقدير اللائق واستردت اعتبارها، فقد رفع الإسلام من شأنها وقرر لها حقوق كاملة نظريا وعلميا" . ([2])

لقد رفع الإسلام المرأة مكانا عليا، وبوأها مقعد صدق في الصدارة، وأقر لها حقوقها وكرمها بعد أن أتى عليها حين من الدهر لم تكن شيئا مذكورا، فحين كان الجدل

3ــ عصمة الدين كركر، المرأة من خلال الآيات القرآنية، الشركة التونسية للتوزيع، 1979، ص32.

4_عبد الحميد إسماعيل الأنصاري، قضايا المرأة بين تعاليم الإسلام وقضايا المجتمع، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2000 ص07.

قائما حول المرأة "أهي ذات أم روح "، وفي الوقت الذي استخف بوجودها، وديست كرامتها تحت عصف رياح الجاهلية والجهالة في هذا الوقت بالذات جاء الإسلام ليرسم للمرأة مكانتها ويحدد مركزها المرموق .

ومن مظاهر تكريم المرأة في الإسلام ما يلي:

ـ **أنها شريكة الرجل، لها من الحقوق،** وعليها من الواجبات ما يلاءم فطرتها وتكوينها .

ـ **المساواة في الإنسانية، فالرجل والمرأة في الإنسانية سواء،** باعتبار أن البشر يدينون بوجودهم إلى الذكر والأنثى معا، فلا فضل لأحدهما على الآخر فهما سواء في الإنسانية والمرأة شقيقة الرجل، وإذا كان ثمة تفاضل فهو في العمل الصالح والتقوى، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات، الآية 13، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم" إنما النساء شقائق الرجال " رواه أحمد وأبو داود.

ـ **المساواة في الحقوق المدنية والمادية،** فقد أكد الإسلام مساواة الرجل بالمرأة في أهلية الوجوب والأداء من خلال حقها في التصرف في جميع العقود، كحق البيع وحق الشراء دون أية قيود تقيد حريتها، قال تعالى ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ النساء، الآية 32 .

ـ **فرض الإسلام حق المرأة في الرعاية العادلة والمساوية على الأبوين،** لقوله صل الله عليه وسلم عن "ساووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلا أحدا، لفضلت النساء" عن ابن عباس.

ـ **حرص الإسلام على كفالة الحياة الكريمة للمرأة وحث على تعليمها وحسن تربيتها** وإعدادها، إذ إن في صلاحها صلاح المجتمع كله،وفصل القرآن الكريم في أحكام المرأة وحقوقها، وبين حدود الرجل وحدّ من تغوله على المرأة.

فمنذ نزول القرآن وفيه الآيات التى تدعو إلى احترام المرأة وإعطائها حقوقها من مثل قوله تعالى: "ولهن مِثْلُ الذى عليهن بالمعروف" سورة البقرة، الآية 228، وإن جعل

للرجال عليهن درجة هى درجة القوامة والإشراف لا درجة التسلط والاستبداد والتعسف وإلى جانب ذلك أتى الإسلام بشيء لم تعرفه أية حضارة حتى الآن، ألا وهو أن التعلم سواء بالنسبة إلى الرجل أو المرأة، ليس حقا لهما يمكنهما أن يأخذاه أو يهملاه إذا أرادا بل هو فرض عليهما لا بد لهما من تأديته، وإلا أثما، بل إن الرسول قد أكد أن الأب إذا كان له من البنات ولو بنتا واحدة فأحسن تربيتها وتعليمها وتزويجها كتبت له الجنة، وهو ما لا وجود له في أية حضارة لا في القديم ولا في الحديث، ومن حق المرأة في الإسلام أن يكون لها رأى في من يتقدم لخِطْبتها، وأن تطلب الـــخُلْع من زوجها متى كرهت عشرته.

وفى القرآن أيضا نلاحظ أنه سبحانه وتعالى يقرن النساء والرجال فى جَدِيلة واحدة على أساس تساويهما في الحقوق والواجبات كما هو الحال فى قوله عز شأنه: "فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ" آل عمران، الآية 195، وقوله "وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا" النساء، الآية 124، وقوله "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" سورة النحل، الآية 97 وقوله "مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ" سورة غافر، الآية40.

ذلك أن الرجل والمرأة جميعا مخلوقان من نفس واحدة: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً" سورة النساء الآية1، والرجال والنساء بعضهم من بعض: "فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ" سورة آل عمران، الآية 195، وبعضهم أولياء بعض: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ" سورة التوبة، الآية71. وهم سواء فى تحمل المسؤولية وتلقى الجزاء: "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ

وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" سورة الأحزاب، الآية 35. وهو ما عبر عنه الرسول في أكثر من حديث كقوله: "النساء شقائق الرجال" رواه أبو داوود، وهذا كله غيض من فيض، لم تطلبه امرأة ولا حزب نسائي أو مؤسسة تتعصب للنساء، بل نزل به ابتداءً الوحي الأمينُ على قلب الرسول الكريم ليكون به من المبشرين وهذا فرق آخر بين حقوق المرأة في ديننا وبينها في الأديان الأخرى.

لكن رغم إقرار الإسلام لحقوق المرأة ومنحها مكانة في الحياة هناك من يرى أن الإسلام نظم العلاقة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، إلاّ أنّ للرجال قوامة على النساء لقوله عزّ و جل: " والرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم " سورة النساء، الآية: 34، كما أنّه حثّ المرأة "على عدم الاشتراك في أعمال خارج منزلها فلا تجب عليها صلاة الجمعة أو تشييع الجنائز أو حضور صلاة الجماعة وهي غير ملزمة على العمل خارج منزلها.([1]) إضافة لذلك فنصيب المرأة في الميراث أدنى من الرجل، وكذلك من حق الزّوج هجر زوجته وضربها في حالة عدم الطاعة، لقوله تعالى: "والتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإنّ أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إنّ الله كان عليّا كبيرا " سورة النساء، الآية: 34، فليس من حق المرأة هجر زوجها في حالة ظلمه لها. إذن فتكريس عدم المساواة بين الرجل والمرأة في جميع الأديان واضح عدا أنّه في الإسلام قد فتح باب الاجتهاد لتحسين وضعية المرأة في المجتمعات الإسلامية ورفع الضرر عنها.

وإن كان في الدين الإسلامي فروق بين المرأة والرجل، فإنها كلها لا تنقص من قدر المرأة في الإسلام ولا من كرامتها، فكرامة المرأة وقدرها تنبع من طاعتها لله في

1ــ أديب عقيل، المرأة والرجل والمساواة بين الجنسين، مجلة المعرفة، العدد 435، وزارة الثقافة، سوريا، ص 95

شرعه وكرامة الرجل وقدره تنبع من طاعته لله في شرعه، ليعرف كل منهما حدوده التي حدها الله دون التمرد عليها بتأويل فاسد أو تجاهل لنصوص ثابتة.

4 ــ المرأة في الخطاب الديني :

كان موضوع المرأة ولازال من الموضوعات التي حظيت بنصيب كبير من النقاش والسجال ضمن النقاشات التي شهدتها الساحة الفكرية العربية والإسلامية، بالنظر لحساسية الموضوع لدى شرائح كبيرة من أفراد المجتمع، هذا وشكلت قضية المرأة "طابو" غير قابل للنقاش لدى أصحاب المرجعيات الأصولية التي لا تتوانى في التعبير عن ذلك فهذا إمام مغربي مقيم في الديار الاسبانية يصدر كتابا يعلم فيه المتزوج "كيفية ضرب زوجته بطريقة شرعية " وأخر يصدر فتوى يحرم بموجبها المرأة من قيادة السيارة وثالث يفتي بضرورة إرضاع الموظفات لزملائهن في العمل حتى يصبح مباحا اختلاؤهم بهن وهلم جرا.

إن البحث في الموروث التراثي، في هذا المجال تحديدا، ما ينفك أن ينقب فيه حتى يجد نفسه بين ركام من النصوص المفعمة بروح إقصائية ونظرة دونية تجاه المرأة مبرزة عقلية وخطابا ذكوريا بدائيا، استطاع أن يقنع المرأة بذلك النقص وتلك العقدة المرضية التي صيرها ميزة تتسم بها دون الآخرين.

في الخطاب الديني ظهرت لسنوات عديدة وما زالت قائمة صورة المرأة محور الفتنة والإغواء والفساد، وتعزيز هذا الخطاب يؤدي إلى ترويضها وإقصائها عن كافة المناشط الحياتية أو الفكرية، واقتصار دورها على التناسل والتربية، وعلى كونهما أدوارا نبيلة.وقد أشار المنفلوطي –رحمه الله– إلى معنى جميل حول وصف المرأة بنقصان العقل وذكر الفرق بين العقل والذكاء، وأن الحديث لا يستنقص من ذكاء المرأة، ولكنه يشير فقط إلى نقصان العقل، والعقل يختلف عن الذكاء، لأن من النساء من تفوق الرجال ذكاءً وفطنة. بدليل أن اللص المحترف يوصف بالذكاء ولا تستطيع وصفه بالعقل يتميز الخطاب الديني الموجه للمرأة بالعنف والتحريض عليها، فباسم الدين يجري التنفير من النساء وإلصاق كل الشرور بهن، وجعلهن مسؤولات عن كل انحراف وخرق للقيم

والسلم الاجتماعي، ولو كان الذي يفعل هذا من البسطاء ومن ذوي الحظوظ القليلة في التعليم الديني والفهم الصحيح لما جاء في كتاب الله و سنة رسوله، لما عتب عليهم.

المبحث الرابع: الجنس محور تشكل التصورات النوعية

1ــ تشيئ المرأة.

2ــ الجنس في المجتمعات العربية.

ــ الجنس محور تشكل التصورات النوعية:

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن موضوع المرأة والجنس، خصوصا موضوع تشييء المرأة والنظر إليها كشيء صالح فقط للجنس، والمتعة الجسدية، دون مراعاة الجانب الفكري، والعقلي، والوجداني لهذا الجنس اللطيف الذي يتمتع بكيان مستقل وبكل مظاهر وقدرات ومهارات الإنسان، شأنها في ذلك شأن شقيقها الرجل، ف" مشكلة الرجل أنه تعود عبر أجيال وأجيال أن ينظر إلى المرأة كموضوع متعة، ما كان يعرف كيف يتجول في غرف الروح الخصوصية والرائعة والعميقة للمرأة ؟" ([1]) ومن هنا نطرح التساؤل التالي: **لماذا تم التفكير في المرأة جسديا؟، ولم يتم التفكير فيها عقليا؟ وهل يحاول الرجل من خلال تناوله جسد المرأة تضليل فكرها ومحاولة توجيهه نحو جسدها والاعتناء به ؟لأنه لو تم العكس لربما كانت ثقافة أخرى ومجتمع من نمط آخر؟!**

الجدال حول موضوع النظرة الجنسية إلى المرأة يشد طرفيه تياران، تيار يستمد مرجعيته من الدين الإسلامي وتيار ليبرالي، الأول يدعو إلى الحجاب وستر المرأة لكل جسدها لكونها عورة تحدث فتنة في المجتمع، أما الثاني فيدعو إلى النقيض تماما، يدعو إلى تبرج المرأة وإظهار زينتها والاحتفاء بجسدها، دون أي قيد أو شرط، لما في ذلك ــ حسب نظرهم ــ من تحرير للمرأة من النظرة الجنسية، والدعوة إلى عدم النظر إليها كجسد وتجاوز ذلك إلى مستوى أعمق وهو اعتبارها كيان إنساني فكري عاقل، ويطالبن بالنظر إليهن في جانبهن الفكري والإبداعي...وتجاوز النظرة الشهوانية إليهن على أنهن موضوع صالح للتمتع فقط.

[1] ــ صاحب الربيعي، المرأة والموروث في مجتمعات العيب، ص34.

1ــ التشيئ الجنسي المرأة:

ماذا نقصد بالتشيئ ؟

المصطلح في أبسط معانيه هو النظر إلى شخص ما، أو معاملته ك"شيء" لا كإنسان له الحقوق التي يضمنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ومن دون الالتفات إلى كرامته الإنسانية، والتشيئ الجنسي يتمثل بتصور للآخر يستدعي معاملته ك"شيء" جنسي.([1])

وقامت النسويات بتفصيل المفهوم وتفكيكه إلى مكوناته لإبراز ملامح التشيئ الجنسي الذي تتعرض له المرأة على الشكل التالي([2]):

ــ معاملتها كأداة / وسيلة لخدمة أهداف الرجل الجنسية.

ــ إنكار استقلاليتها وكونها قادرة على القيام بذاتها.

ــ معاملتها وكأنها لا تملك إرادة خاصة بها.

ــ معاملتها وكأنها غرض قابل للاستبدال بغرض آخر" شبيه"

ــ معاملتها وكأنها غرض قابل للاختراق، أي دون حدود مادية ومعنوية خاصة بها.

ــ معاملتها بوصفها ملكية خاصة بالرجل يمكنه تحويل خدماتها أو تقديمها إلى آخر.

ــ إنكار كونها "ذاتا" فلا ضرورة لأخذ اختباراتها ومشاعرها بعين الاعتبار .

ــ اختزالها إلى جسدها أو أحيانا إلى أجزاء من جسدها.

ــ اختزالها إلى مظهرها الخارجي ومعاملتها تبعا لذلك المظهر، ولدرجة ملاءمة ذلك المظهر لمعايير موضوعة سلفا.

منعها من الكلام وإسكاتها، أي معاملتها وكأنها لا تملك صوتا وتفتقد القدرة على الكلام.

---

[1] ــ عزة شرارة بيضون، الجندر...ماذا تقولين؟ الشائع والواقع في أحوال النساء، دار الساقي للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2012 ص135.

[2] ــ المرجع نفسه، ص136.

إذا ترى النسويات أن تشيئ المرأة الجنسي يتمثل في تجاهل قدرات المرأة الفكرية والشخصية وتغييب إمكاناتها واختزال قيمتها وأدوارها في المجتمع إلى كونها وسيلة لاستثارة اللذة الجنسية لدى الرجال. ويتم تشيئ المرأة من خلال:

ــ الاغتصاب ، التحرش الجنسي، إجبار النساء على ممارسة الدعارة، الختان (تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية)، العقوبات العنفية التي تنفذ في حق المرأة باسم الشرف (الرجم، الجلد، والتشويه بمواد حارقة وصولا إلى القتل) ، الإجبار على الزواج وزواج ما قبل سن الرشد، التمييز ضد العازبات والمطلقات والأرامل .

الجسد الأنثوي بشهادة المنطق وشهادة الواقع وشهادة النساء أنفسهن يظل محط رغبة وشهوة مهما حاول المرء نسج ثقافة مخالفة، ومهما ادعى بعض الرجال أنهم لا ينظرون للمرأة نظرة جنسية، ومحاولة إخفاء ذلك، فإن قوة داخلية طبيعية تظل تدفعه إلى الانجذاب للأنثى والرغبة فيها، وهذه أمور طبيعية لا تنقص من شأن المرأة ولا من شأن الرجل، لكن العلاقة بين الرجل والمرأة "حددت على أساس من السيطرة والتبعية، فالرجل رأس المرأة لأنه الأقدر على التمييز والتدبير، أما المرأة فينحصر دورها في الإشباع الجنسي وترتيب شؤون المؤسسة لاستمرارية النوع فكذا نداء الطبيعة يقر عليها أن تخضع وتصمت " ([1])، فقد فرض المجتمع هذا الخضوع والتبعية على مرّ التاريخ، ورضخت المرأة له، وأصبح واقعا، لكن لا معنى للأقوال التي تشاع بأن طبيعة المرأة الجسدية والنفسية تحرمها من ممارسة كافة حقوقها كالرجل بل يمكن القول بأن التاريخ الطويل من تحجيم المرأة أدى بالفعل إلى تشويه نفسي قبل أن يؤثر في تكوين جسدي غير قادر على مناهزة الرجل, بل يمكن اعتبار أن فقدان المرأة روح التحدي والصمود والثقة في داخلها ليحل الانكسار والهشاشة بديلاً هو السبب الفعلي لتحجيم المرأة.

[1] – عيسى برهومة، اللغة والجنس، ص76.

وتم ذلك باسم الفتنة والجاذبية وقدسية بقائها في البيت، مما جعلها محجوبة قرونا عديدة في منزلها، فغيبت عن الفضاء العام، وأصبح ذلك ثقافة عامة سائدة متوارثة تكررها النساء أحيانا قبل الرجال.

فكيف ألصق مفهوم الفتنة فقط بالأنثى، وتحملت هي تبعاته ووزره لوحدها؟ في حين أن من الطبيعي والبديهي أنه مفهوم وحالة متبادلة بين الجنسين، وما يجري فيه على الأنثى يجري على الذكر، وبالضرورة، فطبيعة الكون تبادلية تكاملية، لابد أن يفتن كل نوع بالآخر حتى يستمر بقاء الجنس ككل، **فلماذا إذن تحملت الأنثى تبعات وأعباء هذا المفهوم وأفلت منه الرجل؟ لماذا لوحقت المرأة بالحجب والستر والتغطية؟**، تقول سيمون دي بوفوار" إن الامتياز الذي يتمتع به الرجل، والذي يشعر به منذ طفولته هو أن ميله لأن يكون إنسانا بشريا مستقلا لا يتعارض مطلقا مع مصيره كذكر،أما المرأة فإن المجتمع يطلب منها أن تكون متعة وفريسة، لكي تكتمل عناصر أنوثتها، وهذا يعني بالنسبة لها التخلي عن مطلبها في أن تكون إنسانا حيا يتمتع بالسيادة" .([1])

فهل كان فرض القيود على المرأة وعلى تحركاتها دافعه الأساسي هو الحد من "الفتنة" وتقليص انتشار "الجاذبية الجنسية" في المجتمع؟ أم أن ذلك هو عرض من أعراض قيمة متأصلة في ثقافة المجتمعات، أيا كانت تلك المجتمعات، مفهوم "الفتنة "الذي باسمه تنشأ كل هذه القيود المقننة، إذا تفحصناه وتأملناه سنجده مفهوم غير واضح المعالم ولا يمكن إطلاقه بالعموم، ولا يبقى ثابتا بمرور الزمن.

ينظر المجتمع للجسد الأنثوي نظرة جنسية حيث يعتبر نقطة ارتكاز المرأة ويحكم عليها من خلاله، فقد تصور البعض "أن المرأة محراب لذة يقصده الرجل بعد ساحة وغاء بل ركنا من أركان تعبده الدنيوي ليفرغ شهواته الحيوانية ويتيمم بطهر سحرها، فيزداد دنيوية ووحشية وتزداد ذكورته أنانية وتجبرا" ([2])، كما ظهر هذا في الإنتاج الفكري

---

[1]ــ سيمون دي بوفوار،الجنس الآخر، ، ص309.

1ــ نادية السنوسي، الذاكرة الذكورية للفلاسفة الغربيين ضد قابلية المرأة للتفكير، ص23.

الذكوري وذلك بتناوله للجسد الأنثوي بطريقة سلبية، سواء في مظاهر الحياة اليومية أو في الجانب الإبداعي والكتابة الأدبية .

إذن تقدم الثقافة مفهوم المرأة على أساس اعتبارها قضية تاريخية تعودت الثقافة المرجعية على النظر إليها كأداة للشهوة والمتعة والإغراء، فأصبحت من خلال هذه المرجعية تبني سعادتها على تمثل الصورة التي ينتظرها المجتمع والرجل منها، كأن تكون وديعة، عاطفية، لاعقلانية،حدسية، ذاتية، شفوقة، حساسة، حنونة، لا تهاجم ولا تنافس، بل الأكثر من ذلك ربط وجودها بوجود الذكر ([1]) .

وفي المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة سنة 1995 صدرت وثيقة جاء فيها " إن الحقوق الإنسانية للنساء تشمل حق التحكم بأجسادهن، وأن يقررن بحرية ومسؤولية في قضايا متعلق بجنسانيتهن بما في ذلك الصحة الجنسية والتناسلية ، بعيدا عن كل إكراه أو تمييز أو عنف"([2]) لكن هذا المفهوم تعثر وتم التحفظ على استعماله، ليس لمقاومة بعض الدول القومية والدينية له فحسب بل لوجود خلافات بشأنه بين الناشطين في حقوق الإنسان في ما بينهم .

2 ــ الجنس في المجتمعات العربية:

المجتمع العربي للأسف ينظر للمرأة ليس ككيان إنساني له وعى وعقل وإرادة بل كقنبلة ووعاء جنسي ذو تضاريس وكأن حضورها يعنى تأجج الشهوة الذكورية والفتنة وطلب المضاجعة بدون النظر أنها إنسانة ذات عقل وإرادة قادرة على الحفاظ على قرارها وإرادتها، تستمد هذه الرؤية كل مفرداتها من التراث الحافل بنصوص تضع المرأة في هكذا مدارات.

2_عبد النور إدريس، النقد الأدبي النسائي والنوع الاجتماعي (الجندر)،تمثلات الجسد الأنثوي في الكتابة النسائية، سلسلة دفاتر الاختلاف، مكناس، المغرب، ط1، 2011، ص27.

[2] ــ عزة شرارة بيضون، الجندر...ماذا تقولين؟ ، ص 125.

بالفعل هي نظرة مجحفة وقاسية عندما تختزل المرأة ككيان للجنس والشهوة والمتعة لتمارس هذه النظرة المتدنية فعلها المُخرب في المجتمعات العربية فتصبح منهجية سلوك وأداء ذكوري تجاه المرأة يصل امتدادها إلى نفسية المرأة ذاتها فتتصور أنها لا تزيد عن كونها متعة جنسية فيقول العقاد: "إن الكيد خلة جوهرية في بنيانها النفسي وكذلك الإغواء! وهي مولعة بالممنوع وإرادتها تحقق بالنجاح في أن تراد، وفي القدرة على الانتظار"([1])، و"لذلك فإن إكراه الأنثى على تلبية إرادة الذكر يفيد النوع لا يؤذي النسل الذي ينشأ من ذكر قادر على الإكراه وأنثى مزودة بفتنة الإغواء" . ([2])

وكلام العقاد هذا دليل على عنف وقذف كبيرين على كينونة المرأة ووجودها مستغلا كغيره من دعاة الخطاب الأصولي النصوص المقدسة والشرائع لمحاصرة المرأة وتنميطها وحتى محاولة اغتيالها جسديا وفكريا.

وتقول فاطمة المرنيسي عن كتاب العقاد وآرائه "إن كتابه يفتقد إلى النضج، وهو خليط عائم من مقتطفات تاريخية ودينية تتخللها آراء شخصية في البيولوجيا والإثنولوجيا " .([3])

والمرأة كما وصفها المجتمع العربي جسد مثير، يقول ابن حزم:" إنهن متفرغات البال من كل شيء إلا من الجماع ودواعيه، والغزل وأسبابه، والآلف ووجوهه، لا شغل لهن غيره ولا خلقن لسواه، والرجال مقتسمون في كسب المال وصحبة السلطان، وطلب العلم ومكابدة الأسفار، والصيد وضروب الصناعات، ومباشرة الحروب، وملاقاة الفتن وتحمّل المخاوف، وعمارة الأرض، وهذا كله متحيّف لفراغ، صارف عن طريق الباطل" .([4]) فمن خلال قراءة بسيطة لقول ابن حزم هذا يمكن الجزم بتحامله على المرأة واعتبارها مخلوق بلا فائدة، بدون عقل ولا ترقى لأي مستوى، فشغلها الشاغل التفكير في الجنس

---

[1]_ العقاد، المرأة في القرآن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،1981، ص21_22.

[2]_ المرجع نفسه، ص21_22.

3- فاطمة المرنيسي،الجنس كهندسة اجتماعية، ت/فاطمة الزهراء زرويل،1987، نشر الفنك، الدار البيضاء، المغرب ص16.

1ــ ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي، طوق الحمامة، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، دت،ص84ــ85.

ودواعيه، بينما للرجل مشاغل عديدة فهو يسعى لكسب المال، وطلب العلم والسفر وغيرها لكن التاريخ العلمي والإبداعي والنضالي لعدد كبير من النساء العربيات يدحض قول ابن حزم ويفنده.

لقد ارتبطت أكثر الصفات المحمودة في المرأة بمسحة جسدية بحتة، مما يفصح عن رؤى الثقافة للمرأة، فهذه الثقافة أرادت المرأة أمّا وزوجة ومعشوقة ولا بدّ لها من مؤونة الجسد لتحقيق هذه الأدوار، وكأنها رهينة الإنجاب والإمتاع، فقد "احتفى المجتمع بالمرأة المطواع، والذلول، والمذعان، والعاشق، والباهل، والستير والعطوف، والملازمة لبيتها القائمة على حراسة الهيكل الأسري، وأعلى المخيال الثقافي والاجتماعي من القيم الجمالية لجسد المرأة، فكاد هذا المخيال أن يختزل المرأة في جسد يتوقد إثارة وإنتاجا....فيما توارت الصفات الفاعلة التي تبرز الحضور النسوي في المجتمع" . ([1])

والناظر في كتب التراث يتبين أن الحديث عن جسم المرأة، هو حديث " حول التغيرات البيولوجية لهذا الجسد الأنثوي (حالات الحيض، الإخصاب، المرض...) والكتابة حول هذا الموضوع كتابة وصفية ترسم حدود المسموح به والممنوع حتى يغدو الجسد جسدا خاضعا لمنظومة قيمية محددة، أي جسدا منضبطا، وفي مقابل ذلك لا ينحصر الجسد الذكوري بنفس درجة حضور الجسد الأنثوي ولا يخضع لنفس التقنين" ([2]) فقد ألحت كتب التراث على ضرورة تسخير الجسد الأنثوي لإرضاء الطلبات الجنسية للرجل، وقدمت المرأة في صورة نمطية إقصائية بعيدة عن أي تحول أو تغيير.

إن ظاهرة الفصل بين الجنسين في مجتمعات العيب تعمق حالة الكبت الجنسي، وللتخفيف من وطأتها عند الذكور تمارس حالة التحرش الجنسي بالنساء على نطاق واسع في

---

[1]ــ عيسى برهومة، اللغة والجنس، ص106.

1ــ عامر عبد زيد الوائلي، المرأة في المخيال الذكوري، مسائلة التمثلات والصور النمطية الإقصائية، الفلسفة والنسوية، منشورات الاختلاف، ص59.

المجتمع بإطلاق كلمات ذات دلالة جنسية، تخفي بين طياتها دعوة لممارسة فعل الجنس أو الغزل الفاضح بمفاتن المرأة .

وفي كثير من الأحيان تخرج تلك الكلمات على حدود الأدب الاجتماعي لتحط من قدرها من دون أن يمنحها المجتمع حق الرد تحاشيا لانزلاقها بمواقف أكبر تنال من شخصيتها وإن مارست حقها في الرد تعرضت لحالة النبذ والاحتقار الاجتماعي، ووصفت بنعوت تحط من قدرها وشأنها وشرفها وعفتها على نحو أكبر.

يفرض الموروث التاريخي من الأعراف والقيم الاجتماعية والدينية التي تأسر ذهن مجتمعات العيب نمطا محدد من العلاقات على الجنسين، ويترافق ذلك مع حالة الكبت الجنسي وظاهرة فصل الجنسين في مرافق العمل والدراسة لتترك أثرها البالغ في مجمل سلوك الرجل والمرأة ليؤثر سلبا في العلاقة المفترضة والسوية بينهما.

المبحث الخامس: المرأة والخطاب القانوني والسياسي

1ــ المرأة والحطاب القانوني.

أــ المرأة والقانون في البلاد العربية.

ب ــ المرأة في القانون الجزائري.

ج ــ قانون الأسرة الجزائري.

2ــ المرأة والخطاب السياسي.

أــ المرأة والخطاب السياسي العربي.

ب ــ المرأة والخطاب السياسي الجزائري.

ج ــ الخطاب السياسي النسوي في الجزائر.

5ــ المرأة والحطاب القانوني والسياسي:

1 ــ المرأة والخطاب القانوني:

كانت المجتمعات على مر التاريخ تنظر للمرأة نظرة دونية ولم تعطها أي نوع من أنواع الاهتمام وبالأخص المرأة الغربية، فحرمت من العديد من الحقوق السياسية والاجتماعية والثقافية، لكن بمرور الوقت ونتيجة لتطور المفاهيم الإنسانية، واختلاط الثقافات والاهتمام بالمبادئ التي جاء بها الدين الإسلامي بهذا الخصوص بدأ المجتمع الدولي ينظر للمرأة بشيء من الاحترام من خلال بحث شؤونها في العديد من المؤتمرات التي أثمرت عقد اتفاقيات دولية لإعطائها مكانتها الاجتماعية وتمكينها من الحصول على حقوقها بوصفها إنسان ينتمي لهذه المجتمعات، ولقد شغلت شؤون المرأة حيزا واسعا من هذه الاتفاقيات للنهوض بها، ووضع قوانين لإنصافها وإعطائها مكانتها المستحقة، لكن على الرغم من كل هذه الاتفاقيات والتشريعات فإن المرأة لا تزال تعاني من الاضطهاد والتسلط والقهر في معظم دول العالم وحتى في الدول المتقدمة، فلا تزال النساء والفتيات ينظر إليهن على أنهن أقل شأنا اجتماعيا، ويكلفن بالأدوار الأدنى في الأسرة والعمل، كما أن فرص المرأة في الحصول على المال والممتلكات والرعاية الصحية والتعليم والمعرفة لا تتساوى مع فرص الرجل .

وفي القرن الثامن عشر مع اندلاع الثورة الفرنسية والمطالبة بالحرية والمساواة تزايد الاهتمام الدولي والوطني بحقوق المرأة وحرياتها الأساسية، وهذا الاهتمام كان نتيجة عدة جهود داخلية ودولية، بداية من إعلان حقوق الإنسان والمواطن لعام 1791 في فرنسا، والذي أكد على ضرورة احترام حقوق الإنسان بصفة عامة ودون أي تمييز بين الذكر والأنثى، مرورا بميثاق الأمم المتحدة "الذي يعد أول الوثائق الدولية التي نادت بمبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في التمتع بالحقوق"([1])، ووصولا إلى الإعلان العالمي لحقوق

[1]_Abderzak Moulay Rachid, La loi et la femme au Maroc, collection dirigée par F. Mernissi ,édition bouchène ,Alger,1991,p13.

الإنسان، حيث تم التأكيد على المساواة في الحقوق بين الرجال والنساء حيث نصت الفقرة الأولى من الميثاق على : " تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعا، والتشجيع على ذلك إطلاقا بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين، ولا تفريق بين الرجال والنساء"([1])، تم توالى الاهتمام بقضايا المرأة ومساواتها بالرجل في التمتع بالحقوق والحريات المختلفة، لاسيما أنها عاشت في أغلب دول العالم معاناة بسبب المعاملة القاسية نتيجة لوجود أعراف قديمة وعادات اجتماعية تحكم سلوك الأفراد والجماعات وتقوم على أساس التمييز بين الرجال والنساء، مع النظر إلى المرأة على أنها مخلوق أدنى من الرجل وليس بإمكانها العيش أو الاستغناء عن الرجل في مختلف مراحل الحياة، و على الرغم من أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ليس معاهدة وبالتالي ليس ملزما في القانون الدولي، فقد شكل وثيقة رائدة للمرأة، ومنذ عام 1945 تغيرت حالتها ومكانتها في بلد تلو الآخر.

1_قادري عبد العزيز، حقوق الإنسان في القانون الدولي والعلاقات الدولية، الآليات والمحتويات، دار هومة الجزائر،2005، ص111.

أ ــ المرأة والقانون في البلاد العربية:

لم يكن وضع المرأة في العالم العربي مختلف عن ما كان عليه في مناطق أخرى من العالم ، حيث مر هذا الوضع عبر التاريخ بمراحل من التمييز ، مما أدى لخضوع المرأة وجهلها لحقوقها وحرياتها ورغم ظهور قوانين وتشريعات جديدة تحمي المرأة وتضمن لها بعض حقوقها إلا أن وضع المرأة في البلاد العربية معقد أشد تعقيد لدرجة أننا نقع في التباس كبير بين (حقوق المرأة) وبين(احترام المرأة) بمعنى أن مجتمعاتنا تنظر لمن لم ينلن حقوقهن أسوة بالرجال بنظرة احترام وتقدير بينما لا تنال المطالبة بالمساواة الاحترام الكافي ... ولا تزال مجتمعاتنا لها قناعة مشتركة بين الذكور والإناث أن النساء للمنزل والرجال للعمل فالوصاية الأبوية مازالت قائمة وغير قابلة للزحزحة، فإذا سألنا معظم العاملات العربيات هل يساعدنكن أزواجكن في شؤون المنزل وتدريس الأولاد؟ يكون ردهن بالنفي غالبا فالقبول بعمل النساء لم يخلق تغييراً راديكالياً للأدوار، ولذا نسمع يومياً عبارات من قبيل: المجتمعات (تسمح) و(تمنح) و(تقبل) بمشاركة المرأة وليس باعتباره حقاً طبيعياً وأن النساء يشكلن فعلا نصف المجتمعات.

في ظل هذه الحالة المتدهورة يكون من العبث المناداة بحقوق سياسية واجتماعية للمرأة لتسترد حقوقها ككيان إنساني فاعل تحتل مكانتها بالقيام بدور فاعل ونشيط في الحياة الاجتماعية والسياسية فالإشكالية لن تكون في مجموعة قوانين تعدل في الدساتير تبخس حقها فهناك شعوب تضع دساتير متقدمة ولكن لا سبيل إليها في مجتمع ذكوري يرى أنه من العار أن تتولى القيادة امرأة حتى ولو كانت في وضعية متقدمة فكريا وثقافيا لذا لا نجد إلا حضور باهت للمرأة في الشأن السياسي والذي لا يتم إلا بالتعيين. كما أن مشكلة المرأة العربية في معظم أقطار الوطن العربي تكمن في جهلها بحقوقها القانونية، وهذا أمر خطير، فالجاهلة لحقوقها لا يمكنها حماية نفسها، والسبب في جهل المرأة حقوقها يعود إلى عدم مشاركتها في عملية صنع القرار ووضع التشريعات، و بوجه عام لم تحرز المرأة العربية حقوقها المدنية كاملة، فــ" لا يزال يسود معظم الأقطار

العربية اتجاه تقليدي ينزع حتى الآن إلى حرمان المرأة من حقوقها المدنية والعامة والتعامل معها كحريم، مفروض عليه التحجب والاختفاء في عصر انقلبت فيه المفاهيم وتكاد تتبدل جذريا" .([1])

كما أن وضع المرأة داخل الأسرة لم يتبدل كثيرا، فهي لا تزال وسيلة للمتعة والإنتاج ولا تزال تعنف وتضرب، ولا يزال الرجل يتمتع بحقه المطلق في الطلاق والخلاصة من هذا أن الوطن العربي لم يعرف تشريعا جديدا لأوضاع المرأة العربية إنما شهد إصلاحات ثانوية في حقوقها، ف" الدساتير العربية اكتسبت اللمسات الديمقراطية والليبرالية في بعض موادها اكتسابا، وليس نتيجة تطور ذاتي داخلي للعلاقات الاجتماعية مما جعل الالتزام بتلك الدساتير وتطبيقها أمرا شكليا "([2]).

1ــ مريم سليم، المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر، مركز الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي (15) ،بيروت، ط2، 2004، ص28.

2 ــ المرجع نفسه، ص29.

ب ــ المرأة في القانون الجزائري:

نالت المرأة الجزائرية بعد الاستقلال بعض حقوقها كمواطنة مثلما نصت عليه بعض مواد الدستور لاسيما تلك المتعلّقة بمجال التعليم والعمل، وهذه الحقوق جاءت نتيجة مساهمة المرأة الفعالة في حرب التحرير، والتي أصبحت معلما تاريخيا هاما في حياتها بل يمكن القول أن مشاركة المرأة في حرب التحرير تعتبر القطيعة ولو مؤقتا مع نظام أسري واجتماعي تقليدي غلب عليه "الرمزي والمقدس" الذي احتوى المرأة لفترة طويلة.. فلم يكن ليخرج المرأة الجزائرية من البؤس والجهل والاضطهاد الذي فرضته عليها العادات والتقاليد الاجتماعية وكرّسه الاستعمار سوى حركة ثورية تقدمية تقضي على الاستعمار([1])، وعلى تلك المجموعة من التراكمات الثقافية التي صنعها المجتمع الجزائري عبر التاريخ، والتي قيدت آفاق المرأة، وحبستها في المنزل، فهيأ هذه التغيير ظروفا ملائمة لتحسين وضعيتها ومكانتها في المجتمع.

كانت مشاركة المرأة الجزائرية في الثورة مشاركة واسعة وصلت حدود قيادتها لتجمعات قتالية ضد المستعمر، ونشأت أول منظمة نسائية مع بدء التحرير تابعة لجبهة التحرير الوطني تحوّلت فيما بعد إلى الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات ف "تأثرت هذه الحركة بطابع الثورة، وبتكوينها الإيديولوجي الذي انعكس في برنامجها وسلوكها وممارستها والتي تداخلت فيه أفكار مستقاة من المفاهيم العّامة للعدالة والمساواة ومفاهيم الجهاد ضد الظلم والتعسف" ([2]).

ومع تصاعد أحداث الثورة، اكتسبت المرأة وعيا وازدادت نضجا وخاصة بعد غياب ذويها من الرجال الذين التحقوا بصفوف الثورة، فوجدت نفسها مجبرة على تحمل

---

[1] _ F.FANNON : Sociologie d'une révolution algérienne, ed . Maspero, Paris 1960,p 45.

2 ــ حفيظة شقير، دراسة مقارنة للقوانين الخاصة بالمرأة والأسرة في المغرب العربي، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية،1984، ص98.

مسؤوليات عديدة لم تتعود عليها ، فألغت كلّ القيود التي كانت مفروضة عليها، واخترقت العادات، وأثبتت وجودها في الحركة الثورية .

إن مساهمة المرأة في حرب التحرير أدت إلى تغيير نظرة المجتمع (الأب والعائلة) لها حيث بدأت فكرة تزويجها في الاختفاء التدريجي، لتترك المكان لفكرة ــ المرأة الثورية – ومن ثم يمكن القول أنها قد عملت بشكل غير مباشر على الرفع من مكانها والرقي بدورها فأصبحت فاعلة في المجتمع بعدما كانت موجود فقط لغرض الزواج والإنجاب .

تغير وضع المرأة الجزائرية سار بوتيرة بطيئة، وشيئا فشيئا بدأ الاعتراف بوضعيتها كعنصر فعال، ضروري وأساسي لاستمرار الكفاح من أجل التحرر، خاصة وأنها برهنت على قدراتها ومسؤولياتها بمشاركتها الفعالة في الثورة لأن الاستعمار كان أحد الأسباب الأساسية في انسحاب المرأة وعزلها في المجتمع خوفا عليها، وإبان الثورة التحريرية عمد مسئولو جبهة التحرير الوطني على تعديل أكبر في وضعية المرأة فاعترفت لها النصوص الرسمية بكل حقوقها وواجباتها كمواطنة، ودعّمت هذه الوضعيّة ما جاء فعلياً في المواثيق الرّسمية التالية ([1]):

ــ ميثاق الصومام 1956

تبعا للأدوار البطولية التي أدتها المرأة فقد أعلنت لائحة الثورة الجزائرية في مؤتمر الصومام سنة" 1956 أنه توجد في الحركة النسوية إمكانيات واسعة تزيد وتكثر وإننا نحيي بكل انفعال وإعجاب وتقدير ذلك المثل البارز الذي حدث به في الشجاعة الثورية للفتيات والنساء المتزوجات والأمهات، وكل أخواتنا المجاهدات اللواتي يشاركن

1 _النصوص المؤسسة للجمهوريةwww.el_mouradia.dz

بنشاط ويحملن السلاح أحيانا من أجل الكفاح المقدس لتحرير الوطن."

ـ ميثاق طرابلس 1962

جاء في ميثاق طرابلس الذي صادق عليه بالإجماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنعقد في مدينة طرابلس في يونيو 1962 قبل إعلان استقلال الجزائر فيما يخص حقوق المرأة ومساواتها بالرجل في الواجبات والحقوق ما يلي :" ينبغي للحزب في الجزائر أن يقضي على كل عوائق تطوير المرأة وتفتحها، وأن يدعم عمل المنظمات النسوية ولسوف يكون عمل الحزب ناجحا في هذا الميدان ".

كما جاء أيضا: "..ولن يتسنى للحزب أن يخطو خطوة واحدة إلى الأمام ما لم يساند دوما محاربة الأحكام الاجتماعية المسبقة والمعتقدات الرجعية، ولا يمكنه أن يكتفي بالمواقف المبدئية فقط، بل عليه أن يجعل من تطور المرأة واقعا لا رجعة فيه، وذلك بواسطة تخويل النساء مسؤوليات حزبية ".

ـ ميثاق الجزائر :

ركز على ما جاء في ميثاق طرابلس وتعرض إلى قضية جديدة لم يصرح بها في ميثاق طرابلس، وهي المساواة بين الرجل والمرأة، إذ نص على أن "المساواة بين الرجل والمرأة يجب أن تكون أمرا واقعيا، وينبغي على المرأة الجزائرية أن تكون قادرة على المشاركة الفعلية في النشاط السياسي وفي بناء الاشتراكية بالنضال في صفوف الحزب والمنظمات القومية والنهوض بمسؤوليات فيها ." كما تعرض ميثاق الجزائر إلى ضرورة مشاركة المرأة في القطاع الاقتصادي الذي يمكنها من التخلص من القيم الاجتماعية التقليدية، التي بدأت تتحرر منها بفضل الثورة التحريرية، والتطلع لآفاق جديدة، ويسمح لها بمواصلة مجهوداتها في تشييد البلاد بعدما ساهمت في تحريرها، وقد جاء في

الميثاق :" يجب على المرأة أن تكون قادرة على وضع طاقتها في خدمة البلاد بالمشاركة في النشاط الاقتصادي ، بحيث تضمن ترقيتها الحقيقية بواسطة العمل .".

ـ دستور 1989/1976

منذ إصدار الدستور ومع التعديلات التي طرأت عليه وهو يضمن ويؤيد مساهمة المرأة في الحياة المهنية، وأكد حقوق المرأة وفتح أمامها كل الفرص المتاحة للرجل من تعليم وعمل في جميع الميادين .

ونلاحظ ذلك في مادته 42 لسنة 1976 التي تنص :"يضمن الدستور الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمرأة الجزائرية "، وفي مجال العمل ضمن القانون الأساسي للعامل حقوقها .

وقد أكد أيضا على المساواة في المادة 28، " فكل المواطنين سواسية أمام القانون ولا يمكن أن يتذرع بأي تمييز يعود سببه إلى المولد أو العرق أو الجنس أو الرأي، أو أي شرط أو طرف آخر شخصي أو اجتماعي ."

كما استبدلت كلمة امرأة ورجل بمواطن ومواطنة، وهذا في المادة 3 : "تستهدف المؤسسات ضمان مساواة كل المواطنين والمواطنات في الحقوق والواجبات بإزالة العقبات التي تعوق تفتح شخصية الإنسان وتحول دون مشاركة الجميع الفعلية في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كما نصت المادة 48 على تساوي جميع المواطنين في تقلد المهام والوظائف في الدولة دون أية شروط أخرى غير الشروط التي حددها القانون ".

كما نصت المادة 52 للدستور " لكل مواطن الحق في العمل "، إضافة إلى ذلك نجد مبدأ منع تأسيس علاقات استغلال وتبعية المنصوص في المادة 9 وهكذا فقد بينت النصوص الجزائرية الأساسية مبكرا مبدأ المساواة بين الجنسين وأكدت على الحماية الخاصة للوظيفة النسوية .

أما التعليم فقد أعتبر حقا أساسيا للمرأة حيث جاء في المادة 5 للدستور التأكيد على المساواة بين الجنسين في حق التعليم من خلال :

- يضمن حق التعليم .

- التعليم مجانا حسب الشروط المحددة من طرف القانون .

-التعليم الأساسي إجباري .

- تسهر الدولة على الدخول المتساوي للتعليم.

هذا يعني أن النصوص التي تسيــّر النظام الدراسي لا تحمل أيّ نوع من التمييز بين البنات والأولاد الذين لهم نفس الحظوظ للتحصيل والمعرفة، ولا توجد تفرقة بين الجنسين. لكن رغم الإقرار بعدة حقوق للمرأة الجزائرية، يبقى الإشكال المطروح هو التناقض والصراع الذي تعيشه المرأة الجزائرية بين هذه المواد التي تعكس حقيقة حق المساواة بين الجنسين، وبين واقع اجتماعي يظهر العكس، والذي يمكن ربطه بمسؤولية العوامل الثقافية والاجتماعية المتحكمة في بنية المجتمع، والمؤثرة في ذات الوقت في صياغة العلاقات الاجتماعية التي يسيطر عليها نمط فكري تقليدي فإذا كان تحقيق الديمقراطية حسب هذه المواثيق يعني بالضرورة تحسين الوضعية الخاصة التي توجد فيها المرأة في ظروف تواجه فيها شتى أنواع التمييز وتعاني من مختلف أشكال السيطرة والظلم الاجتماعي، في مجتمع تحكمه التقاليد والعادات والأعراف القديمة التي تقلل من

قيمة المرأة ومكانتها وتحط من أهمية دورها وتعاملها ككائن قاصر وفاقد للأهلية فإن ذلك أدى بالضرورة إلى انتفاضة نسوية جزائرية على هذه العلاقات والممارسات الاجتماعية القديمة والبالية، ولعلّ أبسط نموذج على ذلك المشاركة السياسية للمرأة الجزائرية .

فقد أبرزت الدّراسات المتعلّقة بمشاركة المرأة في الحياة السياسية ، انتقالها من المجال المنزلي إلى المجال السياسي لكن هذا الانتقال كان محتشما، فهذه الدّراسات تدلّ على أننا ما زلنا نعيش في وهم الدولة والمواطنة خاصة وأنّ ضعف مشاركة النّساء في الحياة السياسية ظاهرة عالمية تعبّر عن السيطرة الذكورية لاحتكار الرّجل المجال السياسي وغياب المرأة عن مراكز القرار.

تخضع مكانة المرأة كمواطنة وكمشاركة سياسية لمكانتها داخل الوسط العائلي والذي مهما كان موقفه من دخول المرأة العمل السياسي (قابلا ذلك أم رافضا له) فإنّه ينظر إليه كامتداد للمكانة التي تحتلها المرأة في الوسط العائلي، فمشاركتها السياسية مرهونة بتخلصها من التبعيّة للسلطة الذكورية داخل العائلة من جهة وللالتزامات المنزلية المرتبطة بمكانتها في العائلة، كما أن السلطات السياسية لا تعطي لها أهمية كبيرة، حيث لا تمنح لها إلاّ الهياكل والأدوار الاستشارية ذات الصبغة الاجتماعية والثقافية القريبة من مهامها المنزليّة التي يبدو أنّها لا تفارقها حتّى عندما تخرج للعمل السياسي الرّسمي،هذه الوضعية لا تنطبق على المهام السياسية المحلّية فقط بل تتعداها حتى لتلك المهام السياسية العليا كمنصب الوزارة مثلا حيث يمكن ملاحظة سيطرة نفس المنطق، فكل النساء اللواتي وصلن إلى منصب الوزارة في الحكومات المتعاقبة منذ 1982 أكدن هذه الفكرة بحيث لم تمنح لهن إلاّ وزارات كالتضامن العائلي والتربية وشئون المرأة والطفل.

كم لا يمكن أن نغفل أثر الجانب الديني وظروف الجزائر السياسية (العشرية السوداء) في عدم ولوج المرأة العملية السياسية وهو الموقف المتّسم بتزمّت كبير جدا .

يبقى إذن موضوع حقوق المرأة الموضوع الكلاسيكي الذي يؤكّد أنّ الواقع عكس ذلك و " في انتظار التغيير في إطار التوليفة المعقّدة بين التّقليدي والعصري فالمرأة لا زالت غير مقبولة كمترشّحة لمناصب سياسية وطنية في الكثير من مناطق التراب الوطني خاصّة الريفية " ([1]).

ج ــ قانون الأسرة الجزائري:

من أهم المظاهر التي تدل على تطور المرأة في المجتمع هو ظهور الوعي لدى الكثير من النسوة في المطالبة بحقوقهن، والاعتراف بوجودهن كمواطنات لا يختلفن عن الرجل من حيث الحقوق الواجبات ف" المرأة الجزائرية لم تعد تحتمل الحصار المفروض عليها ، وأصبحت واعية بفضل قراءتها للكتب والسفر، وبفضل توعية وسائل الإعلام التي فتحت أمامها آفاقا جديدة، صارت تدافع عن حقوقها، رغم صعوبة هذا الأمر في الجزائر" ([2])

ولقد تأثرت المرأة الجزائرية مثل باقي نساء العالم بالحركات النسوية التحررية العالمية التي عبرت عن انتفاضة النساء ورفضهن لنظام اجتماعي قام على أسس سلطوية وقهرية ومطالبتهن بتغيير ظروفهن وتحسينها، وإفساح المجال لهن لدخول للحياة السياسية والاجتماعية، فاستطاعت هذه الحركات التغيير في فكر المجتمعات باسترجاع حقوق المرأة، وضمان مكانة محترمة لها على جميع الأصعدة.

وعبرت المرأة الجزائرية عن رفضها للنظام الاجتماعي القائم على التمييز بين الجنسين رغم ما وصلت إليه من نجاح في كسر قيود المجتمع، والاستقلال النسبي الذي عاشته بعد دخولها ميدان التعليم والعمل، ومشاركتها في الحياة الاقتصادية، واكتساب حق

1ــ عبد الناصر جابي، الانتخابات الدولة والمجتمع، دار القصبة للطبع والنشر، الجزائر، ط2002،1، ص23.

1_ Khodja(S), Nous Les Algériennes La grande solitude, Ed Casbah, Alger, 2002, p63.[2]

المساواة مع الرجل في العمل والتعليم، ففي مسح اجري مؤخرا شمل مجموعة من النسوة المناضلات المتعلمات اللواتي لهن مستوى فكري وثقافي متقدم ولديهم وعي بمتطلبات الحداثة، كانت مطالبهم كما يلي:([1])

- 80% يردن حق وحرية التصويت بأنفسهن.
- 51% من النساء يردن العمل للتحرر اقتصاديا.
- 84% يعتبرن أن للنساء الحق في نيل نفس حقوق الرجال.
- 84% يفكرن في أن للنساء المتزوجات الحق في العمل.
- 87% يعتبرن أن حرية التعبير داخل الأسرة حق من حقوق المرأة.
- 63% يعارضون فكرة أن وسائل منع الحمل تعطي الكثير من الحرية للمرأة .
- 68% يقبلون بمقابلة الفتيات لشريكهن قبل الزواج والتعرف عليهم.
- 93% يؤيدون تحديد النسل وتنظيم الأسرة.
- 69% يؤمنون بقدرة الحركات النسوية على تحسين حياة المرأة .

ويرتبط هذا الرفض بعدم تقبلهن لقانون الأسرة (قانون الأحوال الشخصيّة 1984) وهو القانون الذي أثار احتجاجا ورفضا منذ ظهوره " فلقد فشل النظام الجزائري خلال ثلاث فترات 1980،1972،1964، (أي في عهد ثلاث رؤساء :بن بلة، بومدين وبن جديد) في تبني قانون منصف للمرأة مما أدى إلى ترك فراغ قانوني فيما يخص القانون المدني الذي صدر سنة 1975، ولم يكن عدم إشراك المرأة في إعداد هذا القانون وحده

2_ Khodja(S) , Les Algériennes, citoyennes en devenir ,IMED/CMM ,2000,Alger ,p223

الدافع إلى نمو حركة نسوية معارضة، ولكن تجاهله للواقع وعدم الأخذ في الحسبان بالتغييرات التي حصلت في الحياة الاجتماعية والاقتصادية أيضا، وربما بشكل خاص بدور المرأة في هذه الجوانب، جعل نجاح إدماج المرأة في الحياة العامة مسألة مرهونة بتقدم مكانتها في النصوص القانونية، يدفعنا هذا إلى القول أن النظام السياسي قد كرس المرجعية التقليدية وسمى بالمعايير التي فرضتها الأعراف والقيم التي دافعت عنها بعض المرجعيات الإسلامية"، فمرجعية هذا القانون دينية، والمعارضون يعتبرونه قانونا غير عادل وغير منصف، ولا يساوي بتاتا بين الرجل والمرأة، وقد رفضته بعض الجمعيات ولا تزال حتى الآن تطالب بتعديل مواده، ورغم المساعي التي باءت بالفشل خصوصا لدى المجلس الشعبي الوطني والحكومة إلا أنها اتخذت من القانون منطلقا للنضال من أجل المطالبة بحقوق المرأة، ولعلّ أهم المواد التي تعتبرها تعسفا في حق المرأة الجزائرية ما يلي:

ــ **المادة التاسعة :** يتم عقد الزواج برضا الزوجين، وبولي الزوجة وشاهدين والصداق .

ــ **المادة العاشرة :** يكون الرضا بالإيجاب من أحد الطرفين وقبول من الطرف الآخر بكل لفظ يفيد معنى النكاح شرعا .

ــ **المادة 11 :** يتولى زواج المرأة وليها، وهو أبوها، فأحد أقاربها الأولين .

ــ **المادة 12 :** لا يجوز للولي أن يمنع من في ولايته من الزواج إذا رغبت فيه، وكان أصلح له، وإذا وقع المنع فللقاضي أن يأذن به مع مراعاة أحكام المادة 9 من هذا القانون غير أن للأب أن يمنع بنته البكر من الزواج إذا كان في المنع مصلحة للبنت .

ــ **المادة 13 :** لا يجوز للولي أبا كان أو غيره أن يجبر من في ولايته على الزواج ولا يجوز له أن يزوجها بدون موافقتها .

فمن خلال قراءة لهذه القوانين يظهر لنا جليا :

- أن المرأة مهما كان سنّها تبقى قاصراً، ولا يحق لها أن تتخذ التدابير الكفيلة في زواجها

- كل المواد السابقة الذكر تدعم فكرة ضعف وقصور المرأة مهما كان سنها ومكانتها الاجتماعية ، فحتى فيما يخص مصيرها، فهنالك طرف ثاني يقوم بالتصرف بدلها .

- التناقض بين المادتين 12 و 13، فمن جهة لا يحق لأي أحد كان منع زواج المرأة أو إجبارها عليه، نجد في المادة 12 أن للأب الحق في أن يمنع بنته من الزواج إذا كان ذلك في مصلحتها .

إن المادة 13 لا وجود لها في الواقع، حيث نجد العديد من النساء قد أرغمن على الزواج فأهميّة الموافقة تكمن في وجود أو عدم وجود الزواج الإجباري في المجتمع الجزائري المستمد أساسا من السلطة الأبوية، وإذا كان قانون الأسرة يفرض الموافقة بصفتها عنصرا مؤسّسا للرابطة الزوجية، وهذا ما يتجلّى في محتوى المادّة التاسعة من قانون الأسرة وتتم الموافقة عن طلب أحد الطّرفين، وعن موافقة الآخر بتعبير صريح دال عن زواج شرعي في المادّة العاشرة، فعند قراءة هاتين المادّتين لنا أن نتساءل إن كانت الموافقة مطلقة، فإذا تعلّق الأمر بالرّجل فالموافقة مباشرة، أمّا بالنّسبة للمرأة فيفرض موافقة ولي أمرها الذي يعتبر كعنصر أساسي للزواج، المّادة 11 (يتولّى زواج المرأة وليّها ..) يكون ولي المرأة ذكرا حسب المذهب المالكي، وهذا الولي لا يمكنه أن يكون سوى الأب أو الوصي الأقرب للمرأة أو القاضي. إنّ هذا التشريع الخاص بالمرأة يضعف تطبيق فرديّة قرارها وإرادتها التي تميّز هذا القبول، وهنا يمكن التساؤل ما إذا كان هذا الوضع استمرارية للنّظام الأبوي القائم أساسا على مفهوم الطّاعة والولاء والتبعية وهي مفاهيم تعيد إنتاج السلطة الأبوية وبالتالي تمنع ظهور المرأة كفرد أساسي مستقل.

إذن في ظلّ هذا الإطار القانوني الذي يعتقد أنّه يؤكّد دونيّة المرأة ويغيب الكثير من حقوقها، وبين التقاليد والتجديد تحاول المرأة التّكيّف مع كلّ التّغيرات وباستعمال طرق دفاعيّة أبرزها الجمعيات المدافعة عن حقوقها المدنية والشخصية في هذه المنطقة الحساسة أو المحظورة سياسيا، ف " من خلال تغيير قانون الأسرة سوف نبني جزائر الغد التي ستعرف تزايد كبير في عدد النساء المتعلمات والمثقفات اللواتي يعرفن كيف يحصلن على حقوقهن، ويساهمن في بناء مجتمع ديمقراطي حقيقي قائم على الإنصاف واحترام الأخر وتحقيق هذا يتطلب صبر وجهد كبيرين لتغيير عقلية وعادات المجتمع، وانطلاق هذا التغيير يبدأ من الأسرة لأن تربية طفل في أسرة لا تعترف بالمساواة ينتج بالغ بنفس العقلية، إذا على الأسرة والمدرسة التكفل بترسيخ فكرة المساواة بين الجنسين في تنشئة الجيل الجديد

2 ــ المرأة والخطاب السياسي:

يعد العمل السياسي للمرأة شرطا من شروط المواطنة، وانعكاسا لدور المرأة في الحياة العامة والخاصة، وقد أصبحت المشاركة النسائية في المجال السياسي مطلبا رئيسيا من مطالب الحركات النسوية في العالم، إلا أن مسيرتها في الحصول على حقوقها السياسية كانت طويلة، ويرجع ذلك لثقافة المجتمعات عبر كل الحقب الزمنية، إذ كان الرجل ولا يزال المتحكم في كل المجالات وأهمها مجال السلطة والسياسة، وظلت المرأة لعهود بعيدة أو بالأحرى مستبعدة عن كل مراكز اتخاذ القرار.

لقد ساهمت الحركة النسوية الغربية من خلال نضالها لعقود طويلة في تحسين وضع المرأة الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وقضت على الفلسفة التي تحط من قيمة المرأة واستبدلتها بسياسة جديدة ردّت الاعتبار لها، وأكدت على القوة النسائية في الحياة العامة مما أهلها لتبوء مناصب عليا في المجال السياسي، أما المرأة العربية فبالرغم من تحسن وضعها وتقدمها الواضح في اقتحام مجالات العمل المختلفة كالصحة والتعليم، إلا أنها مازالت تعاني من عدم الاهتمام بها من قبل السلطات والمجتمع، وعدم تقدير كفاءاتها في المجال السياسي، فالمنطقة العربية عاشت لفترة طويلة حروبا وظروفا خاصة أثرت كثيرا على وضعها وجعلتها أكثر عزلة عن واقعها العام وانتشرت ثقافة جديدة تنظر لها نظرة الضعف، وأنها لا تستطيع الخروج إلى المجتمع ومواجهة مشكلاته المتعددة وعليها أن تكتفي بالعمل في البيت والاهتمام بالأسرة، إلا أن المرحلة الاستعمارية التي مرت بها المنطقة قد منحت للمرأة فرصة الظهور وإثبات قدراتها في المساهمة في عملية التحرير تحرير بلادها وذاتها، فكانت لها مواقف خالدة يشهد بها التاريخ، وكانت هذه المساهمة الانطلاقة لنشأة الحركات النسوية العربية التي ساهمتفي الحركات الوطنية والسياسية وناضلت من أجل حصول المرأة العربية على حقوقها، كحق الانتحاب والمشاركة السياسية البرلمانية والحزبية، فحصلت المرأة في معظم البلاد العربية على " الحق في

الانتخابات والتصويت والترشيح، وكانت لبنان أول دولة عربية تمنح المرأة ذلك الحق عام 1952 ثم مصر عام 1956، والجزائر عام 1962، وعمان وقطر عام 2003، ثم الكويت عام 2006، وقد عينت أول وزيرة في الوطن العربي عام 1959 في العراق ومصر، وفي عام 1964 في الجزائر. " ([1])

1ــ مدحت أحمد محمد يوسف غنايم، تفعيل دور المرأة في المشاركة السياسية دراسة تأصــيلية، المركــز القــومي للإصــدارات القانونية، القاهرة، مصر، ط1،2014، ص46.

1ــ المرأة والخطاب السياسي العربي:

أدي التحول الديمقراطي الذي شهده العالم في العصر الحديث إلى عدة تغييرات منها الآراء التي تدعم حقوق المرأة وتدعو إلى تفعيل أدوارها في المجالات السياسية والاجتماعية والوظيفية وزيادة مشاركتها في صنع القرارات، وحاولت الدول العربية تمكين المرأة من ممارسة العمل والمشاركة في صنع القرار، بالرغم من محدودية عدد النساء اللواتي دخلن المعترك السياسي مقارنة بعدد الرجال، إلا أن ذلك يعتبر نقلة نوعية في أداء المرأة ونشاطها، ففي فترة التسعينيات من القرن الماضي وبداية هذا القرن ازداد اهتمام جمعيات ومنظمات المجتمع المدني في الوطن العربي بالحقوق السياسية للمرأة فقد تفاعلت هذه الهيئات خاصة النسائية منها مع المواثيق والاتفاقيات الدولية التي صدرت في هذا الإطار، وكثفت من أنشطتها الرامية إلى توعية النساء " بأهمية المطالبة بتمتيع المرأة بحقوقها السياسية، كما طالبت حكوماتها بالانخراط في هذا المسار، واتخاذ التدابير الكفيلة بإقرار الحقوق السياسية للنساء وتمكينهن من ممارسة هذه الحقوق في الواقع حتى لا تبقى مجرد حبر على ورق" . ([1])

لكن بالرغم من اندماج المرأة العربية في المجتمع وتأسيسها لمكانة سياسية معتبرة ما يزال في المجتمعات العربية من يشكك في جدوى المشاركة السياسية للمرأة متحججين بالدين، مع أن" المرجعية الإسلامية تؤكد جدوى هذه المشاركة ، فالقرآن الكريم والسنة النبوية يؤكدان في نصوص كثيرة مساواة المرأة للرجل في أصل التكليف وفي تحمل أمانة الاستخلاف في الأرض وعمارتها بالخير، والتجربة السياسية للمرأة المسلمة في عصر الرسالة وعصر الخلافة الراشدة تؤكد الانخراط القوي للنساء في الحياة السياسية "([2]) إذا واقع المشاركة السياسية للمرأة العربية مختلف عمّا نصت عليه الدساتير والنصوص القانونية، حيث تضمنت دساتير جل الدول العربية جملة من النصوص نصت

1ــ سعد الدين العثماني، المرأة والمشاركة السياسية، طوب بريس، الرباط، المغرب، ط1، 2008، ص59.

[2]ــ المرجع نفسه ، ص54.

على إقرار الحقوق السياسية للمرأة ولو في حدها الأدنى، وتبنت عدد من هذه الدول جملة من التدابير من أجل تفعيل المشاركة السياسية بشكل تدريجي على أرض الواقع، غير أن واقع هذه المشاركة لازال دون المطلوب، خاصة على مستوى مراكز اتخاذ القرار،فعلى مستوى التمثيل النيابي " لا يتجاوز المعدل العام لحضور النساء العربيات في البرلمانات العربية9,5 ٪ ، وهي أقل نسبة لتمثيل النساء في برلمانات العالم ، حيث يبلغ المعدل العام للتمثيل النسائي داخل البرلمانات حوالي17,5 ٪ في2007، ويصل في دول أوروبا الشمالية إلى 40, ٪ وفي أمريكا 20 ٪ ، وفي أوروبا الغربية 17,6 ٪ وفي آسيا16,5 ٪ وفي إفريقيا 16,5 ٪" .([1])

ورغم اعتماد نظام الحصة أو ما يسمى ب"الكوطا" في عدد من الدول العربية من أجل تعزيز التمثيل النسوي، إلا أن نسبة حضور المرأة في برلمانات هذه الدول لازال ضعيفا ففي" مصر اعتمد هذا النظام سنة 1979، وتعزز حضور المرأة في مجلس الشعب بنسبة 9٪ ، قبل أن تتخلى عنه سنة 1986 ليتراجع بعد ذلك التمثيل النسوي إلى4,1 ٪ سنة 1987، و2 ٪ سنة 2000 و2005، وفي تونس وصلت النسبة حلال انتخابات أكتوبر 2004 إلى 22,8 ٪ وهي نسبة متقدمة إقليميا، وفي سوريا وصل تمثيل المرأة في البرلمان ما يقارب إلى 12 ٪، وفي فلسطين وصلت النسبة خلال انتخابات 2006 التشريعية12 ٪ ، وفي السودان فاقت النسبة 12 ٪ بعد تعديل قانون الانتخابات 1999 وفي الأردن لم تتجاوز النسبة 6 ٪ خلال انتخابات 2006، وفي دول الخليج العربي مزال التمثيل النيابي للمرأة محدودا، عدا الإمارات العربية التي وصل تمثيل النساء في مجلسها الوطني الاتحادي 22,8 ٪ بعد مرسوم رقم 6 لسنة 2007، وسلطنة عمان التي فازت امرأتان بعضوية مجلس الشورى في انتخابات 2003، أما في المغرب فرغم اكتساب النساء لحق التصويت والترشح منذ ما يزيد عن نصف قرن، إلا أن التمثيل النسوي لازال

1ــ انظر: إحصائيات اتحاد البرلمانات العالمية، http :// .org.www.iup

ضعيفا، واعتمد نظام "الكوطا" لتحسين هذا التمثيل سنة 2002، وقد مكن هذا الإجراء من انتخاب ثلاثين امرأة في اللائحة الوطنية وخمس نساء باللائحة المحلية ليصبح العدد الإجمالي 35 مقعدا بنسبة 10,8 ٪ " .([1]) ، ويتضح من خلال هذه الأرقام ضعف التمثيل البرلماني للنساء في البرلمانات العربية، ولا يختلف الأمر على مستوى تقلد المناصب الحكومية والوزارية، ففي التسعينيات من القرن الماضي شغلت المرأة بعض المناصب الوزارية في تسع دول عربية بمعدل وزيرة أو وزيرتين، وهذه الدول هي: سوريا المغرب، مصر، الجزائر، تونس، السودان، موريتانيا ، الأردن، جزر القمر وارتفع عدد هذه الدول بانضمام عمان واليمن وقطر في بداية الألفية الثالثة .([2])

رغم التطور الفكري الذي عرفته البلدان العربية وتحقيق المرأة العربية في الحياة السياسية مكاسب هامة وإيجابيات عديدة لم يرق التمثيل السياسي للمرأة للمستوى المطلوب فعدد النساء المنخرطات في الحياة السياسية لا يتناسب وعددهن في المجتمع ويمكن إرجاع ذلك للأسباب التالية:

ــ التصور العام في المجتمع العربي والذي يحمل صورة سلبية للدور الذي يمكن للمرأة أن تقوم به في تدبير الشأن العام وقد ترسخت هذه الفكرة حتى في ذهن المرأة بفعل التنشئة الاجتماعية،وطبيعة الثقافة الرائجة عنها في الأوساط الشعبية، إضافة لعدم وعي المرأة بحقوقها وعدم تقديرها لقدراتها، دون أن ننسى الدور السلبي الذي يقوم به الإعلام من خلال تنميط صورة المرأة وتحقير وظائفها.

ــ مظاهر الإقصاء والتهميش الاجتماعي، وانتشار الأمية، وتدني الخدمات الصحية وغيرها من مظاهر الفقر التي تجعل المرأة لا تأبه بالمشاركة السياسية ولا تدرك أهميتها في تحسين وضعيتها الاقتصادية والاجتماعية .

1ــ ادريس الكريني، نظام الكوطا وتعزيز دور المرأة في البرلمان، مقاربة لنماذج عربية، دراسة منشورة بـــالموقع الالكترونـــي لمركز القدس للدراسات السياسية.

2ــ صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة (اليونفم) ، 10 سنوات بعد بكين ، دور المنظمات غير الحكومية ، ص 28.

ــ الفساد السياسي والانتخابي الذي يؤثر سلبا على حضور المرأة في الأحزاب، وفي الهيئات السياسية بسبب غياب الديمقراطية ، مما يعيق نجاحها في مختلف الاستحقاقات.

ــ ازدواجية عمل المرأة العاملة، فجهدها موزع بين وظيفتها وبين وظائفها الأسرية التي تنتظرها بعد الرجوع من العمل، فغياب مناخ داعم للمرأة يساهم من إمكانية مواكبتها للحياة السياسية و مشاركتها فيها .

ويتطلب النهوض بالمشاركة السياسية للمرأة العربية تجديد المنظومة القيمية للمجتمع، من خلال تصحيح بعض المفاهيم الناتجة عن القيم والعادات القديمة للمجتمعات العربية والتي تؤثر سلبا على توجهات الأفراد وسلوكاتهم " فالخطاب الإيجابي عن مشاركة المرأة في المجتمع وتشجيع الأسرة على انخراط المرأة في الحياة السياسية لهما دور كبير في بناء قناعات المرأة وتنشئتها تنشئة متوازنة متشبعة بقيم المشاركة والتفاعل" ([1])، وتجاوز الصورة النمطية التي يقدمها الإعلام عن المرأة ضروري، فهو يشوش على النموذج النسائي الإيجابي المتفاعل مع قضايا المجتمع، ويترك لدى المتلقي صور نمطية عن مشاركة المرأة، ويطبع في لاوعي المتتبعين تصورا سلبيا عن وظائف المرأة، فلابد من تغيير السياسات الإعلامية وتطوير مستواها .

كما للإرادة السياسية دور في تفعيل دور المرأة فلابد لها من إقرار نظام سياسي ديمقراطي يؤمن بدور المرأة كجزء أساسي لا يتجزأ عن المسار السياسي للدول العربية ويجدر بالأحزاب السياسية المساهمة في ذلك من خلال تشجيع النساء وإعداد نخب سياسية مؤهلة لخوض المعترك السياسي، ونجاح ذلك مرتبط بترجمة الإرادة السياسية إلى قوانين تنظيمية تضمن تمثيل نسائي أكبر وأوسع على قدم المساواة مع الرجل .

1ــ سعد الدين العثماني، المرأة والمشاركة السياسية، ص69.

ب ــ المرأة والخطاب السياسي الجزائري:

يشهد التاريخ النضالي الجزائري مساهمة المرأة الجزائرية من خلال دورها السياسي والاجتماعي والثوري خلال الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، ولم تعرف الاستسلام والخوف رغم حالة الأمية التي كانت متفشية بين النساء آنذاك، فضحت بكل ما تملك ووقفت جنبا إلى جنب مع الرجل إلى غاية استقلال الجزائر، لكن بعد الاستقلال تغير وضعها، وتراجعت مساهمتها لتعود مرة أخرى إلى البيت، ولم يبرز لها دور ماعدا مساهمة الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات الذي مكن المرأة من المشاركة السياسية بشرط الموالاة للحزب الحاكم، تاركة المجال العام للرجل.

ــ نضال المرأة الجزائرية قبل اندلاع الثورة:

في الوقت الذي كانت فيه قيادة الجيوش وخوض الحروب في معظم المجتمعات حكرا على الرجال، تمكنت المرأة الجزائرية من قيادة حملات المقاومة، ولعل المجاهدة " لالة فاطمة نسومر" أكبر مثال على هذه البطولات في دفاعها وقيادتها للمجاهدين في منطقة جرجرة وقبيلة " إليثي"([1]) ، في معارك عارمة عام 1857 وحققت عدة انتصارات على القوات الفرنسية، وتمتعت المرأة بإرادة قوية والتي كانت عاملا مهما وبارزا في قيامها بالعمل الوطني، و" هذا يوضح قيمة المبادرة، وصورة للمشاركة السياسية النابعة من الإرادة الذاتية، والإيمان بضرورة أداء الدور وتحمل المسؤولية بكل أعبائها" ورغم هذه المبادرات والوعي بضرورة المشاركة في النضال كانت المرأة الجزائرية تتخبط في الجهل والحرمان والنظام الأسري المنغلق خوفا من تأثرها بثقافة المستعمر وظلت على هذا الحال لزمن طويل، إلى أن تطور الوعي القومي وبدأت بعض العناصر تنتبه لضرورة تعليم المرأة ودمجها في المجتمع، خاصة بظهور الحركات الوطنية الإصلاحية كجمعية العلماء المسلمين التي فتحت بعض المدارس للفتيات و" ازدادت المطالبة بتعليم

1ــ أنيسة بركات، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985،ص48.

المرأة بعد الحرب العالمية الثانية، فواصلت الفتاة الجزائرية تعليمها لتصل إلى الثانوية وحتى الجامعة، وظهرت عدة جرائد ومجلات كان لها الدور الكبير في النضال من أجل تطوير المرأة في شمال إفريقيا" ([1]) ، كما ساهمت منظمات نسوية في نشر الوعي منها:

ــ الاتحاد الفرنسي الإسلامي لنساء الجزائر(1937) .

ــ اتحاد النساء الجزائريات (الحزب الشيوعي الجزائري)

ــ جمعية النساء المسلمات الجزائريات (1947) الحركة من أجل انتصار الحريات.

ــ مساهمة المرأة في الثورة الجزائرية:

شهدت الثورة الجزائرية مساهمة معتبرة للمرأة الجزائرية، فخرجت للجهاد والتحقت بصفوف المجاهدين رغبة في الاستقلال والعيش بسلام، فكان لهن دور فعال في وقوفهن جنبا إلى جنب مع المجاهدين، ووقعن عدة مرات في قبضة السلطات الاستعمارية وتلقين أنواعا من التعذيب، ونضالهن كان مزدوج رغبة في الاستقلال وثورة على واقع أليم كن يعشنه من فقر وجهل وحرمان، وتحدين التقاليد والذهنية السائدة، وأجبروا القادة والسياسيين على قبولهن والاعتماد عليهن في مهام متعددة، فكانت المرأة الجزائرية مناضلة، وفدائية، ومسبلة.

نضال المرأة الجزائرية خارج الوطن: على غرار النساء اللواتي خدمن الجزائر في أرض الوطن هناك نساء جزائريات فعلن ذلك خارجه، وخاصة في فرنسا، فجمعن الأدوية والمال لإرساله للجزائر، وخرجن في مظاهرات تنديدا بالاستعمار كمظاهرات 17 أكتوبر 1961 والتي تعرضن للسجن فيها.

لقد كان للمرأة الجزائرية مواقف ونشاطات سياسية لا تقل أهمية وفاعلية عن الرجل فبالرغم من وضعها المتدني من تهميش وتفش للأمية آنذاك، إلا أنها كانت

1ــ مصطفى عوفي، الوضعية الاجتماعية للمرأة العاملة وانعكاساتها على الوضع الاجتماعي، رسالة ماجستير في علم الاجتمـــاع، 1995/1994، ص51.

ولازالت رمزا لجميع نساء العالم بكفاحها ضد الاستعمار مخلدة اسمها في التاريخ الجزائري والتاريخ الإنساني.

ـ نضال المرأة الجزائرية بعد الاستقلال :

عاشت الجزائر بعد الاستقلال ظروفا سياسية واقتصادية مضطربة بعدما غادر ما يقارب المليون معمر فرنسي تاركين مزارعهم ونشاطاتهم ووظائفهم، وأمام هذه الظروف تطلب تجنيد كل أفراد المجتمع بما فيهم النساء في القطاع الإنتاجي، ومن هنا واصلت المرأة دورها ومهمتها الوطنية، إلا أن حالة الأمية التي كانت تعاني منها بنسبة عالية كانت حائلا دون دمج المرأة في الكثير من المجالات التي تتطلب المستوى العلمي ولهذا السبب غابت المرأة عن العديد من الميادين وأهمها الميدان السياسي، وإضافة إلى الأمية لم تولي السلطات الجزائرية المرأة اهتماما ولم تخصص لها برامج لتحسين وضعها فاضطرت أغلب النساء إلى العودة للمنزل وإلى الدور الطبيعي الذي حدده لها المجتمع سابقا، ماعدا بعض الحالات الخاصة مثلتها مجموعة من النساء التحقن بالاتحاد الوطني للنساء الجزائريات باعتباره الهيئة الوحيدة التي يمكن للمرأة أن تنشط به، وبعدها ظهرت فئة نسوية أخرى ناضلت لنيل حقوق المرأة من خلال المطالبة بتعديل قانون الأسرة، هذه الفئة ظهرت بظهور التيارات الفكرية على الساحة السياسية التي أعطت للمرأة الفرصة في توعية الذات وتوعية الغير وإثبات الوجود من خلال المشاركة في تحديد المصير العام للمجتمع.

إذا مرت الجزائر بظروف ومراحل صعبة بعد الاستقلال لم تكن سهلة على الشعب الجزائري عموما والمرأة خصوصا، فالمرأة باعتبارها جزء مهم من هذا المجتمع قد تأثرت بأزماته عبر كل المراحل التاريخية، فرغم الإقرار بضرورة المشاركة السياسية لها بعد الاستقلال وحتمية إشراكها في بناء الجزائر المستقلة من خلال برنامج وثيقة طرابلس التي نصت صراحة على أن " تحقيق المهام الاقتصادية والاجتماعية للثورة الديمقراطية والشعبية يتوقف على تبني سياسة اجتماعية لصالح الجماهير لرفع مستوى

المعيشة ويكون تحرير المرأة أحد مقاصدها، وفي هذا المنحى نص البرنامج على: إشراك المرأة بطريقة تامة وكاملة في تسيير الشؤون العامة وفي تنمية البلد، وقد تبنى البرنامج سياسة تدعو إلى إنهاء كل المعوقات التي تحول دون تطور المرأة ولاسيما الذهنيات البالية التي تكرست لدى النساء أيضا، ومن جهة أخرى كان ميثاق الجزائر (1964) قد مثل نداء صريحا للمرأة الجزائرية من أجل المشاركة فعليا في العمل السياسي، وأن تجعل طاقتها في خدمة بلدها من خلال المشاركة في الحياة الاقتصادية بحيث يكون العمل، هو السبيل الحقيقي لترقيتها" ([1])، واجهت المرأة رفض مجتمعي لذلك، فكانت مشاركتها قاصرة رغم محاولة بعض النساء فرض أنفسهن ودخول المعترك السياسي، فنجحن في الضغط على الحكومة لتغيير بعض القوانين المجحفة في حق المرأة كقانون الأسرة.

وبعدما دخلت الجزائر مرحلة التعددية الحزبية، وعرفت نوع من التفتح الفكري فرضت المرأة الجزائرية تواجدها السياسي من خلال العمل عبر الأحزاب، لكن لم تستمر هذه المشاركة الفعالة لدخول الجزائر مرحلة متأزمة من تاريخها عرفت انتشار التيار الإسلامي ومحاولة الأحزاب السياسية الوصول للحكم، و" نجاح التيار الإسلامي في التسعينيات كان أول خطوة لتغييب المرأة عن المناصب السياسية، فأصبحت المرأة التي تمثل نصف المجتمع الجزائري مقصية من صنع قراراته" ([2]) على الرغم من تزايد عدد النساء المتمدرسات والطالبات والعاملات، وبعد إلغاء السلطة الجزائرية لنتائج انتخابات 1991 والتي فاز فيها الحزب الإسلامي " الجبهة الإسلامية للإنقاذ" دخلت الجزائر في مرحلة حرجة عرفت ب"العشرية السوداء" عرفت انتشار الإرهاب والخوف في وسط الشعب الجزائري، وقد اثر هذا الوضع على أفراد المجتمع، والنساء بصفة خاصة،

[1] ــ بورغدة وحيدة، المشاركة السياسية والتمكين السياسي للمرأة العربية: حالة الجزائر، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 36،2012، ص132ــ150.

[2]_ Saï Fatima Zohra, Les Algériennes dans Les espaces politiques, Ed Dar El Gharb ,2002, p 31.

فابتعدن عن كل ما له علاقة بالسياسة وتراجع نشاطهن العام، ما عدا بعض النشاط الجمعوي الذي حاولن من خلاله تقديم شيء مفيد للمجتمع، لكن حركتهن كانت محدودة بفعل الظروف الأمنية، ودام الوضع على هذا الحال إلى أن تحسنت الظروف السياسية والأمنية في الجزائر، فدخلت المرأة مجددا المجال السياسي وبقوة من خلال احتلال مواقع سياسية مهمة في البرلمان والوزارة والأحزاب.

وفي الأخير يمكن القول أن المساواة بين الجنسين كانت مكرسة منذ الاستقلال بل غالبا ما يتم التأكيد على هذا الجانب في الخطاب السياسي الرسمي من أجل إبراز احترام حقوق المرأة وكذلك المساواة بين الجنسين، ولكن سلطة البعد الديني ورمزية التقاليد حالت دون حدوث هذه المساواة في الواقع، لأن مطلب المساواة واحترام حقوق المرأة كان مجرد توجه تنهجه السياسات العامة الحكومية في مجال المرأة، ومع ذلك كانت المسيرة السياسية للمرأة الجزائرية ناجحة إلى حد كبير بفضل نضالها لعدة سنوات من أجل تحسين أوضاعها الاجتماعية والقانونية وتفعيل دورها السياسي رغم مواجهتها لعدة عقبات أهمها رفض الأسرة والمجتمع بعاداته وتقاليده وعدم تقبلهما هذه المشاركة إلا في حالات قليلة، يكون الوعي الفكري والمستوى التعليمي فيها كبير وأحيانا تكون المرأة نفسها من أهم الرافضين للمشاركة النسوية السياسية، مقللة من أهمية هذه المشاركة وأنه المجال الطبيعي للرجال، رغم إدراكها بقدرتها على خوضه وبالتالي يكون للمرأة دور في ترسيخ فكرة عدم تقبلها في هذا المجال من المجتمع، ومن ثم تتأثر المشاركة السياسية للمرأة بمدى قناعتها هي بجدوى هذه المشاركة، وضرورتها، واقتناعها بقدرتها على العطاء لمجتمعها كما أن على عاتقها مسؤولية تغيير العقليات نحو تقبل فكرة دخولها المعترك السياسي كي لا تعيش وضعا ليست صانعته وليس لها دخل في اتخاذ قرارات تحدد مصيرها، وتخضع لقوانين لم تشارك في وضعها .

ج ــ الخطاب السياسي النسوي في الجزائر:

طيلة خمسين سنة بعد الاستقلال كان وجود المرأة في الحياة السياسية هامشيا سواء تعلق الأمر بوجودها في المجالس المنتخبة، أو في هيئات اتخاذ القرار ولكن في سنة 2012 تحسن الوضع بعد صدور القانون العضوي الذي عمل على توسيع تمثيل المرأة في المناصب السياسية، فارتفعت نسبة تمثيلها في المجلس الشعبي الوطني إلى نسبة 31% حيث بلغ عدد النائبات بعد انتخابات 10ماي 2012، 146 امرأة الأمر الذي جعل الجزائر تحتل المرتبة الأولى عربيا والثمانية والعشرين عالميا، وهذا التغيير الذي حصل بشكل ملفت ــ حيث كانت نسبة وجود المرأة في المجلس السابق لا تتعدى 7%ــ قد أدرج من قبل رئيس الجمهورية ضمن سلسلة من الإصلاحات شملت حتى إدماج المرأة في التشكيل الوزاري والأحزاب السياسية، وسلك الولاة، ورؤساء الدوائر، والسفراء، ورؤساء الجامعات والمدراء المركزيين.[1]

تولي المرأة لمناصب سياسية مهمة أدي إلى ظهور خطاب سياسي نسوي عبرت فيه المرأة عن قضايا المجتمع وعن قضاياها بعدما كنا نتحدث وفي أغلب الأحيان عن قضاياها من خلال الخطاب السياسي الذكوري، وعن تمثلاتها لهذا الخطاب الذي يتخذ منها مضمونا له لا قضية تشغله ويحمل همها، فهو لا يضع القضية النسوية في صلب اهتماماته، بل أنه يتعامل معها بشكل مناسباتي أو من خلال التزامه بأجندة مملاة عليه من الخارج، وحديثنا عن خطاب سياسي نسوي في مقابل خطاب سياسي رجالي يدفعنا للتساؤل، هل هناك فرق بين الاثنين؟ ولن يكون هذا التساؤل غريبا فقد طرح نفس الإشكال في اللغة والأدب وفي خطابات أخرى.

لو تأملنا الخطاب السياسي الذكوري لوجدناه خطابا إيجابيا فيما يتعلق بقضايا المرأة

[1] ــ ينظر ،زغ ين ب ن ب ل قا سم ، المرأة الجزائرية والتغيير، دراسة حول دور وأداء السياسات العمومية، مجلة إنسانيات ع 57ــ58 2012.

حيث لا يغيب الحديث في كل مناسبة عن مشاكل المرأة وما تعانيه اجتماعيا وسياسيا وحقوقيا واقتصاديا، بل أننا نشعر أنه خطاب لا ينسى أي كبيرة أو صغيرة تخص المرأة بدءا بضرورة مشاركتها السياسية إلى وصولها لمناصب صنع القرار مرورا بحقها في التعليم والصحة وغير ذلك مما يشعرنا أنه خطاب ديمقراطي يؤمن بالمساواة كما هو متعارف عليه دوليا، غير أن الواقع عكس ذلك، حيث أن الفرق شاسع بين مضمون الخطابات السياسية التي يطلقها رجال السياسة بين الحين والأخر والواقع، فإذا كانت هذه الخطابات توحي بأننا قطعنا أشواطا كبيرة فيما يتعلق بوضعية المرأة وحقوقها، فالواقع يؤكد لنا أننا لازلنا في بداية الطريق، والدليل على ذلك ما يحدث بخصوص تطبيق قانون الأسرة والحد من العنف الممارس ضد النساء وغيره من القضايا، حيث لازالت المرأة تعاني وبشكل كبير من العنف والتهميش والإقصاء رغم الخطابات المنمقة التي يتفنن صانعوها في وضعها والتأثير بها على المتلقي البسيط.

وظهور الخطاب السياسي النسوي بعد تولي المرأة لعدة مناصب سياسية يدعونا إلى البحث عن خصوصيات هذا الخطاب، وهل يختلف عن نظيره الذكوري؟

لا يمكن حصر دور المرأة الجزائرية في وظيفة التلقي حينما يتعلق الأمر بالخطاب السياسي لأنها هي أيضا صانعة لهذا الخطاب، غير أنه خطاب مختلف عن نظيره الذكوري سواء تعلق الأمر بمضمونه أو لغته أو مرجعيته، إذن هو خطاب من نوع خاص.

يتميز الخطاب السياسي النسوي في الجزائر بالاستمرارية، أي أنه لا يتعلق بمناسبة من المناسبات للتذكير بمطالب المرأة، فلو تأملنا خطاب الحركة النسوية منذ بدايتها لوجدناه يكرر نفس المطالب في تمكين المرأة الجزائرية من حقوقها وفي طلب المساواة بين الجنسين، ومسيرة الحركة النسوية أثبتت أن المرأة الجزائرية تغلبت على القيود التي كبلتها لعقود باسم التقاليد والأعراف والدين، وأثمرت جهودها دخول المرأة للمعترك السياسي وتوليها مناصب مهمة فيه، ونضالها من أجل تعديل قانون الأسرة والانتخابات

والقضاء على العنف والتحرش الجنسي ومحاربة الفساد والدعوة إلى تعليم المرأة خاصة الريفية، كل هذا يجري بعيدا عن الانتخابات وحملاتها والدعاية لها أو الاستجابة إلى مطالب وقوانين خارجية.

إذا الخطاب السياسي النسائي خاص، رغم أنه لا يختلف في المضمون عن الخطاب الذكوري من حيث الحديث عن الديمقراطية وحقوق المرأة (الحق في الانتخاب ترشحا وتصويتا، الحق في ممارسة السياسة، الحق في التعليم...) وغيرها من من المواضيع التي تخص المرأة والتي طالبت بها الحركة النسوية في الجزائر منذ عقود، أما الاختلاف فيكمن في طريقة الاشتغال، فالخطاب النسوي ليس خطابا جماهريا، لأنه خطاب موجه إلى نخبة وأعداد صغيرة، فغرض المرأة ليس دائما امتلاك السلطة أو الحصول على مناصب، بل تغيير الذهنيات والوصول إلى حقوقها والمشاركة في وضع القوانين الخاصة بها، لهذا هي ليست بحاجة لجمهور عريض يدعمها يوم الاقتراع مقابل وعود واهية، بل تعمل على التحسيس بمطالب النساء وتحسين أوضاعهن في كل المجلات.

تميز الخطاب النسوي في الجزائر في الفترة الأخيرة بالقوة والجرأة، وقد شكل صدى ومتابعة كبيرة من قبل الجماهير بفضل برلمانيات علت أصواتهن في قاعة البرلمان وعبرن عن مطالبهن بقوة، وتدخلن في شتى المواضيع المتعلقة بالمرأة، وبالمواطن الجزائري، وبفضل وزيرات استطعن أن يحدثن تغييرا في وزارتهن، وأن يتركن أثرا لدى الشعب أمثال: **خليدة تومي** و**نورية بن غبريت** و**هدى إيمان فرعون** وغيرهن.

وتعد **لويزة حنون** واحدة من أشهر السيدات اللواتي دخلن المعترك السياسي في الجزائر، ولدت يوم 7 أفريل 1954، بجيجل في أسرة متواضعة، وخلال حرب التحرير نزحت مع أسرتها نحو مدينة عنابة، وكانت أول امرأة من أسرتها تذهب إلى المدرسة غداة الاستقلال، نالت شهادة البكالوريا سنة 1975، تابعت دراستها الجامعية في جامعة عنابة واشتغلت في نفس الوقت بمطار المدينة.

بدأت النشاط السياسي النسوي سنة 1979 خارج جبهة التحرير الوطني(الحزب الحاكم) وذلك في مدينة عنابة ثم انتقلت إلى الجزائر العاصمة سنة 1980، ونشطت في الدفاع عن قانون الأسرة المثير للجدل آنذاك، وفي عام 1981 انضمت إلى المنظمة الاشتراكية للعمال وهي منظمة سرية، واعتقلت سنة 1983 مع مجموعة من النساء وحوكمت أمام محكمة أمن الدولة بتهمة المساس بالمصالح العليا للبلاد، وأفرج عنها في ماي 1984، انضمت في نفس السنة لمنظمة المساواة أما م القانون بين الرجال والنساء التي تترأسها خالدة مسعودي.

في سنة 1990 وبعد إعلان التعددية الحزبية في الجزائر أعلنت لويزة حنون عن تـــأسيس حزب العمال وأصبحت الناطقة الرسمية به.

تعتبر لويزة حنون الأمينة العامة لحزب العمال أول امرأة والوحيدة التي ترشحت في الانتخابات الرئاسية في الجزائر وفي الوطن العربي لثلاث عهدات على التوالي (2004،2009،2014)، وفي لقاء على قناة الجزيرة ردت على سؤال حول من أين لها القوة ومن يقف وراء ترشحها كأول امرأة عربية للرئاسيات قائلة:" ...من ورائي؟ ورائي تاريخ حافل بالنضالات في الجزائر، تاريخ الشعب الجزائري بنسائه ورجاله من أجل التحرر، يعني نضال شاركت فيه المرأة الجزائرية الند للند مع الرجل، بالسلاح وبكل الوسائل الأخرى، وهذا جعلها تصل إلى مرتبة لا يمكن التشكيك فيها، يقف ورائي برنامج سياسي تأكدت شعبيته منذ سنوات وسنوات، بمجرد أن أعطيت لنا الفرصة للتعبير عن رأينا من خلال انتخابات أو من خلال المجلس الشعبي الوطني، أو من خلال الإعلام"([1])

تهتم لويزة حنون بقضايا المرأة وتطرح مواضيع جريئة، حيث "طالبت بالمزيد من الجرأة في مراجعة قانون الأسرة، باعتماد مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة فيما يتعلق بالميراث، وقالت أنه لا يوجد تقدم في قضية الأحوال الشخصية، معتبرة الطلاق والخلع

[1] ــ محمد دحو، مقابلة مع لويزة حنون حول "منصب الرئاسة في الجزائر" ، حلقة من برنامج " لقاء اليوم" بقناة الجزيرة.

هما الوسيلة الوحيدة للمرأة التي تعطيها الحق في الانفصال عن زوجها، وأضافت المتحدثة أن هذه القضية تطرح سؤالا جوهريا حول طبيعة الدولة «هل هي ديمقراطية أو دينية تضطهد المواطنات والمواطنين» "([1]) ووصلت لحد المطالبة بإلغائه لأنه يتنافى مع الدستور الجزائري الذي يحرم كل تمييز على أساس الجنس أو اللون أو الجهة.

يتميز خطاب لويزة حنون بالحديث عن المؤمرات الخارجية(الأمريكية الصهيونية، القطرية..) ضد الجزائر وضد وحدتها، ويعتبر خطابها تخويفي لدرجة أن كل أزمة تمر بها البلاد تربطها بأيادي خارجية، لغة خطابها قوية وجريئة تنم عن قدرتها الفائقة على العمل السياسي والتأثير في الآخرين تحت قبة البرلمان وخارجه، وتعرف كيف تحافظ على شعرة معاوية بينها وبين خصومها .

لويزة حنون امرأة قوية خاضت لأزيد من خمس وعشرين سنة معارك سياسية ضد الجميع بما فيهم السلطة والمعارضة، وناضلت بهدف البقاء في مقدمة المشهد السياسي.

وفي الأخير نقول أن وصول المرأة إلى السلطة لم يعد خبرا يثير الدهشة، فنحن نعيش في عصر نساء قويات، وصلن إلى أعلى المناصب، ويسعين دائما إلى الأفضل متخطين حاجز الخوف والعقليات الرجعية

[1] ــ جريدة البلاد، مقال بعنوان: " لويزة حنون: لا يمكن أن نبقى نطبق الشريعة الإسلامية ونحن في 2015" ، 2015/03/13.

المبحث السادس: الإعلام وقضايا المرأة

1ــ المرأة في الخطاب الإعلامي العربي.

2 ــ المرأة في الخطاب الإعلامي الجزائري.

6 ــ الإعلام وقضايا المرأة :

شكلت قضية المرأة والإعلام خلال العقود الأخيرة واحدة من أبرز القضايا التي شغلت الباحثين والساسة والمدافعين عن حقوق المرأة في العالم وفي الوطن العربي في ضوء ما أفرزته الدراسات المتعددة من نتائج كشفت عن الأبعاد السلبية النفسية والاجتماعية والسياسية والثقافية لصورة المرأة التي تتداولها وسائل الإعلام المطبوعة والمسموعة والمرئية و التفاعلية

ولاشك أن وسائل الإعلام تلعب دورا مؤثرا في تغيير أي صورة نمطية لآي شخصية كانت، وقد يكون دوره أساسيا في تغيير الصورة النمطية للمرأة و إظهار مواطن القوة والتأثير لديها إذا أرادت المرأة وسعت إلى ذلك.

1 ــ المرأة في الخطاب الإعلامي العربي

تعد وسائل الإعلام مصدرا من مصادر المعرفة التي تشكل وعي الإنسان، وتساهم مساهمة رئيسية في صياغة التصورات والمفاهيم العامة التي يراد تثبيتها في مجتمع معين، وتنجح في تكوين انطباعات وصور إيجابية أو سلبية في ظروف معينة ومحددة كما يلعب الخطاب الإعلامي دورًا مؤثرًا في بناء العلاقات الاجتماعية وتحديد الهويات الاجتماعية والثقافية، فهو عملية مستمرة ومعقدة تتفاعل فيها وعبرها قوى ومتغيرات عديدة تعكس أوضاع المجتمع وثقافته والمرحلة التاريخية التي يعيشها، ومن الصور التي يزرعها الإعلام في عقول المتلقين صورة المرأة لما لها من أبعاد اجتماعية وسياسية وثقافية على المجتمع .

والاهتمام بنهضة المرأة العربية ومشاركتها الفعالة في التنمية يتطلب تكاتف الجهود السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتواصلية " وسائل الإعلام " وما يهمنا هنا هو الاستخدام الأمثل لوسائل الإعلام لخدمة المرأة العربية وتحسين ظروف حياتها، باعتبار أن لوسائل الإعلام دورا فعالا في عملية التغيير الاجتماعي، فهي أهم الوسائل التي تؤثر في وعي وفكر وسلوك الأفراد.

والإعلام العربي ما يزال على الرغم من التطور الذي أصاب عالم الاتصال مصرّاً على تقديم المرأة بالصورة التقليدية، أو بالصورة المقلدة للنموذج الغربي، وهو ما يجعلها وسيلة للجذب الجنسي ولتشجيع وزيادة الاستهلاك، على اعتبار أن نموذج المرأة الحديثة هو نموذج المرأة المستهلكة، ولأن هذه الصورة التي تبثها بشكل مكثف وسائل الإعلام العربية، وبحكم وقع الصورة المؤثر في زمن الصورة، تدفع المرأة ذاتها إلى تبني الصورة السلبية عن نفسها والتماهي مع هذه الصورة للظهور بمظهر المرأة الحديثة من الزاوية الشكلية.

إنّ الانتشار الواسع للفضائيات العربية، يفترض أن يجعلها عاملاً مساعداً في تحسس القضايا الملحة والمباشرة للمجتمعات العربية، وليس وسيلة للتسلية فقط، وقد نجحت الفضائيات في رسم صورة واضحة للعديد من المشكلات التي تعاني منها المجتمعات العربية، واستطاعت أن تتعامل مع قضايا حساسة بالكثير من المسؤولية، وأن تعطي صورة واضحة عن الواقع العربي البائس كتصوير الوضع المأساوي في أكثر من مكان من العالم العربي، ولكنها في موضوع المرأة بقيت محافظة على بث صورة تقليدية عنها.

إن معظم الصور التي تقدمها هذه الفضائيات تفتقر إلى معالجة الواقع الحقيقي للمرأة في المجتمع، الواقع الحي الذي تواجهه يومياً، فمعظم هذه الصور تقدم المرأة بلا طموحات ولا وجهة نظر في القضايا العامة، ولا حتى مشاكل طبيعية مع محيطها الطبيعي، وأكثر من ذلك تقدمها بلا طموحات شخصية تتجاوز جدران المنزل، والمفارقة التي نجدها في هذا الإطار، هي حتى النساء العاملات يحلمن فقط في المنزل، ولا نجد لهن طموحاً خارج المنازل أو في إطار العمل، وتصور المرأة العاملة التي تملك طموحات مشروعة خارج المنزل بأنها مجردة من مشاعر الأمومة، ومعتدية على العادات والتقاليد، وهي تخوض الصراع مع المجتمع الذي لا بد من أن ينتهي بإقرارها بالخطأ الذي ارتكبته، وبالتالي عودتها إلى المنزل من جديد.

وهي صورة لا تعكس الصورة الحقيقية والواقعية لمشاكل المرأة وطموحاتها الحقيقية، ولا تضعها في الصورة المتطرفة للمرأة الغارقة في عواطفها التي تفسد عقلها أو التي تقتل عواطفها من أجل طموحات غير مشروعة من وجهة النظر الاجتماعية، لذلك لا نجد في الإعلام العربي صورة للمرأة المتوازنة القادرة على أن تكون أماً حقيقية وصاحبة طموح وموقع لا يتناقض مع دورها كأم، فدور المرأة كفاعل اجتماعي لا يقل أهمية عن دورها كأم، ولا يمكن وضعهما في مواجهة بعضهما. وبذلك لم يستطع الإعلام التعاطي مع الصورة الحقيقية للمرأة وتصوير مشاكلها الحقيقية في العالم المتوحش اليوم والذي يزداد توحشاً مع التقنيات الحديثة.

والاستمرار في تعزيز هذه الصورة على هذه الشاكلة، يبقي أوضاع المرأة العربية في حالة يرثى لها تحت ضغط الواقع من جهة، وتدمير سبل إمكانية الخروج من دائرة القهر التي تقع المرأة تحت وطأتها.

إن الخطاب الذي يبث عبر وسائل الإعلام يصنع الصورة الذهنية عن النساء، هذه الصورة تتشكل وتنمو وتصبح جزءا من التركيبة الذهنية للمجتمع، أيا كانت مضامين هذه الصناعة الخطابية، سلبا أو إيجابا، فهي قادرة على أن تحدث التأثير وتشكل الجمهور وتصنع تصوراته ومفاهيمه فيما يتعلق بالنساء مثل تبني ما يعرف بـــ(المعرفة السلبية) التي تعيق إدراك المرأة للبعد الاجتماعي والفكري الذي تتحرك داخله، مما يفضي إلى خدر فكري بدلا من إيقاظه، والذي يؤدي بدوره إلى معاناة المرأة ويضع أمامها الكثير من التحديات التي تعوق تنمية قدراتها وتوسيع قاعدة خياراتها، بحيث ما زالت الصورة السلبية للمرأة في الثقافة المحلية قائمة، وهي صورة مرتبطة بالموروث الثقافي السابق والحاضر الذي تنتجه، والذي يعد العائق الأهم لتطورها، بل سنجد الكثير من الأفعال القسرية التي ما زالت تحدث في حياتها وتفقدها تلك الحقوق باسم الثقافة المجتمعية السائدة.

ولقد أنجزت العديد من البحوث والدراسات لبحث كيفية تناول وسائل الإعلام العربية بكل أنواعها للمرأة العربية، وفيما يلي سنلخص أهم النتائج التي أفرزتها هذه الدراسات عن تناول وسائل الإعلام لقضية المرأة:([1])

ــ إن معظم مضامين وسائل الإعلام العربية تعكس الاهتمامات والأدوار التقليدية للمرأة فهي الأنثى المهتمة بالطبخ والأزياء والتجميل والإنجاب والعلاقات الأسرية السطحية وهي المشغولة بالمظاهر والشكليات.

ــ تصور هذه المضامين المرأة على أنها عاطفية شديدة الحساسية غير قادرة على التفكير السليم أو اتخاذ القرارات وأخذ زمام المبادرة، كما أن صورة الذات عندها سلبية تتمثل بالاستسلام لصورة الرجل .

ــ تفتقر هذه المضامين لمعالجة حقيقية لأوضاع المرأة العربية وقضياها وهمومها الجوهرية في المجتمع، فالتركيز يكون عادة على القضايا ذات الطابع العاطفي والعلاقات مع الرجل(الحبيب، الزوج) ومع الأولاد والوالدين، وحتى هذه القضايا تتم معالجتها عادة بسطحية دون التركيز على أسبابها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية.

ــ المرأة العربية الريفية، والبدوية، والفقيرة، والكادحة، والمناضلة مهملة في مضامين وسائل الإعلام العربية وكذلك الصغيرة، والكبيرة، والمسنة، والمعوقة، وغير المتزوجة وحين تتناول وسائل الإعلام العربية صورة المرأة المذكورة أعلاه فهي تتناولها بشكل مشوه بعيد عن الواقع، سواء من ناحية شخصيتها وتصرفاتها أو من ناحية القضايا والمشكلات والهموم الأساسية التي تواجهها.

ــ ترتكز وسائل الإعلام الجماهيري على النساء الناضجات الشابات والنساء في المدن والمنتميات إلى الطبقات الوسطى والعليا، كما تركز على شريحة من النساء تمثل أقلية في المجتمع كالفنانات وسيدات المجتمع والمنحرفات.

1ــ محمد سعيد النابلسي، صورة المرأة العربية في وسائل الإعلام وفنون التعبير، قضايا وتوجهات، دراسات عن المرأة العربيــة في التنمية ،ع 12، بغداد 1985، ص8.

ــ إن معظم مضامين وسائل الإعلام العربية لا تعكس أي دور للمرأة العربية أو تطلعاتها في عملية التنمية وتعجز عن مواكبة تطور المرأة العربية أو سوء حالها في الحياة المعاصرة.

ــ تظهر المرأة العربية في مضامين وسائل الإعلام مستهلكة غير منتجة وغير مشاركة في عملية التنمية، وهي في معظم الأحيان غائبة عن ميادين الإنتاج والخدمات والنشاط الاقتصادي، كما وتظهر غير قادرة على الإبداع في أي من هذه المجالات.

ــ تظهر المرأة في الإعلام العربي بعيدة عن القضايا العامة في مجتمعها مثل السكان والتنمية والبيئة والفقر والعمل خارج المنزل والصحة والتعليم والتغيير الاجتماعي وقضايا التشريعات العامة، وبخاصة تلك المتعلقة بوضع المرأة في المجتمع.

ــ باستثناء بعض وسائل الإعلام، لا تظهر المرأة العربية في مضامين الإعلام العربي أية اهتمامات للمشاركة السياسية أو النقابية أو النضالية أو الاجتماعية أو الثقافية.

ــ يصوّر الإعلام العربي عادة المرأة العاملة المتعلمة على أنها مجردة من مشاعر الأمومة أو الأنوثة، مغتربة عن العادات والتقاليد، وفي صراع دائم لا ينتهي إلا بعودتها للبيت.

ــ تظهر المرأة العربية في وسائل الإعلام شخصية غير واضحة المعالم، إذ تبدو متأثرة بشكل كبير وغير مبرر بنموذج المرأة الغربية على حساب هويتها العربية والقومية.

ــ تعزز وسائل الإعلام الموجهة للأطفال صورة الأنثى على أنها مخلوق ناقص تابع للرجل، وعليه فإنها تعرض للأطفال فكرة التفرقة بين الجنسين وسيطرة الرجل وتبعية المرأة.

ــ كثيرا ما تستعمل مضامين وسائل الإعلام العربية المرأة باعتبارها موضوعا للجنس وأداة للجذب الجنسي ووسيلة لتشجيع وزيادة الاستهلاك وبخاصة في مجال الإعلانات.

ــ إن الصورة التي ظهرت بها المرأة في الإعلانات التجارية وفي وسائل الإعلام لم تحقق الايجابيات التي تعبر عن الوضع الحقيقي لها في المجتمع، لذا فوسائل الإعلام

وشركات الإعلان مطالبة بتخطي حسابات الربح والخسارة في عرض المرأة كسلعة، وأن يسعيا إلى تحقيق صورة إيجابية واقعية عنها.

وفي الأخير نقول على الرغم من التحسن الطفيف جداً الذي جرى على تغطية قضايا المرأة في الفضائيات العربية، إلا أن الصورة النمطية للمرأة في الثقافة العربية فرضت نموذجها على التغطيات الفضائية وعلى البرامج التي تقدم، فباستثناء عدد محدود جداً من البرامج التي تتعرض للمرأة من مواقع مناقشة قضاياها السياسية والاجتماعية والثقافية، وهي ما يناقش ضمن مفهوم برامج الأسرة، وليس ضمن مفهوم برامج المجتمع ما يعني أن هذه المشكلات تكاد تكون خاصة، وليست لها تأثير على المجتمع، بالمعنى الشامل للمجتمع. فإن صورة المرأة لم يجر عليها تغيير يذكر في وسائل الإعلام العربية صورة تحاكي الثقافة الشعبية عن المرأة كما يريد الرجل أن تكون، كائناً خارج الفعل والتأثير في القضايا الحاسمة لا في الأسرة ولا في المجتمع.

إذا ركزت وسائل الإعلام على الأدوار التقليدية للمرأة على حساب الأدوار الأخرى لها باعتبارها منتجة ومبدعة فنيا وفكريا وثقافيا ومساهمة في مختلف جوانب الحياة والعمل وقادر على اتخاذ القرارات وبناء الأسرة، لكن رغم مسؤولية وسائل الإعلام في تكوين هذه الصورة السلبية عنها لا يمكن إنكار مسؤولية المرأة في حذ ذاتها عن هذا الوضع فهي التي تقبلته وتبنته وساهمت فيه، وهذا ما جعل الأمر يتفاقم ويصل إلى هذا الحد، فـــ " المرأة ذاتها عادة ما تتبنى هذه الصور السلبية الجامدة غير الواقعية ــ إما كليا أو جزئياــ أو أنها تتظاهر بتبنيها في إطار حرصها على التقبل الاجتماعي أو التوافق الاجتماعي" ([1]) .

ويعد الإعلام العربي بوصفه جزء من إعلام الدول النامية إعلام استهلاكي، لا يهتم بحاجات الناس، وهو غير عملي وغير احترافي، ويفتقر إلى الوعي التربوي، يتعمد

1 ــ محمد سعيد النابلسي، صورة المرأة العربية في وسائل الإعلام و فنون التعبير، قضايا وتوجهات،ص8ــ9.

تقديم صورة نمطية وغير مؤثرة عن المرأة، وحسب رأينا تحسن وضع المرأة العربية مرهون بشكل كبير بتحسن نوعية المادة الإعلامية المقدمة عنها، لما تلعبه هذه الوسائل من دور مهم في تشكيل النسق القيمي والثقافي السائد في المجتمع، فعلى هذه الوسائل أن تسعى لتطوير استراتجياتها الإعلامية لغرض تغيير المفاهيم والقيم والعادات التقليدية المختلفة التي تسيء للمرأة وتحط من مكانتها في المجتمع كما أن مسؤولية المرأة كبيرة في تغيير النظرة المجتمعية لها، من صورة ارتبطت في أذهان الجميع من بالمطبخ والأزياء و الجمال....إلى صورة المرأة المؤثرة صاحبة الرأي والقرار والفكر النير.

2 ــ المرأة في الخطاب الإعلامي الجزائري:

بعد استقلال الجزائر كان واضحا للسياسيين ورجال الدولة في مختلف القطاعات بأن الاهتمام بشؤون المرأة أمررا ضروريا وممكنا في مجتمع جديد يعترف بقدرات المرأة وصمودها بناءا على البطولات التاريخية المسجلة طيلة فترة المقاومة والثورة ضد الاحتلال، لكن هذا لم ينطبق على الجانب الإعلامي، ففترة الستينيات لم تعرف نشاطا إعلاميا واسعا خاصا بالمرأة ما عدا ظهور بعض المقالات والكتابات من حين لآخر .

لكن الوضع تحسن في فترة السبعينات نتيجة الوعي بضرورة التقدم الاجتماعي الذي " يتوقف على العوامل الخاصة بالمشاركة النسوية في التنمية، وبمكانتها ودورها في سوق العمل ومدى تمتعها بصفة فعلية بالحقوق الأساسية في المساواة، وبضرورة ترقية المرأة عمليا بجعلها محور اهتمام الوسائل الإعلامية المختلفة على أساس أن الإعلام والاتصال يعتبران اليوم الأداة الأساسية الكفيلة بتجسيد المطالب النسوية وتوسيع دائرتها في كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمهنية "([1]) ، لكن هذا التحسن لم يكن في المستوى المطلوب، فالحكومة لم تضع إستراتجية إعلامية واضحة قائمة على تكافؤ الفرص بين الجنسين، وظلت الأمور على هذا الحال لعدة سنوات، وازدادت تعقيدا بسبب الظروف الأمنية التي مرت بها الجزائر خلال ما يعرف بالعشرية السوداء، والتي كانت ضحيتها الأولى المرأة من ناحية التعليم والشغل، إضافة إلى قانون الأسرة الذي اعتمدته الجزائر سنة 1984، والذي ساهم إلى حد بعيد في إحداث تراجع من حيث الاهتمام بقضايا المرأة على أساس أن نصوصه تضمنت العديد من المواد المجحفة في حقها.

أدى انفتاح الجزائر على التعددية السياسية والإعلامية (بعد أحداث أكتوبر1988) إلى توسيع الإنتاج الإعلامي المهتم بقضايا المرأة، وكنتيجة لذلك" قدرت نسبة الصحفيات في الصحافة المكتوبة وفي قطاع السمعي البصري ب56% في سنة2003، ونصت كل

[1] ــ بلقاسم بن روان، واقع الأنشطة الاتصالية الموجهة للمرأة في الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، منضمة المرأة العربية، كلية العلوم السياسية والإعلام ،جامعة الجزائر، ص3.

التشريعات والقوانين على حق المرأة في الإعلام باعتباره قادر على كشف التحولات التي تمر بها سواء تعلق الأمر بحالات التدهور أو الاستقرار أو حالات الترقية"([1]).

وفي الحاضر تمثل المرأة تقريبا نصف المشتغلين في قطاع الإعلام بكل أنواعه لكن هذا لم يتح لها ظهورا وحضورا يتناسب مع تواجدهن المهني في القطاع، كما أن المعلومات والأخبار التي تهم المرأة إما أن تكون قليلة، أو أنها تكرس الصور النمطية للمرأة، أوأنها تقدم رسائل تعبر بشكل مباشر أو غير مباشر عن نظرة دونية للمرأة وتثبت الدراسات أن المشوار مازال طويلا أمام المرأة الجزائرية لتحقق المساواة كمّا وكيفا في ميدان الإعلام، ولتظهر المرأة الجزائرية في الصورة التي تتناسب مع دورها وقيمتها الحقيقية إما كمهنية أو كفرد في المجتمع يدلي برأيه في مختلف المواضيع.

ولابد للمرأة الجزائرية أن تتخلص من الصور الإعلامية النمطية التي تحصر حضورها في البرامج ذات الصلة بالدور التقليدي للمرأة مثل برامج المجتمع والأسرة والصحة والتجميل والمنوعات الترفيهية، وتبعدها عن البرامج الجدية مثل السياسة والاقتصاد والعلوم.

وأثبتت الدراسات كذلك أن المرأة كموضوع إعلامي لا تحضى بنفس الاهتمام الذي يلقاه الرجل، فهي لا تمثل إلا واحد على خمسة من الشخصيات التي تتحدث عنها التلفزات وواحد على سبعة في الإذاعات، كما أن النساء المدعوات لحضور النقاشات والحوارات في مختلف البرامج قليل مقارنة بحضور الرجال، حيث أن ظهورها يكاد ينعدم في البرامج السياسية والاقتصادية.

وإذا ربطنا هذا الحضور الإعلامي المحتشم للمرأة بواقع المرأة الجزائرية في المجتمع الجزائري في جميع نواحي الحياة فإننا لن نستغرب من هذا، فالمرأة الجزائرية رغم ما حققته من تقدم ملحوظ منذ استقلال الجزائر في مجال التعليم والعمل، ورغم

[1] ــ بلقاسم بن روان، واقع الأنشطة الاتصالية الموجهة للمرأة في الجمهورية الجزائرية الدموقراطية الشعبية ، ص3.

ارتفاع عدد حاملات الشهادات العليا واكتسابهن لمؤهلات ثقافية وعلمية تخول لهن منافسة الرجال في الدخول لمختلف المجالات إلا أن هذا لم ينعكس على الإعلام، فعمل المرأة الجزائرية منحصر في مجالات محددة كالتعليم والصحة وفي الأنشطة الحرفية واليدوية والمناصب الإدارية الثانوية، في حين تكاد تغيب عن القطاعات الصناعية الكبرى والقطاعات العلمية وريادة الأعمال والمؤسسات الكبرى والمناصب الهامة في الدولة فتعليم المرأة وتخلصها من الأمية لم يفسح أمامها المجال لأخذ نصيبها من سوق الشغل ولم يتخل عن الأفكار التي تكرس اللامساواة بينها وبين الرجل في العمل، وهذا الشيء حاصل في المجال الإعلامي.

وقد خرج يوم دراسي حول (الإعلام والمرأة وقضايا المرأة في الإعلام) بقسم علوم الإعلام والاتصال بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة بالتوصيات التالية:

ــ المساهمة بالنهوض بصورة المرأة في الإعلام بشكل متوازن وموضوعي انطلاقا من حقوقها القانونية والإنسانية في أن تقدم كإنسانة تمتلك كل مقومات الإبداع والتميّز وقادرة على تحقيق الانجازات في كافة مجالات الحياة.

ــ التركيز مهم على ما يمكن أن تقوم به المؤسسات الإعلامية لتصويب الصورة السلبية كانت أو الإيجابية للمرأة بصفتها الوعاء الاتصالي الذي ينبثق منه كل ما يشكل القيم والاتجاهات المتعلقة بالمرأة.

ــ تقديم صورة متوازنة عن المرأة من حيث تنوع أدوارها الاجتماعية وفاعليتها في المجتمع.

ــ التأكيد على أهمية تعليم المرأة وتثقيفها، بإنتاج مواد إعلامية متنوعة تحمل مضمونا تثقيفيا وتوعويا للمرأة في سائر المجالات، بحيث يراعي ملائمة المادة والوسيلة الإعلامية المستخدمة مع فئة المرأة العاملة.

ــ الإكثار من المواد الإعلامية التي تعالج قضايا المرأة.

ــ إظهار دور المرأة كناجحة ومثقفة وعاملة ومنتجة وإعلامية ومشاركة في صنع القرار.

ــ إعداد دراسات مسحية من قبل وسائل الإعلام للكشف عن صورة المرأة من خلال المواد الإعلامية والإعلانية التي تقوم بطرحها.

ــ الاهتمام بالكادر النسوي الإعلامي كون الإعلاميات الأقرب لمتابعة قضايا المرأة.

الجانب التطبيقي للدراسة: الأبعاد المختلفة لتشكل التصورات النوعية في واقع المرأة الجزائرية

قمنا في الفصل الثالث بدراسة العوامل المؤثرة في لغة المرأة، والأسباب الكامنة وراء تهميشها في شتى الميادين، ولتقصي حقيقة هذه العوامل في الواقع ارتأينا استعمال الاستمارة الاستبيانية كوسيلة للكشف عن رأي عينة من أفراد المجتمع حول موضوع بحثنا، وضم الاستبيان مجموعة من الأسئلة في شكل مجموعات، ارتبطت كل مجموعة بعامل من العوامل المؤثرة في وضع المرأة في المجتمع وفي لغتها (المرأة الجزائرية والمجتمع، المرأة والدين، المرأة والقانون، المرأة والسياسة، المرأة والإعلام).
وزعنا 150 استبيان واستعملنا منها 120استبيان فقط، حيث لم نسترجع البعض منها واستبعدنا البعض الآخر لأن إجاباتها كانت ناقصة.

عينة البحث: اختيار العينة كان عشوائيا حيث أننا لم نحدد فئة أوشريحة معينة من المجتمع، وفضلنا أن تكون متنوعة من حيث السن(من 20 سنة إلى أكثر من 40 سنة) والمستوى التعليمي لأفرادها، وحرصنا على تنوع الوظائف التي يشغلونها (طالبات أساتذة، عمال بالمجال الصحي، بطالون، ماكثات بالبيت،...)، وقصدنا كذلك أن تضم الجنسين، فموضوع البحث يقتضي ذلك وهو مرتبط بالمرأة وبعلاقتها بالرجل وبالمجتمع.

ـ تفريغ الاستبيان وتحليل نتائجه:

1ـ الأسئلة العامة

ـ العمر:

الفئة العمرية	20سنة ـ24سنة	25 سنة ـ30سنة	31 سنة ـ40سنة	أكثر من40 سنة
العدد	28	33	49	10
النسبة	٪23,33	٪27,5	٪40,83	٪8,33
المجموع	٪100			

يظهر الجدول أن أفراد عينتنا من فئات عمرية متفاوتة ومتنوعة، وكان ذلك مقصودا لغرض معرفة أراء كل فئة عن موضوع بحثنا، وأكبر عدد منهم يتراوح سنهم ما بين 31سنة و40 سنة ، وهي فئة عمرية واعية ومتزنة.

ـ الجنس:

الجنس	أنثى	ذكر
العدد	77	43
النسبة	٪64,16	٪35,83
المجموع	٪100	

من خلال الأرقام المبينة في الجدول نلاحظ أن عينتنا تضم كلا الجنسين وهذا ما تستدعيه طبيعة البحث، فالعوامل المؤثرة في لغة المرأة مرتبطة بها وفي نفس الوقت لها علاقة بالرجل، وارتفاع عدد النساء في عينتنا بنسبة 64,16٪ مقارنة ب 35,83٪ للرجال جاء صدفة.

2ــ المرأة الجزائرية والمجتمع:

ــ كيف تري نظرة المجتمع للمرأة الجزائرية؟

الإجابة	نظرة تقدير	نظرة دونية	نظرة مساواة
العدد	19	87	14
النسبة	٪15,83	٪72,5	٪11,66
المجموع	٪100		

عبرت نتائج الجدول عن أن معظم أفراد عينتنا يرون أن المجتمع الجزائري ينظر للمرأة نظرة دونية، في مقابل نسبة قليلة تراه ينظر إليها نظرة تقدير أو نظرة مساواة ، وهذه النظرة تعكس واقع المجتمع الجزائري وتنعكس على المرأة الجزائرية، فثمة مجموعة من المشاكل تعترض المرأة الجزائرية، وتثير شعورا بالقلق لديها، فهي تعاني من التحرش وعدم المساواة في الأجر والترقية، إضافة إلى مختلف مظاهر العنف العائلي والزوجي بسبب الذهنيات التي ترّسبت، والتي تقف حجر عثرة في طريق إدماج حقيقي ومتكافئ للمرأة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

ــ هل أعطى المجتمع الجزائري للمرأة الحرية الكافية للتخطيط لمستقبلها بشكل حيادي(مواصلة التعليم،اختيار الزوج، العمل.....إلخ) ؟

الإجابة	نعم	لا	نوعا ما
العدد	19	68	33
النسبة	٪15,83	٪56,66	٪27,5
المجموع	٪100		

يتبين من الأرقام التي يظهرها الجدول أن عدد كبير من أفراد عينتنا يرون أن المجتمع الجزائري لم يعط المرأة الجزائرية الحرية الكافية للتخطيط لمستقبلها، في مقابل نسبة معتبرة ترى أن ذلك حصل لكن بصفة قليلة، فمعظم العائلات الجزائرية تضع قيود أمام الفتاة فلا يسمح لها في معظم الأحيان اختيار الزوج، أو الدراسة في تخصصات معينة يعتبرونها ذكورية وغيرها من الأمور، فالفتاة الجزائرية لا تستطيع لوقتنا هذا التصرف بمفردها واختيار قراراتها بعيدا عن عائلتها.

ـ هل للعادات والتقاليد دور في تهميش المرأة في المجتمع؟

الإجابة	بنسبة كبيرة	نوعا ما	لم تؤثر في ذلك
العدد	105	15	00
النسبة	٪87,5	٪12,5	٪0
المجموع	٪100		

تظهر الأرقام والنسب في الجدول أن أغلبية أفراد عينتنا يرون أن للعادات والتقاليد دور كبير في تهميش المرأة بالمجتمع الجزائري، فهذه العادات والتقاليد والأعراف تكرّست بمرور الزمن لتتحول إلى ثوابت اجتماعية غير قابلة للنقض، وأجبرت المرأة على العيش في الهامش بدون دور حقيقي وبلا فاعلية أو نشاط، وهو ما كرس حالة الجهل والتخلف في الوسط النسائي.

3ــ المرأة الجزائرية والدين:

ــ كيف ينظر الدين للمرأة؟

الإجابة	نظرة تكريم	نظرة تحقير
العدد	112	8
النسبة	٪93,33	٪6,66
المجموع	٪100	

يتفق معظم أفراد عينتنا وبنسبة عالية (٪93,33)على أن الدين في الجزائر ينظر للمرأة نظرة تكريم، فاحترام الدين وتعاليمه من المقدسات عند الشعب الجزائري، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يسئ للمرأة، فالمعروف عندهم أن الإسلام كرم المرأة بعدما كانت مهانة في الديانات الّتي سبقته.

ــ حسب رأيك هل الدين من ظلم المرأة أم الفهم والتأويل الخاطئ لتعاليمه؟

الإجابة	تعاليم الدين	الفهم الخاطئ لهذه التعاليم
العدد	18	102
النسبة	٪15	٪85
المجموع	٪100	

تظهر أرقام الجدول أن عدد كبير من أفراد عينتنا يذهبون إلى أن الفهم الخاطئ لتعاليم الدين عند بعض الناس كان وراء ظلم المرأة، فالدين الإسلامي حسب رأيهم كرم المرأة وأعطاها حقوقها كاملة، وتأويلهم الخاطئ والسطحي لبعض تعاليمه أوهمهم بأن الإسلام دين تعسف ظلم المرأة وأبخسها حقوقها.

4ــ المرأة الجزائرية و القانون:

ــ هل القانون الجزائري أنصف المرأة؟

الإجابة	نعم أنصفها	لا لم ينصفها	لست مطلعا على القانون
العدد	24	56	40
النسبة	٪20	٪46,66	٪33,33
المجموع	٪100		

يظهر الجدول أن نسبة كبيرة من أفراد عينتنا يرون أن القانون الجزائري لم ينصف المرأة ولم يعطها كامل حقوقها، كما أن عددا كبيرا منهم صرح بأنه غير مطلع على القانون مما يدل على أن نسبة كبيرة من الشعب الجزائري غير مطلعة على النصوص القانونية .

ــ هل المرأة الجزائرية واعية بحقوقها القانونية؟

الإجابة	نعم	لا	نوعا ما
العدد	22	65	33
النسبة	٪18,33	٪54,16	٪27,5
المجموع	٪100		

تظهر نتائج الجدول أن نسبة كبيرة من عينتنا لا يعرفون الحقوق القانونية للمرأة، ومن هنا نطرح تساؤل مهم كيف للمرأة الجزائرية أن تحصل على حقوقها وهي غير واعية بالقوانين التي تخصها؟ فرغم أنّ عدد كبير من نساء عينتنا لهم مستوى تعليمي عالي إلا أنهن يجهلن حقوقهن القانونية المنصوص عليها في الدستور وفي قانون الأسرة، وبالتالي كيف لهن حماية أنفسهن؟ ولعل جهلهن لهذه القوانين راجع لعدم مشاركتهن في عملية صنع القرار ووضع التشريع.

ــ هل يتم تطبيق هذه القوانين في الواقع؟

الإجابة	نعم يتم تطبيقها	لا بقيت مجرد حبر على ورق	يطبق البعض منها
العدد	33	50	37
النسبة	٪27,5	٪41,66	٪30,83
المجموع	٪100		

نلاحظ من خلال أرقام الجدول أن نسبة معتبرة من أفراد عينتنا(٪41,66) يرون أن القوانين الخاصة بالمرأة وضعت ولم تطبق في الواقع وبقيت مجرد حبر على ورق كقانون العنف وحضانة الأطفال بعد الطلاق وغيرها، في حين يرى البعض منهم أنّ هذه القوانين تطبق في الواقع .

5ــ المرأة الجزائرية والإعلام:

ــ هل يسلط الإعلام الجزائري الضوء على قضايا المرأة ومعاناتها؟

الإجابة	نعم	لا	أحيانا
العدد	32	55	33
النسبة	٪26,66	٪45,83	٪27,5
المجموع	٪100		

يظهر الجدول أن معظم أفراد عينتنا يرون أن الإعلام الجزائري لا يسلط الضوء على قضايا المرأة ومعاناتها، فهناك هوة عميقة بين واقع المرأة والصورة التي تعكسها الصحافة الجزائرية، كما يرون أن هناك تحيزا شديدا إلى شريحة معينة من نساء المدن (الشرائح العليا اجتماعيا ذات المستوى الاقتصادي المتميز) لا تمثل إلا قلة قليلة، وتختلف مشكلاتها عن الغالبية الواقعية في المجتمع،و تهمل المرأة الريفية وقضاياها رغم أنها جزء مهم من المجتمع.

ــ كيف يظهر الإعلام الجزائري المرأة؟

الإجابة	قيادية	ربة بيت	مكملة للرجل
العدد	10	78	22
النسبة	٪8,33	٪65	٪18,33
المجموع	٪91,66		

من خلال الأرقام المبينة في الجدول نلاحظ أن معظم أفراد عينتنا يرون أن الإعلام الجزائري يظهر المرأة كربة بيت ومكملة للرجل أكثر منه قيادية ، فحسب رأيهم فإن الإعلام الجزائري يحصر المرأة وأنشطتها وأدوارها في نطاق المنزل والاهتمامات الهامشية، فهو يركز على أدوارها كأنثى وزوجة مع إهمال مشاركتها في المجال العام كامرأة عاملة ، وكشريكة في الإنتاج، وفي اتخاذ القرارات السياسية ، وفي مختلف جوانب الخلق والإبداع الفكري والفني، ومن الضروري إعادة النظر في المادة الإعلامية المقدمة عن المرأة وتغييرها وذلك لتشكيل رأي عام نسائي مدرك لقضايا مجتمعه وقادر على إعادة صياغة عقل وفكر المرأة الجزائرية.

ــ من خلال متابعة وسائل الإعلام الجزائرية هل لفت انتباهك إعلاميات برز دورهن في تغطية الأخبار؟

الإجابة	كثيرا	قليلا	لا
العدد	48	67	5
النسبة	٪40	٪55,83	٪4,16
المجموع	٪100		

عدد كبير من أفراد عينتنا لم يثير انتباههم بروز أسماء إعلامية نسوية رغم انتهاء سيطرة الإعلام العام وفتح المجال أمام الخواص الذي سمح بتعدد القنوات التلفزيونية الجزائرية وتنوعها، ويرجع ذلك حسبهم للدور الذي حصرت فيه الإعلاميات اللواتي اقتصر

ظهورهن في معظم الأحيان على برامج الطبخ والموضة والمجتمع وهي برامج روتينية متشابهة ، وأبعدن عن برامج السياسة والحوار والاقتصاد والرياضة إلا في حالات نادرة.

6ـ المرأة الجزائرية والسياسة:

ـ هل نالت المرأة حقوقها السياسية في الجزائر؟

الإجابة	نعم	نالت البعض منها	لم تنل حقوقها بعد
العدد	14	66	40
النسبة	٪11,66	٪55	٪33,33
المجموع	٪100		

يرى الأغلبية من أفراد عينتنا أن المرأة نالت البعض من حقوقها السياسية في الجزائر باعتبار أنها تولت عدة مناصب سياسية مهمة في العقود الأخيرة (وزيرة، وزيرة منتدبة رئيسة حزب، برلمانية....) بينما جزء منهم (٪33,33) يذهب إلى أن المرأة الجزائرية لم تنل حقوقها بعد باعتبار أن نسبة ضعيفة من النساء من شغلن مناصب سياسية منذ الاستقلال إلى يومنا هذا مقارنة بالرجال.

ـ هل يتقبل المجتمع الجزائري تولي المرأة للمناصب القيادية؟

الإجابة	نعم	أحيانا	لم يستطع تقبل ذلك
العدد	7	24	89
النسبة	٪5,83	٪20	٪74,16
المجموع	٪100		

رغم التقدم الذي شهدته الجزائر على كل الأصعدة ورغم تفتحها على العالم لازالت العقليات والذهنيات الرجعية مسيطرة على التفكير، فأغلبية أفراد عينتنا باختلاف جنسهم وباختلاف مستواهم التعليمي غير قادرين على تقبل فكرة تولي المرأة المناصب القيادية في البلد نظرا لتأثرهم بعدة خلفيات مرتبطة بالدين والتقاليد .

ــ ما رأيك في الأداء السياسي للمرأة الجزائرية؟

الإجابة	جيّد	متوسط	ضَعيف
العدد	36	24	60
النسبة	٪30	٪20	٪50
المجموع	٪100		

يجمع أغلب أفراد عينتنا على أن الأداء السياسي للمرأة الجزائرية ضعيف، المفارقة هنـــا أن نسبة كبيرة ممن أطلقوا هذا الحكم نساء، ومن هنا نطرح تساؤل مهم هل يعقـــل أن لا تدعم المرأة نظيرتها في السياسة ؟ وأن تكون ممن يدعون فشلها كسياسية والعالم يشـــهد تطور كبير في هذا المجال فالمرأة اعتلت مناصب عليا في حكم بعض الـــدول وصـــلت لتولي كرسي الحكم.

بعد تفريغ الاستبيان وتحليل إجابات أفراد عينتنا توصلنا للنتائج التالية:

ــ عمل المجتمع الجزائري على تهميش المرأة وتقييد حريتها، فلوقتنا هذا هي عاجزة عن التخطيط لمستقبلها بمعزل عن تدخل العائلة فيه.

ــ تلعب العادات والتقاليد في المجتمع الجزائري دورا كبيرا في تقدير وضع المرأة فالمجتمع الجزائري مجتمع مرتبط بعاداته ويؤمن بها رغم تغير الأوضاع وتطورها فكانت العادات والتقاليد من أهم أسباب تهميش المرأة حسب رأي أفراد عينتنا.

ــ يجمع أفراد عينتنا على أن الدين كرم المرأة ونظر لها بنظرة تقدير، وكفل لها جميع حقوقها، غير أن الفهم الخاطئ لتعاليمه لدى بعض الناس هو الذي يظهر أنه يظلمها.

ــ يرى أغلبية أفراد عينتنا أن القانون الجزائري لم ينصف المرأة، مع العلم أن نسبة كبيرة منهم يجهلون القوانين التي تخص المرأة.

ــ معظم أفراد عينتنا يجهلون القوانين الخاصة بالمرأة بما فيهم النساء، وهذا راجع لعدم مشاركتهن في عملية صنع القرار ووضع التشريع.

ــ القوانين التي يضمها قانون الأسرة وينص عليها الدستور لا تطبق كلها في الواقع.

ــ عدد كبير من أفراد عينتنا يجد أن الإعلام الجزائري لا يعكس واقع المرأة الجزائرية ولا يسلط الضوء على قضاياها ومعاناتها في المجتمع.

ــ يظهر الإعلام الجزائري المرأة في صورة نمطية تبرزها كربة بيت مكانها المنزل وتربية الأولاد، ومكملة للرجل، وقل ما تظهر قيادية، تحتل مناصب مهمة ومؤثرة في المجتمع.

ــ رغم الانفتاح الإعلامي الذي تعيشه الجزائر، وتعدد المحطات التلفزيونية الفضائية إلا أن أغلبية أفراد عينتنا لا يثير انتباههم وجود إعلاميات بارزات ومعروفات في الإعلام الجزائري.

ــ يرى أغلبية أفراد عينتنا أن المرأة الجزائرية نالت البعض من حقوقها السياسية بدليل توليها لبعض المناصب القيادية في السنوات الأخيرة.

ــ لاحظنا عدم تقبل عدد كبير من أفراد العينة لتولي المرأة للمناصب القيادية.

ــ يجمع أفراد عينتنا على أن الأداء السياسي للمرأة الجزائريـــة ضـــعيف والمفارقـــة أنّ معظمهم نساء.

خلاصة الفصل: اشتركت عوامل عديدة ذكرناها في هذا الفصل في التأثير على لغة المرأة وفي جعلها لغة خاصة مقارنة بلغة الرجل، ولعل أهم هذه العوامل العامل الاجتماعي الذي أفرد لكل من المرأة والرجل دور خاص في المجتمع وثقافة فرعية منفصلة ومختلفة، انعكست على كلامهما، وجعل للمرأة لغة خاصة وطريقة مختلفة ومتميزة في الكلام ربطها الدارسون بمركزها في المجتمع ودورها الهامشي الذي عاشته على مر التاريخ بفعل تأثير عوامل عديدة منها الأساطير والخرافات إضافة للموروث الشعبي الذي وضعها في صورة نمطية سلبية تناقلتها الأجيال جيل بعد جيل، كما كان للمنظور الديني تأثير كبير على صورتها بفعل سلطته في المجتمع وتحكمه في سلوك الأفراد، فالجانب الديني وقراءاته المتعددة والخاطئة أحيانا في جميع الديانات أثر سلبا على وضع المرأة منذ خلق الإنسان إلى وقتنا هذا مما أثر على نيلها لحقوقها السياسية والقانونية حتى وقت قريب بفعل نضال مرير أثبتت فيه المرأة وجودها وغيرت من خلاله مصيرها، فتزايد الاهتمام الدولي بحقوقها وحرياتها، ودخلت مجلات عديدة أهمها السياسة والإعلام وأصبحت من صناع القرار وانعكس هذا على لغتها وخطابها.

الفصل الثاني

الانتفاضة النسوية

1ــ المبحث الأول: الحركات النسوية ومقاربة النوع.

2ــ المبحث الثاني: المرأة والكتابة

3ــ المبحث الثالث: خطاب المرأة

المبحث الأول:الحركات النسوية ومقاربة النوع.

1ــ الحركات النسوية: النشأة والتطور التاريخي(السياق التاريخي لظهور مقاربة النوع)

2ــ النسوية العربية.

3ــ الحركة النسوية في الجزائر.

4ــ الحركات النسوية واللغة النسوية

لعل أهم الأسباب التي دفعت لدراسة لغة المرأة والاهتمام بها حديثا ظهور الحركات النسوية التي اعتبرت اللغة من أهم قضاياها فبحثت في خصوصية لغة المرأة من خلال حديثها وكتاباتها وفي إمكانية خلق المرأة للغة جديدة خاصة بها، لغة بعيدة عن التحيز وعن السيطرة الذكورية، وصاحب هذا حركة كتابة وإبداع أظهرت من خلالها المرأة قدراتها اللغوية والفنية مشكلة مرحلة مهمة في تاريخها الأدبي واللغوي معبرة بقلمها عن الاحتجاج والرفض والثورة ضد سيطرة ذكورية على الإبداع والنقد لعقود من الزمن.

1ــ الحركات النسوية : النشأة والتطور التاريخي(السياق التاريخي لمقاربة النوع)

مقاربة النوع الاجتماعي جاءت كنتيجة للنضالات التي خاضتها الحركات النسوية منذ القرن التاسع عشر، وتراكم حقل معرفي لدراسات وكتابات فكرية وفلسفية حول وضع ومكانة وأدوار المرأة في المجتمع.

فظهور الحركات النسوية ودفاعها المستميت عن حقوق المرأة لعقود من الزمان لم يأت من فراغ، بل جاء نتيجة لقرون من القهر والاضطهاد، فلطالما تجرعت المرأة في أروبا أشد صنوف الظلم والقهر منذ الإمبراطوريات القديمة مرورا بعصور الجهل المظلمة (العصور الوسطى التي استمرت حتى القرن السادس عشر) التي اشتد فيها سوء الظن بالمرأة، وكثر الخلاف حول خلقها وطبيعتها، ونالت وذاقت كل أنواع الذل والهوان فحرمت من الظهور في المجتمعات العامة، ومن التعليم فغلب عليها الجهل والتأخر.

ومع قدوم عصور أكثر انفتاحا في التاريخ الأوروبي وهما عصر النهضة والعقل كانت قضية المرأة لا تزال على حالها ولم تمثل أهمية بالنسبة للتغييرات التي مست الحياة الاجتماعية والسياسية، وهو ما لا يمكن اعتباره بالأمر الغريب، فقد كان ذلك هو حقيقة وضع المرأة الأوربية على مدى تاريخ أوربا حتى وقت قريب.

وباندلاع الثورة الفرنسية ثم النهضة الأوربية في القرن الثامن عشر والتي عرفت بالثورة الصناعية، فتحت أبوب العمل أمام نساء الطبقة الدنيا كأيدي عاملة، إلا أنهن مارسن الأعمال الشاقة في المصانع ومناجم الفحم المميتة بلا أجور منصفة أوعادلة ناهيك عن عدم الاهتمام بتعليمهن أو صحتهن أو حماية حقوقهن، وحرمانهن من التصرف في أموالهن وممتلكاتهن.

بداية الحركات النسوية في أروبا: بدأت أول حركة تنادي بإعطاء المرأة حقوقها في أوائل القرن الخامس عشر في فرنسا من خلال كتاب(مدينة السيدات سنة1405) للشاعرة الفرنسية **كريستين دو بيزان**، والذي دافعت فيه عن حقوق المرأة في مواجهة ما كان ينشره رهبان ورجال الكنيسة عن احتقار المرأة والتقليل من شأنها، وكان معظم ما تطالب به النساء وقتها مطالب مشروعة وأساسية كحق الملكية الفردية وحق التصرف فيما تملك وحق التعليم.

أما في عام 1791 نشرت الكاتبة الفرنسية **أوليمب غوز** بعد سنتين من قيام الثورة إعلانا حول حقوق المرأة، وكان سببا في الحكم عليها بالإعدام فوق منصة المقصلة عام 1793 بتهمة مناهضة الثورة، وبالرغم من أن أغلب ذلك الزخم كان في فرنسا إلا أن الدائرة اتسعت لتشمل كذلك بريطانيا، فقد ألفت البريطانية **ماري وولستونكرافت** كتاب (الدفاع عن حقوق المرأة) عام 1792، والذي يعتبر قاعدة ومنطلقا للحركة النسائية العالمية. وبعد هذه الأحداث بدأت تتصاعد على نحو أكبر قضية حقوق المرأة حتى لدى بعض الرجال المنصفين، والذي كان من أشهرهم الفيلسوف الإنجليزي "جون ستيوارت ميل" الذي دافع بقوة عن الحقوق المشروعة للمرأة وعارض الممارسات الاضطهادية ضدها .

اذا انطلقت الحركة النسوية من مسلمة أساسية وهي أن النظام الاجتماعي الذي كان سائدا طوال العصور السابقة من تاريخ الحضارة الغربية، هو النظام الذكوري الذي يكرس الهيمنة الذكورية، ويثبت دونية المرأة ،حتى أن كلمة إنسان أضحت تشير إلى الرجل دون المرأة، فكأن المرأة جنس آخر، ومن هنا جاءت الحركة النسوية " لترفض مركزية العقل الذكوري، أي التفسير الذكوري الواحد والوحيد المطروح للحضارة"([1])، وجاءت النسوية لتفكيك النظام الذكوري المهيمن على الحضارة الإنسانية منذ فجر التاريخ وصولا لمرحلة الحداثة الغربية، حيث أن المرأة كانت دائما مهمشة ومهضومة الحقوق .

بدأت المطالب النسوية مع ثورات القرن العشرين وهي ما يمكن تسميته بالثورة النسوية، التي تميزت بنوعها وأهدافها، والتي استحدثت آليات عمل تنطلق منها لتحقيق مطالبها، وإثبات هويتها، فمنذ أواخر الستينات "اندلعت حركة تحرير المرأة باعتبارها حركة فكرية شاملة متعددة الاهتمامات لا تقتصر على المطالبة بحقوق المرأة، وإنما

[1] ــ يمنى طريف الخولي، ترجمة مقدمة كتاب : ليندا جين شيفرد، أنثوية العلم،عالم المعرفة، الكويت، ع306، 2004،ص11.

طرحت أسئلة الذكورة والأنوثة، حيث عملت هذه الحركة على إبراز الفوارق الطبيعية أوالتشريحية بين الرجل والمرأة باعتبارها من أهم العناصر في علاقة الجانبين، لأن توزيع الأدوار الذي تحدده الطبيعة البيولوجية من البداية لا يلبث أن تترتب عليه مجموعة أخرى من الوظائف الاجتماعية وبالتالي من تحديد المكانات وتراتب مراكز القوى فيها وهي كلها عمليات مشروطة طبيعيا أو بيولوجيا" ([1]).

حاولت المرأة في السنوات الأخيرة وبكل جد، وبرؤى جديدة العمل خارج النسق الذكوري للتخلص من عباءة التبعية بكل تنوعاتها وأشكالها، متسلحة خلال مسيرتها النضالية بكل ما يلزم من وسائل للكشف عن مواطن التسلط والتبعية والهيمنة الذكورية وذلك بإلقاء الضوء على العمل النسوي بكل مميزاته واختلافاته، متجاوزة أي هيمنة تضيق الخناق عليها، أو تنكر المقدرة العقلية للنسوية، أوالتواجد الأنثوي النسائي كشريك لا تابع، ف" كانت الحركات النسوية تهدف إلى تحرير المرأة من خلال التخلص من سيطرة الرجل على كل الأعمال الهامة، وانفراده بوظائف التأثير، والدعوة إلى إزالة جميع صور القهر اللغوي على المرأة، والعمل عل تحسين صورتها في المجتمع، ونفي الصفات التي ألصقت بالمرأة وأظهرتها كجنس سلبي، تابع ضعيف ومتزعزع، ومعاملتها كما تعامل الأقليات رغم زيادة عدد النساء على الرجال في كل المجتمعات، وأخيرا خلق الفرص أمامها لقيادة الجماهير وتملكها زمام اللغة في المواقف العامة" ([2]).
ومرت الحركة النسوية العالمية عبر تاريخها بمراحل متفاوتة ومختلفة ، وتأثرت بالتيارات الفكرية السائدة والرائجة في كل مرحلة من مراحل تطورها، مثلها في ذلك مثل أي حركة اجتماعية أو سياسية أخرى، فتأثرت بمختلف أشكال الصراعات الدائرة في عصرنا كالصراعات الإثنية والعرقية والدينية والسياسية وغيرها، وهكذا اتسعت وتنوعت اتجاهاتها، وتضاربت إلى أن وصلت في العصر الحديث إلى صورة بالغة التعقيد، بات من الصعب معها الحديث عن نسوية واحدة، فهناك نسوية تقدمية ونسوية رجعية، نسوية يمينية، وأخرى يسارية، ونسوية فرويدية، وداروينية ....إلخ.

---

2 ــ حافظ صبري، جدل الرؤى المتغايرة، دراسات ومتابعات لندوات الأدب وقضايا العقل العربي،"برشلونة..المدينة والثقافة والمؤتمر" دراسات أدبية، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص363.

1_ أحمد مختار عمر، اللغة واختلاف الجنسين،ص_18.

وينقسم تاريخ الحركات النسوية الغربية إلى ثلاث فترات أو" موجات" هي:

الموجة الأولى : بدأت هذه المرحلة في القرن التاسع عشر، وامتدت حتى بداية القرن العشرين، وكانت تطالب بالحصول على حق الانتخاب والتعليم، وتحسين ظروف العمل بالإضافة إلى إلغاء التمييز على أساس الجنس، وهذه المطالب مهدت لها ثورتان في المجتمع الغربي وهما الثورة الأمريكية عام1779 والثورة الفرنسية عام 1789 ومبادئ هاتين الثورتين ضمنتا في الدساتير التي قامت عليها الدولتان الأمريكية والفرنسية، تم ترسخت هذه المبادئ في الفكر الغربي المعاصر من خلال الدعوة لحقوق الإنسان في مؤتمر كبير في **سينكا فولز** بأمريكا عام 1848 شارك فيه أكثر من 300 شخصية منهم 40 رجلا، وكان من أهم مطالبه وقف التمييز ضد النساء وحق التعليم والعدالة وتحرير العبيد وحق التصويت، أما في انكلترا فكانت مطالب هن متمثلة في الحق في التعليم والعمل وتعديل قوانين الزواج (حقوق المتزوجات بالملكية والحضانة) .

تصدت مفكرات ومفكري النسوية الأولى إلى ما توارثته الذاكرة الجمعية والفردية من أفكار سلبية عن المرأة من خلال صورة المرأة في التراث اليهودي والمسيحي ــ المرأة أصل الخطيئةــ و صورة المرأة في أعمال ومواقف العديد من المفكرين والفلاسفة الغربيين تجاه المرأة من **(أفلاطون)** الذي يصنفها في درجة دنيا مع العبيد والأشرار والمرضى وصولا إلى الفلاسفة المتأخرين ك:**(ديكارت)** من خلال فلسفته الثنائية التي تقوم على العقل والمادة، فيربط العقل بالذكر والمادة بالمرأة و **(كانط)** الذي يصف المرأة بأنها ضعيفة في تكوينها ككل، وبخاصة في قدراتها العقلية، وفيلسوف الثورة الفرنسية (**جان جاك روسو)** الذي يقول أن المرأة وجدت من أجل الجنس ومن أجل الإنجاب فقط و**(فرويد)** رائد المدرسة النفسية الذي يرجع كل مشاكل المرأة إلى معاناتها من عقدة النقص تجاه العضو الذكري.

والمراجعة النقدية للأطر والمناهج العامة للفكر الغربي أدت إلى بلورة أفكار نسوية جديدة أثبتت أن النظرة الدونية للمرأة ما هي إلا نتاج تأثيرات الثقافات السائدة و نتاج للنظام البطركي (الأبوي) الذي تم بناؤه منذ آلاف السنين، ونجحت هذه الحركة في الحصول على حق التصويت وحق الزواج، والحق في التملك وأطلق على أعضاء الحركة النسائية الأولى اسم "مناصري حقوق المرأة"، إذ كان من أهداف الموجة الأولى للحركات النسوية

انتزاع حق المرأة في حرية التعبير والمشاركة في الفعاليات والنشاطات السياسية ، وحق المرأة في الإدلاء بصوتها الانتخابي، بالإضافة إلى تكوين مجتمع قائم على قيم أخلاقية جديدة.

الموجة الثانية: تشير الموجة الثانية إلى نشاطات الحركات النسوية الممتدة بين 1960م وحتى نهايات القرن العشرين، في هذه المرحلة بدأت الحركة النسوية تأخذ طابعا عالميا يشمل المرأة في جميع أنحاء العالم، وفيها تجاوزت مطلب المساواة، واعتمدت النقد العقلاني، وظهرت فيها تيارات ومذاهب عديدة، اعتمدت لغة التحرر من القمع السياسي والاجتماعي، والجنسي.

دعت الموجة الثانية إلى إعادة تشكيل الصورة الثقافية للأنوثة بما يسمح للمرأة بالوصول إلى النضوج واكتمال الذات، أي تحقيق الأنوثة، ذلك لأن الأنوثة غامضة وغريزية وقريبة من خلق الحياة وأصلها، إلى درجة أن العلم الذي صنعه الرجل قد لا يستطيع فهمها، أي محاولة تأسيس فلسفة نسوية قائمة على الصراع الذكوري الأنثوي مطالبة بإعادة صياغة كل شئ، التاريخ، واللغة، والفلسفة، والرموز، والفن، والأدب استنادا على فكرة الصراع هذه وضرورة التمركز حول الأنثى.

ومن أبرز رموز الموجة الثانية **سيمون دي بوفوار وكيت ملليت** ، لكن أكبر حدث ساهم في صعود هذه الموجة، هو كتاب **بيتي فريدان** "اللغز الأنثوي"، حيث عبرت كتاباتها عن واقع كونها ربة منزل وناشطة سياسية، واتسم كتابها بإلقاء اللائمة على النساء اللواتي حصرن أنفسهن في دور ربات المنازل، والمجتمع الذي ساهم في خلق هذا الدور لهن ومن بين أهم منجزات الموجة الثانية، إعدادها لقانون الفرص المتكافئة في التوظيف العام عام1972م، وقانون الفرص المتكافئة في العلوم والهندسة لعام 1980م.

مثلت الموجة الثانية أوج ازدهار الحركة النسوية بكل فروعها وتوجهاتها المتنوعة والمتضاربة، وفيها تطورت، وتقدمت، وتعددت المطالب النسوية، التي شككت في مضمون الذكورة والأنوثة، فأكدت أنها مفاهيم نسبية راجعة للبيئة والتنشئة الاجتماعية

لا لحقيقة قدرات الطرفين، ورفعت شعارات من قبيل:(الحرب بين الجنسين) و(الرجال طبقة معادية) و(القتال من أجل عالم بلا رجال)، ونادت بتفكك الأسرة، وانتقدت العلاقات داخلها، وحصر دور المرأة في الأمومة والإنجاب بأنه مجال بيولوجي وهو مجال خاص في حين يعمل الرجل في المجال العام، واعتبرت أن قيم العفة والأمومة ما هي إلا تزييف لوعي المرأة كي تقتنع بالمجال الخاص، ونادت باستقلال المرأة ماليا لتتحرر من سيطرة الرجل، ودعت للشذوذ والتلقيح الاصطناعي كبديل لإقامة علاقة مع الرجل ثم انتقلت بعد ذلك إلى أفضلية المرأة وطرحت الأمومة بدلا عن الأبوة .

وانقسمت الحركات النسوية في هذه الموجة إلى تيارات ومناهج عديدة، تشير أغلب الأبحاث إلى ثلاثة تيارات رئيسية منها هي:

النسوية الماركسية: وهي تربط اضطهاد النساء بأفكار **كارل ماركس** التي تتعلق باستغلال الرأسمالية لجهود الطبقة العاملة، واستغلال المجتمع البطريكي لجهود النساء باعتبارهن عاملات منتجات (إنتاج الأطفال والعمل المنزلي) واللاتي لا يملكن وسائل الإنتاج، وتتم سرقة جهودهن، شأنهن في ذلك شأن العامل المستغل من قبل صاحب العمل ومن روادها **لويز ميشال** التي تربط بدورها مصير المرأة بمصير الكادح /العامل، وتشدد على كفاحها الذي لا يتجزأ، وتقول" عبد هو الكادح، وعبدة بين الجميع زوجة الكادح ..الرجل يتألم أينما كان في المجتمع اللعين، ولكن ليس من ألم يضاهي ألم المرأة، فهي سلعة الشارع ..ألسنا إلى جانبكم لنقود المعركة الكبرى، هل ستجرؤون على إفراد نصيب لحقوق النساء، عندما يكون الرجال والنساء قد تحصلوا على حقوقهم الإنسانية"[1]، ودعت هذه الحركة إلى خروج المرأة للعمل لكي تستقل اقتصاديا، وتحقق المساواة بينها وبين الرجل ويزول شكل الأسرة القائم على سيطرة الرجل الاقتصادية وبالتالي الاجتماعية وتصبح قائمة على المودة والحب فقط، ويعتقد أصحاب هذا الاتجاه بأن حل التناقضات الطبقية، ونجاح الثورات الاشتراكية هو أمر حتمي في إلغاء كافة أشكال التمييز بالمجتمع وهذا بالدعوة إلى تبني فكرة (تنمية الوعي) ويقصد بهذه الفكرة " ضرورة وجود نظرية للمرأة تسير مع الدعوة إلى الثورة الاشتراكية، وتساعد النساء على فهم خصوصية الاضطهاد، وانعكس ذلك في صورة قيم ومفاهيم وأفكار طبعت العلاقة بين المرأة

[1]ـــ روجيه غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة ،ت/ جلال المطرجي، دار الآداب بيروت ، 1982، ص46.

والرجل بطابع تقليدي يصعب تغييره، إلا بوجود وعي نسوي يحرر طرفي العلاقة من كثير من القيم والمفاهيم والتقاليد الموروثة " . ([1])

النسوية الليبرالية: هي تيار نسوي يركز على الفردية، وعلى قدرات المرأة وإمكانياتها في الحصول على حقوقها، والمحافظة عليها من خلال نشاطها، وفعاليتها واختيارها عندما تؤمن لها الحرية وكافة الحقوق الأخرى، وهي تؤمن بالتفاعل الشخصي بين الرجل والمرأة كوسيلة لتغيير المجتمع، وتؤمن بقدراتها على الحصول على المساواة التامة وبإمكانية ذلك دون تغيير في البنى الاجتماعية " فالمذهب الليبرالي يرتكز على المعتقدات التي جاء بها عصر التنوير، والتي تنادي بالإيمان بالعقلانية، والإيمان بأن المرأة والرجل يتمتعان بنفس الملكات العقلية الرشيدة، والإيمان بأن التعليم كوسيلة لتغيير وتحويل المجتمع، والإيمان بمبدأ الحقوق الطبيعية، وبناءا على هذا، فما دام الرجال والنساء متماثلان من حيث طبيعة الوجود إذن فإن حقوق الرجال ينبغي أن تمتد لتشمل النساء أيضا"([2])، وأن المساواة بين الرجل والمرأة تأتي من خلال السياسة والقانون، من رواد الليبرالية **بيتي فريدان** التي طرحت أفكارها من خلال كتابها (اللغز الأنثوي) الذي صدر سنة 1963، و الذي تناول الصورة النمطية ل" الزوجة السعيدة" فحياة النساء اليومية في الأحياء تختلف شديد الاختلاف عن الصورة السائدة، وتحتوي على صفات سيئة جدا ونتيجة لذلك كان لزاما على الناشطات أن يناقشن سبب إبعاد النساء عن جميع أشكال الأنشطة العامة، والتي كان ينظر إليها على أساس أنها تخص الرجال فقط، كما طرح هذا النقاش في الوثيقة المعنونة ب" المرأة الأمريكية" والتي أصدرتها اللجنة التي شكلها الرئيس **جون كنيدي** سنة 1963، عالجت هذه الوثيقة إقصاء المرأة من الحياة العامة وتبنت فكرة المسؤولية الرئيسية للأمهات وأرباب الأسر في بناء حياة أسرية قوية وخرجت بتوصيات أهمها توفير خدمات حضانة الأطفال للأمهات العاملات. إذا النسوية الليبرالية تيار إصلاحي يستند على مبدأ المساواة والحرية للمطالبة بحقوق

---

1 ــ ليلى عبد الوهاب، موقف علم الاجتماع من قضايا المرأة، مجلة الوحدة، ع 9، المجلس القومي للثقافة العربية، شركة تيب للطبع والنشر والترجمة والإعلان، جويلية ،1985،ص60/59.

[2] ــ حنفي عوض، الحركات النسائية العمالية وتحديات سوق العمل، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر،2010، ص72.

المرأة في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية، ويتميز هذا التيار بإيمانه بقدرة النظام الرأسمالي على ملامسة الكمال والتكيف مع المتغيرات من أجل توفير نفس الفرص والحقوق للنساء والرجال من خلال التركيز على التربية وتغيير القوانين المميزة بين الجنسين.

النسوية الراديكالية: يرى هذا التيار بأن الرجل هو المتحكم بهرمية رأس المال، وهذا ما يفسر الأدوار الجنسية ويفرز اضطهاد الرجل للمرأة، وأن وضع المرأة الحالي هو ناتج عن سيطرة الرجل على مراكز القوى والسلطة والمال، وهو المسؤول الأول عن اضطهادها، وطالما أن هذا النظام وهذه القيم هي التي تحكم المجتمع فإن المرأة لن تتمكن من إنجاز أي تغيير هام في مسيرتها نحو المساواة.

هدف هذا التيار إلى التعويض عن بعض النقائص في النسوية الليبرالية والماركسية، من خلال التأكيد على الطابع العام والعابر للمناطق والثقافات، المستقل عن الطبقات، للتمييز ضد النساء، ويعتبر أنصاره أن البطركية بحد ذاتها هي أساس هذا التمييز ضد النساء والسيطرة عليهن، وقد انسحبت على ميادين الحياة الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية والجنسية، وخلقت نظام تنميط للجنسين من خلال ثقافتين: واحدة ذكورية مسيطرة وأخرى نسائية مسيطر عليها.

ومن بين استراتجيات هذا التيار الهادفة إلى تغيير الوضع، استعادة النساء لأجسامهن وكيانهن، وإعادة الاعتبار إلى الثقافة الخاصة بهن، وذلك إلى حد الانفصال عن الرجال، والعيش في مجتمعات نسائية مستقلة، فبعض أفكار هذا الاتجاه لا تطالب فقط بمكانة متساوية مع الرجل، بل تنظر للمرأة باعتبارها تمثل إحدى الأولويات السامية وبالتالي المطالبة بإذعان الرجل للمرأة، بل باستبعاد الرجال جميعا من عالم النساء"([1])

ومن رواد هذا التيار **روبين مورغان** التي عبرت عن قهر عالمي للنساء، فهي ترى أن النساء مثل شعب خاضع للاستعمار، وقد تم استعمار أرضهن النفيسة ــ أجسادهن ــ من قبل المجتمع البطركي، حيث يتم إجبار النساء على الإنجاب دون أي ضمانات من قبل الرجال تؤكد التزامهم بدعم ورعاية الأطفال وتحمل مسؤوليتهم.

---

1 ــ فاتن أحمد علي، عرض تحليلي للاتجاهات الحديثة في دراسة المرأة، مكتب زهراء الشرق، القاهرة،2001، ص6.

وفي ظل هذه الحركات النسوية ظهرت حركات عديدة منها: حركة النسويات السودوات النسوية البيئية النسوية الثقافية، النسوية الوجودية....إلخ.

الموجة الثالثة "ما بعد النسوية أوما بعد الحداثة" :

اعتمدت الفلسفة النسوية على تحولات ما بعد الحداثة في النظر إلى الذات العارفة من حيث أن لها الدور المحوري في عملية إنتاج المعرفة .

ونسوية ما بعد الحداثة وما بعد الاستعمار تؤكد على الربط الوثيق بين القهر الجنسي والقهر الطبقي والعنصري والإثني والديني ...، كما تقدم نقدا حادا للنسويات الغربيات اللاتي يدعين معرفة أوضاع النساء في دول العالم الثالث، رغم عدم بذلهن أي مجهود لفهم طبيعة هذه المجتمعات، ف مركزية الحضارة الغربية سادت لقرون، و" قهرت المرأة والطبيعة وشعوب العالم الثالث، وجاءت الفلسفة النسوية للعلم ترفض التراتب الهرمي أصلا في العلم والحضارة على السواء، نازعة إلى تقويض مركزية العقل الذكوري وتحرير المرأة وقيمها الأنثوية وبالمثل تحرير للبيئة ولشعوب العالم الثالث، ثم تشعر أنها مسؤولة أكثر من سواها عن مواجهة الوجه الآخر المتضخم للمركزية الذكورية، أي مركزية الحضارة الغربية"[1]

تتميز الموجة النسوية الثالثة عن سابقاتها بالإيمان بالتعدد والابتعاد عن الإيديولوجية وكسر الاحتكار من قبل أي كان، ولعل أهم نقاط الاختلاف عن الموجات السابقة هي أن ناشاطات الموجة النسوية الثالثة يعتبرن أن التحرر ليس نسخ تجربة الآخرين، ولا يعني تقليد ما فعلته الحركات النسوية السابقة، بل النسوية تعني أن نجد طرقنا الخاصة للحرية وأن تكون أصيلة، ونابعة من رغباتنا وقناعاتنا وظروفنا نحن، ويمكن أن تتغير مع كل جيل، ومع كل فرد، ومع كل ثقافة ولون، وقد بدأت جذور الموجة الثالثة في منتصف الثمانينات من القرن العشرين، حينما دعت الناشطات النسويات إلى شخصية جديدة للنسوية، وقد تم التركيز على التقاطع بين العرق والجندر، وهذا ما أدى إلى تزايد نسبة عدد الناشطات النسويات السودوات والأسيويات، كما عرف هذا التيار بالميل إلى الشك في العملية الإيديولوجية التي تضع المرأة والرجل في فئتين منفصلتين ومتضادتين، كما تبنى هذا التيار مبدأ الميل إلى الجنس الآخر وحاول وضع مجموعة من

[1] ــ حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، منشورات الاختلاف،الجزائر العاصمة،ط1، 2009، ص227.

الأولويات التي يكون فيها للرجل مكان كعاشق وزوج وأب وصديق، مع التأكيد على أن المرأة والرجل مختلفين حقا، وأن الحصول على الحقوق الكاملة لا يعني التشابه بين الجنسين إطلاقا، لا بل تعتز الناشطات والمنظرات للنسوية الثالثة بأنوثتهن وتعتبرها من مصادر قوتهن.

عمل الجيل الثالث من الحركة النسوية على تعميق مفهوم الاختلاف بين الذكر والأنثى ومحاولة تعميق هذا الاختلاف شرط الندية بينهما وانتقاء التراتبية، وطالب بفرص متساوية للمرأة والرجل مع الإصرار على تفرد الطبيعة الأنثوية للمرأة والمختلفة عن الطبيعة الذكورية للرجل.

إن أهم إنجاز للفكر النسوي الحديث هو تأكيده أهمية تجربة النساء والاستفادة منها فلسفيا إلى جانب تجربة الرجال،" فقد وجدت النسوية طريقها لتكون فلسفة للمرأة بقدر ما هي فلسفة لتحرر الثقافات، والقوميات وشعوب العالم الثالث، من نير الاستعمارية والمركزية وهي في كل هذا فلسفة بعد حداثية، رافضة لقيم الحداثة والتنوير الاستعمارية من حيث هي فلسفة ما بعد استعمارية"[1] .

نخلص من عرض جوانب من تاريخ الحركة النسوية الغربية أنها حركة نشأت في بداياتها كمحاولة للتمرد على الظلم الواقع على النساء وكانت تسعى تحسين أوضاعهن إلا أنها ومع التطورات الاجتماعية والفكرية والسياسية أصبحت حركة منظمة ومستمرة عملت على مدى أكثر من قرنين لتصل بحقوق النساء إلى ما وصلن إليه اليوم، ومع هذا لا يمكن القول أننا نتحدث عن حركة نسوية غربية واحدة، بأهداف وآليات موحدة فمسيرة القرنين بينت أن للمجتمعات خصوصياتها التي فرضت ذاتها على تحرك النساء لذلك وجدنا العديد من الفروق بين توّجهات وآليات عمل الحركات النسوية، التي عبرت عن اتجاهات وتيارات فكرية، وآليات عمل متنوعة اختلفت فيما بينها في منهجيات تحليل واقع النساء، وأولويات العمل وآلياته، ولكنها اتفقت على ضرورة تغيير وتحسين صورة المرأة وهذا هو الأهم.

فأهم نقاط الالتقاء بين الحركات النسوية هي أن الجميع يتفق على أن التمايز النوعي قائم، وأنه لكي تحقق المرأة ذاتها وتشارك في دفع النهضة الحضارية المنشودة، لابد من تغيير

[1] ــ حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية،ص227.

الظروف الاقتصادية والسياسية والثقافية، أي أنه لابد من الإصلاح، وهناك خطوط عريضة تتفق عليها جميع النسويات منها أهمية تمكين المرأة اقتصاديا وسياسيا وحق المرأة في أن تتعلم وأن تتمتع بالأمان والحرية وسائر الحقوق التي يجب أن يتمتع بها كل إنسان .

2ــ النسوية العربية:

لقد عاش الوطن العربي مثله مثل العديد من البلدان المتخلفة الغائبة عن الركب الحضاري قرونا طويلة في الظلام الدامس والجهل المطبق والانحطاط الرهيب، وكانت وضعيته تشبه إلى حد بعيد وضعية المجتمع البدائي، يسوده الحس، والأهواء والغرائز ويغيب عنه العقل والإبداع والتمييز بين الخير والشر، والصالح والفاسد، وتوالي سلطة الحاكم ثم المستعمر في تلك العصور كانت كمطرقة تدق رؤوس العباد وتتحكم في مصيرهم دون أن يكون هناك معارض أو محتج كما كان الإنسان العربي في صراع مرير مع الطبيعة القاسية التي لم تكن تجود عليه من عطائها إلا القليل بسبب بدائية وسائل إنتاجه، وقلة الأمطار التي أثرت على المردود الزراعي، فكانوا يشعرون بالانهزام والدونية وينقمون حياتهم، فيرجعون للبيت منهزمين مقهورين يبحثون عن من يلقون عليه غضبهم ونقمتهم فلا يجدون إلا المرأة الضعيفة فيستبدون عليها ويسلطون عليها أبشع المظالم متذوقين بذلك طعم الغلبة والتفوق العاجزين عن تحقيقهما في الخارج.

عاشت المرأة العربية مدة طويلة الجهل والجمود والانحطاط في وضع مأسوي أشبه ما يكون بوضع العبد عند سيده، ليست لها إرادة ولا اعتبار حبست في البيت للقيام بأشغاله وتربية الأولاد باسم العادات والتقاليد والحفاظ على الشرف، ومنعت من الاختلاط وعزلت عن المجتمع الذكوري .

اعتبرت نهضة المرأة العربية في أربعينيات القرن الماضي تمردا وعصيانا، في مجتمع ما يزال محافظا، يحتكر الرجل فيه كل شيء بما في ذلك قضية تحرير المرأة مع ذلك تمكنت بعض المناضلات من كسر هذه القاعدة، وكن رائدات ومثابرات عملن بإصرار وتحدّ لفرض أفكار جديدة، ومناقضة لبنية التفكير المهيمنة اجتماعيا، وعملن على تحويل هذه الأفكار إلى قيم وسلوكيات اجتماعية.

ويستند التحليل في الفكر النسوي العربي إلى قضية أساسية وهي اللامساواة بين الرجل والمرأة، فــ "المرأة العربية تعاني عدم المساواة بسبب واقع اجتماعي فرضته البنية الأبوية لهذه المجتمعات التي تعلي من مكانة الرجل، وتفرض على المرأة واقعا متدنيا لا

يراها إلا في الأدوار الأسرية والمنزلية " ([1]) ، فحاولت المرأة العربية التخلص من هذا الواقع المر عبر نضالات مريرة وطويلة، لم تصل فيها إلى ما وصلت إليه المرأة الغربية لكن استطاعت من خلاله تحقيق مكاسب كثيرة.

ومرت النسوية العربية بثلاث مراحل، بدءا من منتصف القرن التاسع عشر ميلادي حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن، وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: أو ما يسمى بعصر النهضة، حيث اختلط العرب بالأوروبيين، وتوسع انفتاحهم على حضارتهم وثقافتهم، وأرسل بعض النخب المثقفة كالطلاب للدراسة في الجامعات الأوروبية، كل هذه الأمور أدت إلى تأثرهم بالحضارة الغربية، فبادر مجموعة من المثقفين العرب إلى الأخذ والاستلهام من الغرب قصد الخروج من حالة التخلف والأمية والفقر الموجود في بلاد العرب، ولما كانت الثقافة الغربية تتحدث عن حقوق المرأة وضرورة تأهيلها ومشاركتها في الحياة العامة واستقلالها اقتصاديا، وخروجها للعمل وحريتها في الاختلاط، فقد اهتم هؤلاء المثقفون بموضوع المرأة.

لقد عاد المستفيدون من تلك البعثات بأفكار ورؤى جديدة أحدثت ثورة في مصر وفي العالم العربي، ولعل المطالبة بتحسين وضع المرأة، ومنحها فرص العمل والمشاركة في تنمية المجتمع كما سلف الذكر، كان أهم هذه الأفكار، ومن هؤلاء: رفاعة رافع الطهطاوي الذي" عبر عن هذه الآراء من خلال كتابيه (تلخيص الإبريز في تلخيص باريز) و(المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين) وحاول من خلال ما تتمتع به المرأة في باريس، أن يطرح قضية المرأة المصرية ويطالب بحقها في التمتع بما تتمتع به المرأة الفرنسية من حرية، ومن مكانة هامة داخل المجتمع، وذلك لتتمكن من ممارسة قدراتها العقلية وتحقيق وجودها كإنسان له حقوق، ومشاركتها الرجل في مختلف المجالات وبالتالي تساهم في الرفع من مستوى المجتمع الحداثي" ([2]) ، كما استنكر في كتابه الثاني ما تعانيه المرأة المصرية من حيف، ووضع الشروط الأساسية التي ستمكن المرأة من التخلص من القيود الاجتماعية ونادى بوجوب تعليم المرأة وتقدمها فقال:" لا شك أن

1ــ منى أبو الفضل، نحو تطوير منظور حضاري معرفي في الدراسات العربية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، القــاهرة 1996، ص 37.

1ــ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي، ص119.

حصول النساء على ملكة القراءة والكتابة، وعلى التخلق بالأخلاق الحميدة والاطلاع على المعارف المفيدة هو أجمل صفات الكمال."([1])

أما قاسم أمين فقد دعا إلى تربية المرأة وتحررها حيث كتب بعد عودته من فرنسا مقالات عن تحرير وتعليمها لصحيفة المؤيد سنة 1899 وجمعت بعد ذلك في كتابه "تحرير المرأة" و "عاب في مقدمة الكتاب على المثقفين إهمالهم لقضايا المرأة، وأوعز تأخر الأمة العربية إلى ما تعانيه المرأة من تفشي الأمية والجهل إذ يتلازم انحطاط الأمة مع انحطاطها ولذلك نادى بتعليمها ومساواتها مع الرجل"([2])

وكانت دعوة رفاعة الطهطاوي والعديد من النهضويين كقاسم أمين، ونازلي فاضل وأحمد فارس الشدياق، وأحمد لطفي السيد، وحسين هيكل، وطه حسين، وأحمد الزيات.... أساس التطور والنهضة النسوية التي ظهرت في البلاد العربية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ولقد ركزت هذه المرحلة على حق المرأة في التعليم، وطالبت بالسماح للاختلاط بين الجنسين، لأن ذلك من مقتضيات التعليم والعمل، ولم تطرح قضايا منافية لثوابت الدين ومسلماته، ولم يتم اعتبار أن للدين دور في تخلف المرأة، ولم تؤيد كتابات هذه المرحلة فكرة المساواة بين الجنسين، بل أحيانا حذرت المرأة من تقليد الرجل، ورغم هذا، لاقت هذه الأفكار هجوما شرسا من قبل بعض الرجعيين ومن رجال الأزهر، ورجال السياسة لكن المرأة العربية ردّت على هؤلاء فقد " شاركت المرأة العربية بقلمها منذ بداية هذه المعركة، ومن هؤلاء الأديبة والشاعرة المنحدرة من أصل تركي عائشة التيمورية التي تعتبر من رائدات الحركة النسائية في الربع الأخير من القرن الماضي، وتعتبر مقالتها بعنوان(مرآة التأمل في الأمر) من أشهر ما كتبته عن معاناة المرأة من تمييز وحيف وهضم لحقوقها، ثم جاءت بعدها زينب فوار، وملك حنفي ناصف، التي اشتهرت باسم (باحثة البادية) لمتابعة النضال من أجل الحق في الكينونة والمساواة مع الرجل" .([3])

---

[1] ــ خليفة إجلال، الحركة النسائية الحديثة،قصة المرأة العربية على أرض مصر،المطبعة العربية الحديثة، 1973،ص121.

[2] ــ نعيمة هدى المدغري،النقد النسوي،ص120

1 _ نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1982، ص11.

وكان أبرز رموز هذه الفترة: رفاعة طه الطهطاوي، خير الدين التونسي، بطرس البستاني، أحمد فارس الشدياق، فرنسيس مراش ، فرح أنطوان ...وغيرهم.

المرحلة الثانية: وتبدأ هذه المرحلة منذ نهاية القرن التاسع عشر على إثر صدور كتاب مرقص فهمي سنة(1894م) بعنوان "**المرأة في الشرق**" والذي أحدث ضجة كبيرة لكونه نقل موضوع حقوق المرأة إلى ميدان المواجهة مع المعتقدات الإسلامية، تم صدور كتاب " **المرأة** " **الجديدة** "عام (1900م) لقاسم أمين، والذي دعا فيه إلى اقتفاء أثر المرأة الغربية ونحا نحو العلمانية الليبيرالية في طرح قضايا المرأة، والتزم بمناهج البحث الاجتماعي الغربي.

كما شهدت هذه الفترة سيطرة الحكم الاستعماري، وتوسع الإرساليات والمدارس التبشيرية، وانتقال الفكر الغربي إلى البلدان العربية، وتميزت بالمطالبة بالمساواة في حق التعليم للجنسين، وجميع الحقوق السياسية والنيابية، وكذا المساواة في الميراث والمطالبة بإصلاحات قانونية في نظام الأحوال الشخصية، مثل منع تعدد الزوجات تقييد الطلاق، إباحة زواج المسلمة من القبطي...إلخ، أما على المستوى العلمي فتأسست الاتحادات النسائية التي شاركت في مؤتمرات عالمية لدراسة وضع المرأة ، وخرجت المرأة في المظاهرات ضد الاحتلال الإنجليزي عام 1919، ونزعت المرأة الحجاب (النقاب) في تلك التظاهرة، كما فعلت هدى شعراوي وغيرها، وصدر قرار من البرلمان المصري بتحديد سن (السادس عشر) كأدنى سن للزواج، وكانت وراء هذا القانون جهود الاتحادات النسائية ...وغير ذلك مما يدل على أن هذه المنظمات النسائية أصبحت جزءا من القوى المؤثرة على حركة المجتمع وبنائه الفكري، والثقافي، والسياسي والاجتماعي.

وإذا كان دور البعثات العلمية في بداية النهضة العربية قد انصب على التنظير لقضية المرأة ، فإن الكفاح النسائي حقق مشروعيته عن طريق تأسيس العديد من الصحف والمجلات التي كانت متنفسا للمرأة، ووسيلة للدفاع عن حقوقها وحريتها، ووصول صوتها للمجتمع، مشكلة بذلك خطابا نسويا ثائرا على المجتمع الذكوري المتسلط، ف" شكلت كتابات المرأة في الصحف نقلة نوعية في مجال ترسيخ الأسس الأولى للصحافة النسوية

الملتزمة بقضية المرأة والدفاع عن حقوقها بما يكفل لها الكرامة والمساواة مباشرة مع البدايات الأولى للدعوة إلى تعليم المرأة وصولا إلى المطالبة بالمساواة في الحقوق والواجبات" . ([1])

وعلى غرار مصر انتشرت الصحافة النسائية في عدة بلدان عربية كلبنان وسوريا مشكلة سلاحا قويا في معركة تحرير المرأة كما عبرت عن طموحاتها وآرائها وقدمت فيها الكثير من الأفكار ذات الطابع الثوري الرافض لسيطرة المجتمع الذكوري وللتصور الدوني للمرأة، فكانت الصحافة بذلك منبرا لإسماع صوت المرأة وشكلت خطابا نسويا مطلبيا كان بمثابة الثورة على المجتمع الذكوري المتسلط .

وارتبط ظهور الصحافة في الوطن العربي بالحركات والجمعيات والتنظيمات النسوية التي كانت تطالب بتحرر المرأة، فقد فسحت عدة صحف الفرصة لأقلام نسائية مثل:(لسان الحال)1877 و(النخلة) 1870، و(المقتطف) 1876...و كانت **مريانا المراش** أول امرأة عربية نشرت مقالا لها بمجلة(الجنان) سنة 1869، فشجعها "بطرس البستاني" حيث دعت المرأة إلى التسلح بسلاح العلم والإقدام على الكتابة بجرأة([2]) .

لقد شكلت كتابات المقالات النسوية في صحف تلك الفترة سلاحا قويا في معركة تحرير المرأة، حيث صرحت فيها بآرائها، وقدمت الكثير من الطروحات ذات الطابع الثوري الرافض لسيطرة المجتمع الذكوري، وللتصور الدوني للمرأة .

وإضافة إلى الصحافة النسائية ظهر ما يعرف بالصالونات الأدبية كظاهرة متميزة لدعم قضية المرأة، وجمعت هذه الصالونات التي كانت تنظمها مناضلات نسويات في مصر كبار الأدباء والمفكرين ومن هذه الصالونات صالون الأميرة **نظلة فاضل** الذي كان أول صالون في النهضة النسائية العربية الحديثة، ومن رواده : قاسم أمين ومحمد عبده وسعد زغلول وأحمد لطفي السيد....([3])، وصالون **زينب فوار** الذي فتحته ببيتها بدمشق سنة 1879، واهتمت جلساته بقضايا تحرر المرأة وتعليمها وإعطائها فرصة لإثبات ذاتها

1ــ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي ، ص124.

[2] ــ جورج كلاش، تاريخ الصحافة النسوية، دار الجيل،بيروت،ط1، 1996، ص32ــ33.

[3] ــ المرجع نفسه، ص231.

في العمل والإبداع، وصالون **مي زيادة** وكان يقام في بيت والد مي، وأقيمت فيه أهم الندوات والمناقشات الفكرية والأدبية بحضور: عباس محمود العقاد، وأحمد لطفي السيد وخليل مطران، ومصطفى صادق الرافعي، وطه حسين، وأحمد شوقي ...وكان لهذا الصالون الفضل في ترسيخ أسس نهضة المرأة ومشاركتها في اليقظة الفكرية العامة، وقد ساهمت النساء المثقفات في هذا الصالون أمثال: لبيبة هاشم، وملك حنفي ناصف، وهدى شعراوي....([1])

اهتمت هذه الصالونات بقضايا المرأة تاركة أثرا كبيرا على النهضة الفكرية النسائية مؤكدة على قدرة المرأة وحضورها في شتى المجلات، كما عملت تلك الصالونات "على نشر اعترافات روادها على صفحات الجرائد والمجلات بحق المرأة في التحرر وفي التربية والتعليم، والعمل، والاعتراف بكينونتها واسترجاع حقوقها المغتصبة باسم تقاليد المجتمع وثقافته " ([2])

وفي هذه المرحلة بدأت القوة الوطنية تحذر من هذه الحركات، كما قام بعض دعاة حقوق المرأة بمحاولات لتطويع نصوص الدين لصالح دعوتهم، أو محاولة استبعاده والبحث خارجه عن مرجعية لحقوق المرأة، إذا استعصت نصوصه عن التفسير والتأويل وطرح موضوعات تناقض الدين بشكل واضح مثل المساواة في الإرث، وعلاقات قبل الزواج...إلخ.

ومن أبرز كتاب هذه المرحلة: قاسم أمين، مرقص فهمي، هدى شعراوي، درية شفيق، سلامة موسى، أمينة السعيد، مصطفى أمين، إحسان عبد القدوس، نزار قباني...إلخ.

المرحلة الثالثة : وبدأت هذه المرحلة من خمسينيات القرن العشرين، حيث زادت الأحزاب التي تتبنى الإيديولوجية العلمانية، والشيوعية، وانتشر نفوذها، بل واستولت على السلطة في الكثير من البلاد العربية التي كانت قد بدأت تتحرر من الاستعمار والذي لم يرحل إلا بعد أن مكن الثقافة الغربية من العقول، والمناهج والدساتير والقوانين وأدى النشاط في ترجمة الكتابات اليسارية الماركسية حول تحرير المرأة، مثل كتاب

---

[1] ــ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي،ص134.

[2] ــ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي ، ص136.

(الجنس الآخر) **لسيمون دي بوفوار** إلى انتقال أفكار الغرب إلى الحركة النسوية العربية فسادت أجواء الشك في الدين والقيم، وسمي الدين والتقاليد بالرجعية والتخلف، واتهم الدين بكونه سببا في دونية المرأة واضطهادها في المجتمعات العربية.

وفي هذه المرحلة انتقلت حركة تحرير المرأة العربية من مرحلة التأثر بنمط الحياة الظاهري للمرأة الغربية إلى استلهام الرؤى الفلسفية، وجعلها إيديولوجيا للمرأة في حركتها وكتاب هذه المرحلة كثيرون ولعل أهمهم: نوال السعداوي، فاطمة المرنيسي زليخة أبو ريشة، وآخرون..

لو تأملنا مسيرة الحركة النسوية العربية، سنجد أنها حققت إنجازات على عدة مستويات وقضايا مرتبطة بالمرأة، منها تغيير النظرة إلى تعليمها، وخروجها للعمل ومشاركتها في الحياة السياسية، والأدب والثقافة، وعلى المستوى الحقوقي بإدراج مبدأ المساواة بين المواطنين في الدساتير الوطنية، لكن رغم ذلك لا يمكن القول أن المرأة العربية تعيش حالة نهضوية، فالأمية ما زالت منتشرة في بعض المناطق العربية،خاصة بفعل الحروب والأزمات الاقتصادية والسياسية الأخيرة، إضافة إلى أن المرأة لم تنجح في اقتحام عالم العمل والاقتصاد بالصورة المطلوبة، ورغم أن أغلب البلدان العربية منحت المرأة حقوقا سياسية منذ خمسينيات القرن الماضي، إلا أن الحراك السياسي لم يشهد مشاركة حقيقية ومؤثرة للمرأة.

فلقد عانت معظم الحركات النسوية في الوطن العربي من عزلة عن المجتمع والدوران في دوائر صغيرة تحد أفكارها، مما قلل من فاعليتها، كما أن العدد الكبير من المؤسسات النسائية في الوطن العربي تعمل على تعزيز الدور النمطي والتقليدي للمرأة وهي ليست في وارد الاهتمام بنورانية الفكر، وجوهرية التغيير والبحث في آلياته وفلسفته واستراتيجياته.([1])

[1]ـــ عيسى برهومة، اللغة والجنس، ص72.

3ــ الحركة النسوية في الجزائر:

لعل أول مساهمة فعالة للمرأة الجزائرية مشاركتها في حرب التحرير، والتي عكست إضافة هامة في حياتها، بل يمكن القول عن هذه المشاركة بأنها القطيعة ولو مؤقتا مع نظام أسري واجتماعي تقليدي غلب عليه(الرمز والمقدس) الذي احتوى المرأة لفترة طويلة "فلم يكن ليخرج المرأة الجزائرية من البؤس والجهل والاضطهاد الذي فرضته عليها العادات والتقاليد الاجتماعية وكرّسه الاستعمار،سوى حركة ثورية تقدمية تقضي غلى الاستعمار، وعلى تلك المجموعة من التراكمات الثقافية التي صنعتها ممارسات الإنسان عبر مسيرته التاريخية، والتي قيدت آفاق المرأة وحددت مجال ممارستها الاجتماعي، فهيأت هذه الحركة ظروفا ملائمة لتغيير وضعية المرأة المتخلفة"([1]) كما ارتبطت الحركة النسوية الجزائرية بمسيرة حركة النضال الموسع من أجل قيم التقدم الاجتماعي والديمقراطية التي عرفتها الجزائر منذ بداية الستينيات .

إن نضال الحركة النسوية الجزائرية لا يشبه نضال الحركة النسوية الغربية لأنهما ليس ضمن سياق ومجتمع واحد، فهناك اختلاف كبير في المنطلقات والمبادئ، لكن رغم هذا لا يمكننا أن نفكر خارج النطاق الدولي، فالحركة النسوية الغربية كان لها تأثير على كل المجتمعات، والحركة النسوية الجزائرية لها ارتباط كبير بقضايا المجتمع، ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع للحركة النسوية في الجزائر هي: الحركة النسائية الرسمية وتضم برامج الوزارة المعنية بقضايا المرأة، والحركة النسوية للمنظمات غير الحكومية والحركة النسوية الإسلامية.

أــ الحركة النسوية الرسمية: أو الحركة النسوية التابعة للدولة، وهي مرتبطة بالوزارة المعنية بقضايا المرأة والتي تمتلك صلاحيات محدودة جدا، وتعمل ضمن الإتحاد الوطني للنساء الجزائريات، الذي أنشئ مباشرة بعد الاستقلال وذلك في 13جانفي من سنة1963 بحيث نظمت ندوة وطنية جمعت حوالي 75 مناضلة من مختلف مناطق الجمهورية و" كان من بين أهداف المنظمة تعبئة عدد كبير من النساء وتنظيمهن وتسييسهن وتوعيتهن بغرض المواجهة الموضوعية لمشاكل المرأة الحقيقية وجعلها تشارك في عملية البناء الوطني والتنمية الشاملة، بالإضافة إلى توسيع نطاق عملها لتفعيل دورها وإعطائها وزنها

[1]- J. Minces, La femme dans le monde arabe, édition Mazarine, Paris, 1980, p123.

الحقيقي والمناسب لمكانتها الاجتماعية ودورها التاريخي"([1]) لكن عوامل عديدة حالت دون ذلك، حيث اقتصر نشاط هذه المنظمة لمدة طويلة على المدن الكبرى ــخاصة العاصمةــ فلم تتمكن من الانتشار في المدن الصغيرة والأرياف"([2])، وهذا ما يلاحظ على مناسبات إحياء اليوم العالمي للمرأة والذي كان موجها لدعم الشعوب المناضلة أكثر منه إلى الاهتمام بقضايا المرأة الجزائرية حيث أنه" في سنة 1968كانت مناسبة يوم المرأة العالمي مخصصة للتضامن مع الشعب الفيتنامي، وخصصت سنة 1969 للتضامن مع الشعب الفلسطيني، وسنة 1970 يوما للتضامن مع الشعوب المكافحة في إفريقيا" إضافة لأعمالها الخيرية التي يوزع فيها هدايا على أبناء الشهداء والمرضى.

ومنه فإن الطابع الإيديولوجي قد طغى على الأهداف الحقيقية لهذه المنظمة والتي من المفروض أن تعالج قضايا المرأة وانشغالاتها، و" لهذا فقد بقيت قضية المرأة تطرح في إطار عموميات مرتبطة بإيديولوجية الدولة الجزائرية بعيدا عن الانشغالات الجوهرية للمرأة مما يدفعنا إلى الاعتقاد أن المنظمة كانت تعمل على إبقاء المرأة في دورها التقليدي"([3]).

وهذه المنظمة ما هي إلا امتداد طبيعي لحزب جبهة التحرير الوطني، فكل نشاطاتها الثقافية والاجتماعية والسياسية مخططة ومراقبة من قبل الحزب، فنشاطها متمثل في شرح لوائح الحزب ومقرراته، لذا تعتبر تبعية المنظمة للحزب" سببا أساسيا في عزوف النساء عن الانخراط فيها، فتدخلاتها محدودة جدا، وضعيفة لا تتجاوز إنشاء بعض المراكز والاجتماعات، وتطبيق ما جاء به الحزب، هذا مع غياب الإطارات العليا لتسييرها "([4]) .

ورغم كل هذا فإنه لا يمكن إنكار دور هذه المنظمة في تحقيق بعض التغييرات التي مست المرأة الجزائرية كمجال محو الأمية، وتكوين مناضلات سياسيات مثلن المرأة وعبرن عن مشاركتها في المجتمع.

---

[1] ــ بادي سامية، المرأة والمشاركة السياسية التصويت العمل الحزبي العمل النيابي،مذكرة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة منتوري قسنطينة ، 2005، ص114.

[2] ــ نعيمة نصيب، المشاركة السياسية للمرأة الجزائرية، ص188.

[3] ــ بادي سامية، المرأة والمشاركة السياسية، ص115.

[4] ــ بادي سامية، المرأة والمشاركة السياسية، ص115.

وفي السنوات الأخيرة أصبحت هذه المنظمة منظمة مستقلة عن الدولة، ولكنها بقيت قريبة من حزب جبهة التحرير الوطني، وساهمت في دعم الرئيس عبد العزيز بوتفليقة من خلال مشاركتها في الحملة الانتخابية عام 2004م.

ب ــ الحركة النسائية العلمانية: والتي أسست جمعيات مستقلة، وكانت هذه الحركة رسمية في عهد الحزب الواحد ثم استقلت، و" بروز منظمة نسوية مستقلة عن وصاية الحزب الواحد لم يحصل إلى غاية 1985، هذه السنة التي تعتبر بداية تكسير الأطر التي كانت المسألة النسوية سجينتها، وهي أطر الدولةــ الحزب "([1]) ،ومثّل هذه الحركة " **التجمع الجزائري للنساء الديمقراطيات،** وقد تشكلت المنظمة الأولى عام 1985، وهي جمعية تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة بمناسبة تنظيم المعارضة النسائية لقانون الأسرة الذي لا يجيز المساواة بين المرأة والرجل، وينتهك حقوق النساء، وهي أول منظمة نسوية علمانية مستقلة"([2])، طالبت هذه الحركة بمراجعة قانون الأسرة وبمواطنة قائمة على العمل المدفوع الأجر، والمساواة القضائية ضمن العائلة، ودعت لتغيير قانون الأسرة، والحق غير المشروط بالعمل، والتساوي في سن الأهلية المدنية مع الرجل، وتمثلت نشاطات هذه الجمعيات في تنظيم الندوات، وكتابة التماسات، ووضع مراكز الاستماع الهاتفي والقضائي، ونشاطات أخرى تثقيفية ومرجعيات وتفاعلات هذه الجمعيات مستقاة من الحركة النسوية العالمية.

ج ــ الحركة النسوية الإسلامية: ظهور الحركة النسوية الإسلامية يعود لعهد الاستعمار ومثلت هذه الحركة آنذاك " جمعية النساء المسلمات الجزائريات" وعملت هذه الجمعية تحت إشراف حركة "من أجل انتصار الحريات" وأنشأت في 24 جويلية 1947 وانحلت في 1نوفمبر 1954، و" هي التي تحولت فيما بعد إلى لجنة للعمل بقيادة السيدة (مامية شنتوف)، وقد تولت الأمانة العامة فيها السيدة (نفيسة حمود)، وكانتا تقومان بالتنظيم

2ــ الزبير عروس، الخلفية التاريخية ونضال جمعيات الحركة النسوية من أجل التغيير في الجزائر، مجلة مركز سيداف ع 24 ص50.

[2] ــ أيمن ابراهيم الدسوقي ، المجتمع المدني في الجزائر، مجلة المستقبل العربي، مركز الوحدة العربية، بيروت لبنان،سبتمبر2000، عدد 259،ص63.

السياسي والتنسيق في ناحية الغرب (وهران، تلمسان)، وكانت أهداف هذه المنظمة ظاهريا مساعدة الأسر المعوزة، بينما كان عملها الحقيقي هو التكوين السياسي للنساء "([1]) لكن جمعية النساء الجزائريات المسلمات لم تطرح في برنامجها أي مطلب نسائي، ولم تطرح في أي مناسبة قضية ترقية المرأة، و" إنما كان اهتمامها فقط ضمن الاهتمام العام للشعب الجزائري وهو استقلال البلاد، وتذكر (مامية شنتوف) أنه من بين العناصر الأولى لهذه الجمعية السيدات:(نفيسة حفير، فطيمة زكال، سليمة بلحفاف، مليكة مفتي، زهور رقيني) وكان من المهام الرئيسية لهذه الخلايا هو إدخال فكرة الاستقلال بكل الطرق الممكنة في الوسائط النسوية "([2]) .

وبعد الاستقلال لم تعرف الجزائر نشاط نسوي إسلامي كبير فكانت حركة قليلة الظهور، وتعمل في عمق المجتمع، وفي سنوات التسعينيات انتعش نشاطها حيث ارتبطت بالأحزاب الإسلامية والحركات الطلابية، فقد عرفت هذه الأحزاب الإسلامية انضمام كبير للنساء في أوساطها، فالجبهة الإسلامية للإنقاذ ضمت عددا كبيرا من المناضلات أغلبهن مكونات في العلوم الإسلامية وطالبات، وما يفسر هذا الانخراط النسوي الواسع في صفوف هذا الحزب تأثرهن بشكل كبير بالخطب الحماسية لقادته، و" مارست النساء في صفوف هذا الحزب أدوار كثيرة ومتعددة من أجل تنظيم المجتمع حيث عملن في الجمعيات الخيرية ومحو الأمية، وقدمن مساعدات في شتى المجلات"([3])، وبالرغم من ذلك غاب العنصر النسوي عن مجلس الشورى في الحزب مما أثار اعتراض المناضلات، كما أن الحزب لم يقدم أي مرشحة في انتخابات 1991.

أما " حركة مجتمع السلم" فقد عملت على استقطاب النساء إلى صفوفه وأعطاهن الفرصة لمناقشة مختلف القضايا منها الخاصة بالمرأة ومنها ما هو متعلق بالبرنامج السياسي للحزب، حيث " أن 20٪ من مجلس الشورى أعلى هيئة تنفيذية للحزب هن نساء، فهن

---

[1] ــ بادي سامية، المرأة والمشاركة السياسية، ص108.

[2] ــ سعد حورية، الوضعية الاجتماعية والسياسية للمجاهدات بعد الاستقلال، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع العائلي جامعة الجزائر، 1995/1994، ص41.

[3] ــ بادي سامية، المرأة والمشاركة السياسية، ص124.

يتكفلن بوضع البرامج على مستوى الأمانات، وهن في وضعية متقدمة في العمل السياسي حيث انصبت اهتماماتهن على الجانب الثقافي والتسامح الاجتماعي ([1]).

وكانت أفكار النسوية الإسلامية مرتبطة بالدين وتدعو لارتداء المرأة للحجاب ودوافعها مختلفة عن دوافع الحركات النسوية الأخرى، كما ناضلت ضد التقاليد البالية كممارسات السحر والشعوذة، ومقر تفاعل هذه الحركة المساجد، هدف هذه الحركة انتشار الوعي الديني بين النساء، خاصة وأن المجتمع التقليدي كان قد استبعد النساء من الدين الرسمي.

[1] ــ المرجع نفسه، ص 124.

4ــ الحركات النسوية واللغة :

يعتبر النقاش حول اللغة من أهم النقاط التي أثارتها الحركات النسوية، فقد اهتمت النسويات باستخدام النساء للغة على مستوى علم الاجتماع، وعلم النفس، والتربية والأسلوبية، والنقد الأدبي والأنتروبولوجيا. وطرحن سؤال حول ما إذا كان الرجال والنساء يستعملون نفس اللغة بأساليب مختلفة، وبحثن في الفروق الجنسية في استخدام اللغة (البيولوجية والاجتماعية والثقافية)، على أساس أن الجنس من العوامل المؤثرة في اللغة مثله مثل الطبقة الاجتماعية والمنطقة الجغرافية والمستوى الثقافي، كما أثرن أسئلة حول ما إذا كانت هناك خصوصية في حديث وكتابة المرأة، وحول إمكانية خلق المرأة للغة جديدة خاصة بها.

كانت الدعوة إلى تحييد اللغة وتنقيتها من صور التحيز المتعددة، وتخليصها من الشوائب التي علقت بها خلال تاريخها الذكوري الطويل، أهم نقطة أثارتها الحركات النسوية خلال تاريخها الطويل، فمنذ السبعينيات أصدرت " روبن لاكوف" أهم عمل في هذا المجال بعنوان(**اللغة و مركز المرأة**)، الذي مهد لعدة دراسات حول مسألة اللغة وبعده وفي الثمانينات ظهر كتابي (**النساء و الرجال و اللغة**) و (**اللغة والتحيّز الجنسي**) **لجنيفر كوتس**، عبرت هذه المؤلفات عن استياء الفكر النقدي من السيطرة الذكورية على اللغة ومن إقصاء المرأة من حقل العلم والمعرفة، وبذلك" تحدد مقاربتان وعلاقتان باللغة متناقضتان جذريا، من جهة، ذكاء عقلاني تحليلي ومنطقي يرمي إلى تنظيم العالم وهو ضمنيا رجالي، ومن جهة أخرى توقعات حدسية وغريزية وتلقائية وتعميمية، شهوانية وبدائية وطفولية، استيهامية واندفاعية وهستيرية، وباختصار كل المواصفات التي تميّز النساء والأطفال والمجانين...." ([1])

فكون اللغة مؤسسة ذكورية كما هو ثابت تاريخيا وواقعيا، وهي كما قال الغدامي: "إحدى قلاع الرجل الحصينة، يعني حرمان المرأة ومنعها من دخول هذه المؤسسة الخاصة بالرجل، مما جعل المرأة في موضع هامشي بالنسبة لعلاقتها مع صناعة اللغة وإنتاجها" ([2]) ، هذا ما دفع الحركات النسوية إلى السعي إلى تغيير النظام اللغوي التقليدي

---

[1] _ Yaguello Marina : Les fous du langage, Des langues imaginaires et de leurs inventeurs ,p : 43.

[2] ــ عبد الله الغدامي، المرأة واللغة، ص80.

والبحث عن لغة متحررة من القيود التي تعيق تحرر فكر المرأة، وتعبر عن فكر المساواة لأن المفاهيم التي ارتبطت بالذكورة والأنوثة هي في النهاية مفاهيم ثقافية وتصورات ذهنية للمجتمعات ولا علاقة لها بالطبيعي والجوهري.

و كان تركيز الحركات النسائية من بين جوانب اللغة على النقاط التالية :([1])

ــ **نظرة المجتمع الدونية للمرأة،** تلك النظرة التي انعكست على اللغة في ألفاظها واستعمالاتها والتي ظهرت في شكل أنواع من التحيز للذكورة مما جعلها تستحق أن تسمى (لغة ذكورية).

ــ **سيطرة الرجل على كل الأعمال الهامة والوظائف المتحكمة،** ومحاولته إبعاد المرأة عن المنافسة أو المشاركة، مما حرمها من فرص الظهور العام، ومنعها من المخاطبة المباشرة للجماهير.

ــ **الدعوة إلى تحييد اللغة بالتخلص من مظاهر احتقار المرأة من جهة،** ومن أشكال التفوق الذكوري من جهة أخرى.

ــ **إبراز مظاهر التفوق اللغوي عند المرأة،** ومحاولة إثبات تميزها في هذا الجانب على الرجل.

ــ **الدعوة إلى مراعاة التوازن الجنسي في المعاجم،** والاهتمام بالأمثلة التي تحدد ملامح الأنثى وتكشف عن الصفات الإيجابية لها، مثل: الاختراع والمغامرة، وهي في العادة تحتفظ بها المعاجم للرجال والأولاد.

ــ **تحسين صورة المرأة واستعمال لغة غير متحيزة في الكتب الدراسية** والمعاجم وفرض هذه الخطوط العامة عن طريق المؤسسات الرسمية، ودور النشر والجمعيات اللغوية.

لكن السؤال الذي يبقى دائما مطروحا **هل المرأة قادرة على أن تضع لغة أنثوية خاصة ومختلفة تضيف للغة والثقافة بعدا إنسانيا جديدا ؟ هذا التساؤل طرحه عبد الله الغدامي في قوله" هل تستطيع المرأة تأنيث اللغة وأنسنتها لتكون للجنسين معا ؟** أم أن اللغة بلغت منها الفحولة مبلغا لا سبيل إلى مدافعته" ([2]) ونحن نقول أنه رغم سيطرة

3ــ أحمد مختار عمر، اللغة واختلاف الجنسين، ص17،18.

[2]ــ عبد الله الغدامي، المرأة واللغة، ص11.

الرجل على اللغة لعهد طويل حاول بعض الباحثين اللغويين الوصول إلى سبل بإمكانها الحد من الفوارق اللغوية النسائية والذكورية، عن طريق إعادة الاعتبار للمرأة، ومحاولة تحقيق المساواة بينها وبين الرجل، وإعطائها فرص لتحقيق مكانتها داخل المجتمع وبالتالي تتحول من مجرد تابعة إلى فاعلة ومؤثرة فيه، الأمر الذي سيؤدي إلى إحداث تغييرات أساسية من شأنها محو التمييز بين الرجل والمرأة .

ومن المحاولات العربية للحد من الفوارق اللغوية محاولة زليخة أبو ريشة التي عرضتها في كتابها " اللغة الغائبة، نحو لغة غير جنسوية " حيث وضعت بدائل لعبارات وتراكيب جنسوية في عدة مجالات منها : مجال الصفات الجسدية، والنفسية، والوجدانية، وفي المجال الاجتماعي، والمهن، وفي عموم التأنيث والتذكير، نذكر منها الأمثلة التالية([1]):

ــ مجال الصفات الجسدية:

عبارات /ألفاظ جنسوية	بدائل	ملاحظات
ــ عجوز شمطاء	سيدة مسنّة	ــ تستخدم تحقيرا للمرأة عندما تتقدم في العمر ووصمها بالبشاعة وهذا ما ليس شائعا في وصف الرجل المتقدم في العمر.
ــ جميلة كالدمية	جميلة	ــ تشييء المرأة في تشبيهها بالدمية(سهلة المنال) ، يعني تلك التي يلعب بها الأطفال.
ــ ناعمة	امرأة لطيفة، امرأة في طبعها رقة، امرأة رقيقة المظهر، شابة. رجل لطيف، رجل رقيق المظهر، شاب.	ــ "الناعمة ...هي الفتاة الشابة" (المخصص 3: 155) وليس لهذا النعت مثيل للذكور، بل يعتبر نعت ناعم إساءة وسبّا للرجل إذا وصف به.

[1] ــ زليخة أبو ريشة، اللغة الغائبة، نحو لغة غير جنسوية،ص103إلى117.

ــ الصفات النفسية/ الوجدانية:

عبارات /ألفاظ جنسوية	بدائل	ملاحظات
ــ شموس		ــ " والشموس هي التي لا تطالع الرجال ولا تطمعهم" (المخصص 4:6) وكأن العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة الذئب بالحملان.
ــ التضحية واجب على الأم/المرأة/ الزوجة...	التضحية واجب على الأم والأب عند الضرورة.	ــ تكريس صورة المرأة المضحية، وقصر التضحية على المرأة فقط.

ــ المهن:

عبارات /ألفاظ جنسوية	بدائل	ملاحظات
ــالنائب توجان فيصل ــ تعمل (فلانة) أمينا عاما لوزارة الثقافة.	ــ النائبة توجان فيصل ــ تعمل (فلانة) أمينة عامة لوزارة الثقافة.	فالنائب قياس على مهن ذكر النحاة أنها لا تؤنث حتى لو مارستها النساء مثل: وكيل أمير...إلخ وذلك بسبب قلة من مارسنها من النساء ونحن لا نحاكم المهنة بغلبة من يمارسها من الجنسين وإلا لكان علينا أن نذكر جميع المهن بما فيها التعليم لأن معظم الممارسين ذكور ولا ضرورة للحرج الّذي نشعره من المعاني الأخرى لكلمة(نائبة) وهي المصيبة

		فالسياق كفعل بالتمحيص والفرز.
ــ رتب الجيش والأمن العام للنساء: نقيب وكيل عقيد...	نقيبة، وكيلة، عقيدة.....	ــ سيبدو التأنيث غريبا لعدم شيوعه فقط، ألم يكن منصب وزير قصرا على الذكور حتى احتلته المرأة وصارت "وزيرة" ؟

ــ الوضع الاجتماعي:

عبارات /ألفاظ جنسوية	بدائل	ملاحظات
ــ السيدة سهى عرفات	السيدة سهى الطويل	ــ وهذا من باب تعريف المرأة بزوجها وتعزيز تبعيتها، ألا يكفي أن المرأة تنسب إلى أبيها دون أمها فقط، حتى تنزع اسمها عند الزواج؟
ــ الآنسة رنا الحسيني صحفية جادة.	السيّدة رنا الحسيني صحفية جادة...أو: الصحفية رنا الحسيني صحفية جادة....	ــ تطلق كلمة سيدة على كل امرأة مهما كان وضعها الاجتماعي عزباء أو متزوجة أو طليقة، فلا يولد الذكر سيّدا، بينما تحصل المرأة على لقب السيادة عندما تتنازل عنها بعقد الزواج.
ــ امرأة طالق	امرأة طالقة	ــ فقد منعوا تأنيث الكلمة بالتاء لأن المرأة لا تطلّق نفسها بل يطلّقها الرجل

		والرجل لا يطلِّق بل يطلِّق فما احتاجه النعت إلى أداة تأنيث مثل القول(حائض) إذ لا يحيض الرجل.
ــ عانس	عزباء، لم يسبق لها الزواج	ــ لا يكاد يوجد في اللغة كلمة أقسى على المرأة من هذه، فهي لا تصف المرأة بأنها لم تتزوج فحسب، بل تصمها بذلك، يجب شطب هذه الكلمة من القاموس العربي والاستعمال اللغوي.

ــ في عموم التأنيث والتذكير:

عبارات /ألفاظ جنسوية	بدائل	ملاحظات
ــ الرجل والمرأة قاما	قام الرجل وقامت المرأة .أو الرجل قام والمرأة قامت	ــ فإنما يستشهدون على تغليب المذكر على المؤنث بهذا المثال، على أساس أن المذكر هو الأصل، وما هو بالأصل، ولذا نقترح ــ تلافيا لدغم المرأة في ظلال الرجل ــ أن يؤخر الفعل في مثل هذه الحالة.

ــ المرأة إنسان	المرأة إنسانة	ــ يجوز في العربية تأنيث إنسان بالتاء، مع أن الكلمة تعني المذكر والمؤنث والمفرد والجمع، مثل(طفل) ولكن حرصا على إثراء اللغة، وحرصا على هوية الأنثى، نستخدم هذه الكلمة المهجورة.
ــ الجنس الآخر	النساء	ــ عندما نكني عن النساء بعبارة الجنس الآخر نكون قد أكدنا أن الجنس الأول هم الذكور، وفي هذا ما فيه من تراتبية، وتفضيل لجنس على آخر، نقول جنس الذكر وجنس الإناث، أو النساء والرجال، إلا إذا اقتضى السياق غير ذلك.

قدمت زليحة أبو ريشة في كتابها سردا بألفاظ وعبارات وتراكيب جنسوية، وقامت بوضع بدائل لبعض هذه الألفاظ والعبارات رغم إقرارها بوجود صعوبات ومشكلات اجتماعية وثقافية في التغيير اللغوي، وكذا صعوبات متعلقة باللغة نفسها، فالناس لا يتقبلون فكرة التغيير ووهم قدسية اللغة لأنها لغة القرآن " إذ إن المجتمعات التقليدية ذات القيم الساكنة تقاوم التغيير أساسا وتبرر مقاومته بأنه (أي التغيير) مناهض للقيم الدينية، وذلك على غير

وعي بحقيقة القيم الدينية"([1]) لذا تقترح الباحثة فكرة الإلزام بقرار سياسي ليتم تفعيل هذا التغيير اللغوي وعدم تركه لأهواء الناس، كما أن تجربتها تكاد تكون الوحيدة في الوطن العربي وهي مبادرة فردية بقيت حبيسة كتابها ولم تلقى اهتمام من المسؤولين ولا من الباحثين اللغويين، كما أن المجامع والهيئات اللغوية لم تدرج هذا النوع من التغيير والإصلاح ضمن اهتماماتها ،وحسب رأينا يرجع هذا التجاهل والإهمال لضعف التجربة وابتعادها عن الأساسيات .

[1]ــ زليخة أبو ريشة، اللغة الغائبة ، نحو لغة غير جنسوية، ص83.

المبحث الثاني:المرأة والكتابة

1ــ مصطلح الكتابة النسوية

2ــ الكتابة النسوية العربية النشأة والتطور.

3ــ المرأة الجزائرية والكتابة.

4ــ خصوصيات الكتابة النسوية.

5ــ النقد النسوي.

6ــ اللغة في كتابة المرأة.

7ــ خطاب المرأة.

ــ المرأة والكتابة:

ممارسة المرأة للكتابة لا تعود إلى تاريخ حديث، بل تمتد جذورها إلى عهد قديم، فلم تكن هذه الكتابة وليدة هذا العصر" بل كانت حاضرة دائما ومخالفة للنماذج الذكورية منذ"صافو" و"إلويز" ومن يقرأ "كوليت" من دون اسم المؤلف يعرف للتو أن الكاتبة امرأة"([1])، لكن فعل الكتابة هذا كان مغيبا في مجتمع لا يقدر إبداعها، ويستقبله بسخرية لاذعة، وتجاهل وهكذا ألغيت المرأة من الكتابة " لأن التاريخ الذكوري يبث فيها القناعة بضعفها وعدم قدرتها على الخلق والإبداع، وبالتالي يزرع فيها الخوف من ذلك العالم السحري المرتب من طرف الرجل، أنه نظام موضوع ومؤطر حسب إستراتيجية ذكورية معلومة ومساهمة المرأة في هذا النظام من خلال فعل الكتابة لا يمكن أن يتم إلا بعد تقديمها لتضحيات جسيمة، بحيث تعرف مسبقا أن هذه التضحيات هي قدرها كالموت والمرض..." ([2]) لهذا لم تطرح مسألة حق المرأة في الكتابة، وإن طرحت ففي نطاق ضيق لدى فئة اجتماعية محدودة " إذ كانت الأرستقراطية هي الطبقة الوحيدة التي شجعت نوعا من الكتابة النسائية فمثلا سيدة تعيش في قصر إمبراطورية اليابان يمكنها أن تكتب كما فعلت " مارجريت دونافاز"، أما المرأة التي لا تنتمي لتلك الطبقة الراقية، وأرادت أن تعيش حياة ثقافية، فعليها أن تقبل العيش على هامش النظام العائلي مثل "تيرز دافيلا " أوتبقى عازبة مثل "إميلي برونتيس" وسيمون دوبوفوار" و" مي زيادة"، أو تحيا نوعا ما مفترقة عن زوجها مثل السيدة دوشاييز أو مدام دي ستسل والأمثلة كثيرة في الشرق والغرب على حد سواء على اختلاف الأزمنة والحضارات "([3]) .

إذا الكتابة عند المرأة رغبة في الوجود بالفعل والقوة، وهي معركة انتزاع وجود من مساحة احتلها الرجل لزمن طويل و" هكذا تصبح الكتابة نوعا من الخلاص، ويصبح الاستمرار فيها رغم ما تتضمنه من عذاب نوعا من توسيع دائرة الخلاص" ([4]) فالمرأة لم

---

[1] ــ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي،ص99.

1ــ أفاية نور الدين، الهوية والاختلاف في المرأة والكتابة والهامش، إفريقيا الشرق، ط1، 1998،ص33.

[3] ــ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي،ص100.

[4] ــ محمد لطيف اليوسفي، لحظة المكاشفة الشعرية، الدار التونسية للنشر، تونس،ص282.

تجد لنفسها مكانة إلا بالكتابة التي تخطت بها كآبتها وآلامها وأحزانها، وخرجت من بها من صمتها في مجتمع يرفض تاء التأنيث في أبجديات الإبداع، ومنه سنحاول معرفة كيف تنخرط المرأة في الكتابة؟ وكيف تنظر إلى هذه الآلية ؟ وكيف توصلت لجعل هذه الكتابة ترى النور؟

1ــ مصطلح الكتابة النسوية:

ظهر مصطلح الكتابة النسوية عند الغرب في النصف الأول من القرن التاسع عشر مثيرا جدلا واسعا بين النقاد، فمنهم من رفض هذا المصطلح بحجة أنه يصنف الأدب حسب معايير جنسية لا أدبية، ومنهم من استصعب وضع مفهوم دقيق وواضح لهذا المصطلح كونه يتداخل مع مصطلحات أخرى ذات نزعة سياسية واجتماعية. وتبنى البعض هذا المصطلح لأنه يؤمن بتميز أدب المرأة واختلافه عن أدب الرجل، كما يعكس تجارب المرأة وخبراتها ويبعدها عن مجال السيطرة الذكورية، أما الكاتبات فرفضن كليا تحديد إنتاجهن بهذا المصطلح.

أما في الوطن العربي فيرتبط مصطلح الكتابة النسوية بعصر النهضة العربية فلا يمكن فصل نهضة المرأة العربية عن النهضة العربية ككل، ووعي المرأة بواقعها المأسوي الذي تعيشه مرتبط برؤية العرب لواقعهم في المرآة التي يمثلها الغرب، ومع مطلع الخمسينات تعالت أصوات نسائية معبرة بأقلامها عن الاحتجاج والثورة والرفض متمثلة في روايات ليلى بعلبكي، وكوليت خوري، وغادة السمان....وغيرهم، فمهدت هذه البداية مسار اقتحام المرأة لمجال الكتابة مجال اقتصر تاريخيا على الرجل، وصاحب ظهور مصطلح الأدب النسوي، أو الكتابة النسائية جدلا واسعا حول مضمون هذه التسمية من حيث أن هذه الظاهرة تطرح إشكالية تصنيف الأدب على أساس الاختلاف الجنسي ومن هنا تتبادر إلى أذهاننا مجموعة من التساؤلات، **هل يوجد فعلا أدب نسائي؟ هل تكتب المرأة بطريقة خاصة مميزة و مختلفة؟ وهل تستعمل في ذلك لغة مختلفة ؟**

ينبغي البحث في مصطلح الكتابة النسائية من حيث تخصيص الكتابة بأنها نسائية فإذا كانت هناك كتابة نسائية، يستدعي ذلك أن تكون هناك خصوصية في هذه الكتابة

ويتطلب التحديد الجنسي لكتابة المرأة البحث في كتاباتها، ورصد ما تحمله من خصوصية تميزها عن كتابة الرجل.

لكن أثناء بحثنا في هذا الموضوع وجدنا أنفسنا أمام استعمال عدة مصطلحات للتعبير عن ما تكتبه المرأة من قبيل" أدب نسوي، أدب الأنثى، أدب أنثوي، أدب المرأة أدب المؤنث، أدب نسائي، أدب الأضافر الطويلة ...." ونحو ذلك، وتوحدت آراء الكاتبات العربيات حول رفض تصنيف إبداعهن الأدبي في باب "الأدب النسوي"، والتمييز بين الكتابة النسائية والذكورية، لاعتبار أن هذا المصطلح مصطلح ذكوري ينتقص من قيمة الإبداع النسوي ويعزله عن الأدب العام فترى رشيدة بن مسعود أن" الغموض الذي ينسحب على وجهات النظر المقدّمة لمفهوم مصطلح (الأدب النسائي) آت من عدم تحديد وتعريف كلمة "نسائي" التي تحمل دلالات مشحونة بالمفهوم الحريمي الاحتقاري، وهذا ما يدفع المبدعات إلى النفور منه على حساب هويتهن، فيسقطن بسبب ذلك في استلاب الفهم الذكوري" .([1]) ، إذا رفض المصطلح لما ينطوي عليه من تحقير للمرأة ووضع نتاجها في مرتبة دونية، وذلك بتأثير سلطة المجتمع الأبوي الذي يعزز مكانة الرجل، ويهمش المرأة في المجالات المختلفة، وكما تتفق العديد من الكاتبات العربيات على عدم وجود إبداع رجالي وآخر نسوي دون أن ينفين تميز وخصوصية ما تكتبه المرأة فهن يعتبرن " الفكر والأدب والإبداع منتجات إنسانية، إلا أن هناك خصوصيات تتميز بها المعطيات الأدبية النسائية، ناجمة عن خبرات نوعية خاصة، لا يخبرها الرجال بحال من الأحوال" ([2]) .

لكن النقد النسوي العربي حاول التشجيع على قبول المصطلح كونه يعبر عن خصوصية أدب المرأة وتميزه، وعن إسهاماتها الملحوظة في إثراء الأدب العربي، ففي مقابل رفض المصطلح نجد فريقا آخر من الكاتبات يتبنينه ويدافعن عنه، بدون تردد أو وجل ، ومبعث ذلك ثقتهن وإيمانهن بأن إبداعهن يختلف عن ما يكتبه الرجل، وعزز ذلك اطلاعهم وتأثرهم بالأفكار الغربية، خاصة في ثمانينات القرن العشرين التي شهدت

1ــ رشيدة بن مسعود، المرأة والكتابة، سؤال الخصوصية/ بلاغة الاختلاف، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1 1994، ص 82.

[2]ــ شادية علي قناوي، المرأة العربية وفرص الإبداع، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص33.

تحولات كبيرة في اتجاهات الأدب النسوي وطرق التعامل معه، وإثبات المرأة قدرتها على طرح قضاياها والاهتمام بها تأليفا ونشرا ود

2ــ الكتابة النسوية العربية النشأة والتطور:

عرف أدب المرأة إجحافا كبيرا قديما وحديثا، فما نكاد نرى ديوانا لشاعرة ،أو مجموعة لنابغة، أهمل ذلك الأولون ومضى على آثارهم المتأخرون، فالذين أرخوا الأدب " قد تعمدوا طمس أدب المرأة العربية في عصورها الماضية، وأنهم قد ألقوا بآثارها في منطقة الظل، ومارس عصر التدوين ورجاله بخس النساء حقوقهن ، وهو ما نسميه بمحنة الوأد العاطفي والاجتماعي"[1] ، فإذا تصفحنا مختارات الشعر كحماسة "أبي تمام" و" البحتري" وغيرهما من الأقدمين لا نجد فيها شعرا نسائيا إلا ما ندر وهذا بسبب إهمال تدوينه مما يؤكد أن شعرا كثيرا قد ضاع إلى جانب عديد من الأسماء الشعرية الضائعة وإلا كيف نفسر عدم عثورنا على ديوان مستقل لشاعرة واحدة باستثناء المقطعات التي جمعت لكل من "الخنساء" و"ليلى الأخيلية" أو بعض المراثي التي جمعها "ابن سلام الجمحي" في كتابه طبقات فحول الشعراء، والذي يبرر هذا أن حركة الجمع والتدوين قد نشطت على أيدي رجال عاشوا بعقلية مجتمع وأد المرأة معنويا، وعزلها عن الحياة العامة ومن ثمة لم يكن لها في تصورهم أن تتحدث عن عواطفها وتعبر عن مكنوناتها، وكان الحديث عنها يحفظ وحديثها كان يكتم، ف" كان الحديث عن المرأة في المجتمع الجاهلي والإسلامي والأموي يحاط بسياج من العفة، وفي مجتمع الصعاليك فكان لا ينظر إلى المرأة إلا من جانب المتعة والشهوة والجسد والغزل "([2]) لكن المتصفح لمتن الأدب العربي القديم ابتداء من عصر ما قبل الإسلام مرورا بالعصور الأموية والعباسية والأندلسية وصولا إلى عصرنا الحاضر يجد عددا كبيرا من الكاتبات والشاعرات العربيات مثل: " زرقاء اليمامة " بالعصر الجاهلي و"سكينة بنت الحسين" و"ليلى الأخيلية" في العصر الإسلامي و " ميسون بنت جندل" في العصر الأموي، و"الرابعة العدوية" في العصر العباسي و" علية بنت المهدي" أخت هارون الرشيد ، وفي المغرب العربي في

---

[1] ــ بنت الشاطئ، الشاعرة العربية المعاصرة، دار المعرفة، القاهرة، 1965،ص 11.

[2] ــ مهدي ممتحن، الأدب النسائي مصطلح يتأرجح بين مؤيد ومعارض، مجلة التراث الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، السنة الثانية، العدد7، ص110.

الأندلس أديبات كثيرات منهن " الجارية العجفاء" وحمدونة بنت زياد الغرناطية" و" ولادة بنت المستكفى" .

وفي عصر نهضة الأدب بعد الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام كان من بين رواد النهضة الأدبية سيدات فاضلات من أبرزهن " ملك حنفي ناصف" و" عائشة التيمورية" وغيرهن، فبعد الحرب العالمية الأولى ظهرت إشكالية الكتابة النسوية العربية بوصفها مفهوما جديدا لافتا للنظر، و" له طبيعة جمالية تنبعث من خصوصية حياة المرأة الذاتية وعلاقاتها الاجتماعية، فهي مع هذا المصطلح خرجت من عصر الحريم المحجوب إلى عصر القلم باحثة عن الحرية. فكانت تعيش في الحريم حياة ترسمها صور الغانيات والجواري، والرجل لا يراها إلا متعة له، يبعدها عن ضياء العلم والحرية والسفور ويحيطها بسياج كثيف من الجهل والجمود، فلا يضنها أهلا لأي حق من حقوق الإنسان ثم إذ بها تواجه الدعوة لتحريرها علت بها الأصوات فوق المنابر، وفي صفحات الكتب في الشام ومصر، وإذا بها تبدأ طريقها إلى المدرسة، فإذا مضت في خطواتها تواجه الحياة لا تلبث أن تصطدم بكثير من المتاعب والآلالم والأحداث والأزمات، وإذا بها تجد قلمها لتصور حياتها وآلامها "([1]) وأعلنت التمرد على الرؤى الذكورية وسيطرتهم على العالم وعلى أساليبهم المهيمنة في كتاباتهم، ومن هذا التمرد أصبحت الكتابة النسوية إبداعا نابعا من شخصية المرأة المثقفة الثائرة على أحداث التاريخ الذي جعل منها ذاكرة دون فعل وعلى القيم الذكورية المهيمنة والمهمشة لها، ومر إبداعها بمراحل هي:

أ ــ بداية الكتابة النسوية " جيل الرائدات " :

برزت كتابة المرأة العربية مع ظهور الحركات النسوية التي مهد لها المصلحون النهضويون والصحافة والصالونات الأدبية والجمعيات النسائية حيث قدمت هذه العوامل سندا كبيرا للمرأة المبدعة ودعمتها للبوح بانشغالاتها وطرح أفكارها من خلال الكتابة .

ومن أهم العوامل التي ساعدت على تحرر المرأة وتقدم الحركة النسائية في الوطن العربي وخصوصا مصر كما أسلفنا الذكر البعثات العلمية التي كانت ترسل إلى الخارج للتخصص في مجالات مختلفة، فقد عاد المستفيدون منها بأفكار ورؤى جديدة ساهمت في تغيير الأوضاع الاجتماعية وأحدثت ثورة فكرية في المجتمع المصري، ولعل أهم هذه

[1] ــ حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث،الأردن، ط1، 2008،ص66.

الأفكار المطالبة بتغيير أوضاع المرأة، فهب المفكرون والمصلحون يتدارسون وضعها وبين مؤيد لتغيير وضعها ومعارض لذلك استفادت المرأة من تحريك قضيتها لأنهم أيقظوا الرأي العام وبينوا له أهمية هذه القضية و" قد تصدرت قضية المرأة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كل القضايا الاجتماعية لأنه بدون إصلاح وضعية المرأة ومساواتها مع الرجل لن يتحقق أي تقدم أو تغيير حداثي"([1])

ومع تجند النساء للكتابة عن هذه التغييرات واهتمامهن بهذه القضية ظهر جيل جديد وهو الجيل الذي عرف تطورا في أوضاع المرأة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فمع انتشار التعليم وتطور الإعلام والصحافة، تحررت المرأة من سلطة المجتمع، وشاركت الرجل في قضايا المجتمع والوطن، وعبرت عن تحررها من خلال الكتابة، فجاءت أول إرهاصاتها بسيطة عبرت عن واقعها مقتصرة فيها على البوح وكسر جدار الصمت أكثر من اهتمامها بالجانب الفني فـــ " التزمت المرأة العربية في كتاباتها الأولى بقضيتها أكثر من التزامها باحترام معايير الإبداع وأدواته، حيث شكلت الذات النسائية محور نصوص المرأة التي عجت بالحشو والوعظ والشكوى، وافتقرت أحيانا كثيرة للتصوير الصادق للأحداث والشخصيات، واستمدت جمالياتها من معين المشاعر والعواطف فقط لتعلن عن نفسها وتسمع صوتها، وتؤكد هوية التزام المرأة بقضاياها وقضايا المجتمع" ([2]) في هذه المرحلة لم تستطع المرأة الاستقلال عن الرجل والتخلص من تبعيته مما جعل أدبها يبقى بسيطا بوجه عام، ولم تكتب أدبا خاصا بها ومع ذلك استطاعت توظيف بعض الأفكار التحررية في كتابتها كموضوع الحب والجسد إلا أنها" بقيت في منأى عن ملامسة الجوهر الأنثوي وخصوصية تجربة المرأة حيث بقي انتاج الرجل مهيمنا على إبداعها إذ كان مرجعيتها الوحيدة ومرآتها التي ترى فيها نفسها"([3]).

ومن رائدات هذه المرحلة: عائشة التيمورية وكتبت (مرآة التأمل في الأمور) وزينب فوار بروايتيها:(حسن العواقب وغادة الزهراء 1988م)، ولبيبة هاشم بروايتها:(قلب

---

[1] ــ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي،ص123.

1 ــ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي ، ص142.

2ــ سعيد خالدة، المرأة التحرر الإبداع، منشورات الفنك، ط1،1991،ص11.

الرجل 1904م)، وفريدة عطية بروايتها: (بين عرشين1912م) وعفيفة كرم بروايتها:(بديعة وفؤاد 1906م)، ومي زيادة، وسهير القلماوي، وأمينة سعيد،....

ب ــ تطور الكتابة النسوية "الرفض والتحدي" :

عرفت فترة ما بين الخمسينات والسبعينات من القرن الماضي مرحلة جديدة في كتابة المرأة، مرحلة تمردت فيها على المجتمع الأبوي المتسلط وتصدت فيها لكل أساليب التهميش، متخذة الكتابة منبرا لإعلاء صوتها والتنديد بكل أشكال العنف الممارس عليها فعبرت كتاباتها عن مطالبتها بالتحرر والتعليم ومناقشتها لقضايا المرأة وعلاقتها بالرجل والمجتمع وتقاليده، فصورت فيها همومها وانفعالاتها وتطلعاتها، فعكست أفكار النهضة العربية بمشاركتها في الحركات الأدبية والثقافية والسياسية، ونجحت المرأة في التعبير عن ذلك بصدق لأنها تحدثت من منطلق مأساتها ومعاناتها، منتهجة الاحتجاج والرفض والتحدي الذي كان" وليد الصراع الذي فرض على المرأة معايشته، فتمردت محاولة تخطي الحواجز التي سيّجها بها المجتمع، مقدمة الصورة المفتقدة لعالمها الوجداني، وهي الصورة التي احتكر الرجل تقديمها وفق استيهاماته منذ أمد طويل، فكانت كتاباتها تحد لهذا المجتمع الذكوري وثورة ضد ثقافته التي لا تعترف بحضورها، ورفضا لكل الحدود المفروضة عليها "([1])، عرفت هذه المرحلة نضج فكري وفني عند العديد من الكاتبات العربيات أمثال: ليلى بعلبكي، كوليت خوري، لطيفة الزيات، إميلي نصر الله، منى جبور....إلخ

ج ــ وعي المرأة و نضج الفكر النسائي: واصلت المرأة العربية الكتابة مستفيدة من تجارب المرحلتين السابقتين مطورة فكرة الكتابة النسائية، وقل في كتابتها الاهتمام بمشاكلها الخاصة وركزت على الجانب الفني بصفة أكبر، ولعل بداية هذه المرحلة من الكتابة النسوية ارتبط بنهاية الفترة الاستعمارية وبفترة ما بعد الحداثة، وعرفت المرأة العربية في الفترة الاستعمارية تهميشا مضاعفا، رغم حضورها المكثف ومشاركتها في مقاومة الاستعمار ، فكانت حقوقها مهضومة، والمفارقة أنها لم تنل أيا من هذه الحقوق بعد الاستقلال، فسيطر الرجل على مواقع السلطة وتم تهميش النساء في النشاطات السياسية

1 ــ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي، ص152.

وفي الخطابات الوطنية، ومع انبعاث الحركات النسوية في الغرب برز الأدب النسوي الذي كان يعرف الذات الأنثوية، ويعمل على إعادة البناء التاريخي ف" قد ركزت الكاتبات على وضعهن بعد الاستقلال إذ رأين أنفسهن مستعمرات دائمات التعرض للغزو وأنهن لم يتحررن من الاحتلال الذكوري، فحاولن في كتابتهن المابعد استعمارية استعادة تقاليد شفاهية مقموعة، وتواريخ نصف منسية، ولغات خاصة غير مدونة، ولحظات من المقاومة النسائية غير المعترف بها، أو التي تم التعبير عنها بأقل حقيقة، وقد أضفن إلى الاهتمام المابعد استعماري بالتعددية، مفهوما عن القوة النسوية، وعن امتلاكهن قوة الإفصاح عن الذات" ([1])

إذن أثارت كاتبات هذه الفترة قضايا الحرب والتحرير الوطني، إلى جانب قضاياهم، فالثورة لتحرير الوطن لا تلغي الثورة لتغيير حال المرأة التي تعيش القهر المزدوج ، فلم تتوقف عن تصوير أزمتها كأنثى حتى بعد الاستقلال، وخيبة الأمل التي اصطدمت فيها المرأة بواقع مر في مجتمع طبقي أبوي وتميزت كتاباتها بطابع توثيقي للأحداث وعملت على تدمير الخطاب التقليدي وإيديولوجيته في المجتمع الأبوي. ومن كاتبات هذه المرحلة :حنان الشيخ، ليلى أبو زيد، سحر خليفة، أحلام مستغانمي سعاد الصباح ، ليلى العثمان .... إلخ

كما عرفت هذه المرحلة نوعا آخرا من الكتابة النسوية وهي ما يعرف بكتابة الهجرة، هذا الأدب المتعدد اللغات الممتزج مع عدة ثقافات، وهو في أغلبه أدب قومي يطمح لتحسن ظروف الوطن ويعيش ظروف الاغتراب وصعوبة التآلف مع الواقع الجديد ومن كاتبات الهجرة نجد: رضوى عاشور،آسيا جبار،حميدة نعنع....إلخ تعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل التي عرفها الأدب العربي بعد النهضة، والأكثر خصوبة، وتتميز" بتعدد روافد الوعي النسوي، مع حضور الثقافة السائدة، والتفاعل معها بالإضافة إلى تميّز الثقافة الجديدة التي قدمت نظرة مغايرة للواقع مما جعل كتابات هذه المرحلة الأكثر غنى وتعقيدا" ([2])

2ــ المرجع نفسه، ص167.

[2]ــ برادة محمد، أسئلة الرواية أسئلة النقد، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، المغرب، 1996،ص445/444.

3 ــ المرأة الجزائرية والكتابة:

عاشت المرأة الجزائرية فترة من الضعف والتخلف بسبب حرمانها من التعليم ووضعها على هامش الحياة العامة، فأكثر آفة أصابت المرأة العربية عموما والجزائرية على الخصوص، هي الجهل والأمية اللذان فرضا عليها وحصرا وظائفها في الإنجاب والتربية والطهي، وأدى ذلك إلى تخلفها الفكري والذهني وإلى تدهور أوضاعها الاجتماعية.

هذه الظروف لم تمنعها من أداء واجبها، فسجلت اسمها في التاريخ كمناضلة وبطلة إلى جانبه في عالم النضال والثورة، فكان لمشاركتها هذه الأثر الكبير على حياتها وحققت شهرة ومكانة بفضل جهودها وعملها، والتاريخ يذكر أسماء مثل: حسيبة بن بوعلي وريدة مدّاد، مليكة قايد، جميلة بوعزة، جميلة بوحيرد وغيرهن كثيرات، حققت المرأة الجزائرية خطوة كبيرة في تغيير مصيرها بمشاركتها في تحرير الجزائر، لكن لم تتعدى هذه الخطوة إلى مشاركات أخرى، وما يهمنا هنا هو الجانب الإبداعي والأدبي فمن يطلع على خارطة الأدب العربي المعاصر يدرك خلو الساحة الأدبية من الصوت النسائي وحتى بعد الاستقلال بقيت المرأة الجزائرية بعيدة عن الساحة الأدبية إلى غاية السبعينات وظلت الرواية غائبة حتى عام 1979 لتطل علينا رواية "من يوميات مدرسة حرة" لزهور ونيسي، وكان هناك مشروع رواية في أدب الراحلة (زليخة السعودي) ، إلا أن رحيلها حال دون ذلك، ولم تذكر الكتب التي تناولت الأدب الجزائري اسم شاعرة أو أديبة سوى"زهور ونيسي" وكان ذلك مرورا عابرا، وإن كانت هناك كتب تناولت الأدب الجزائري بالفرنسية وتعرضت للأديبات الجزائريات اللواتي يكتبن باللغة الفرنسية من أمثال أسيا جبار، نادية قندوز، صفية كتو... ([1]) .

أهملت الكتب التي تتحدث عن الأدب الجزائري الإبداع النسائي على اعتبار أنه يكاد يكون معدوما، إلا بعض المبادرات التي حاولت تخطي حواجز التقليد، وحتى الأسماء التي اقتحمت هذا المجال نشرت أعمالها تحت أسماء مستعارة، أو تشير لأسمائها برموز

1ــ أحمد دوغان، في الأدب النسائي الجزائري المعاصر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مركب الطباعة،الرغاية الجزائر،1982، ص8.

خوفا من مجتمع يعتبر إبداعها خروج عن التقاليد ولا يستحق الاهتمام وكان هذا في فترة السبعينات، هذه الفترة عرفت مشاركة فعلية للمرأة في الميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ونالت فيها الكثير من حقوقها، لكن هناك فرق بين ما يشرع وبين ما يطبق على أرض الواقع.

بمرور الوقت عاشت الجزائر مرحلة تحول وانفتاح، وتوسعت مشاركة المرأة في جميع الميادين منظرة ومطبقة، وأسست لنفسها مكانة مهمة على كل الأصعدة، وانعكس هذا على إبداعها فقدمت الكثير من الأعمال داخل الوطن وخارجه، ولمعت أسماء كثيرة مثل: **آسيا جبار، أحلام مستغانمي، وربيعة جلطي وزينب الأعوج، وفضيلة الفاروق** وغيرهن من الكاتبات والأديبات اللواتي شكلت كتابتهن استمرار لأدب مازال يتطور ويتوسع مع مرور السنين.

وللتعبير عما وصل إليه الأدب النسوي الجزائري من تطور وتغيير أثرنا الحديث عن روائيتين جزائريتين تعدان من أهم الكاتبات في الجزائر والوطن العربي وهما الروائية آسيا جبار، وذلك من خلال دراسة روايتها " **بعيدا عن المدينة**" **و الروائية أحلام مستغانمي من خلال دراسة روايتها فوضى الحواس.**

1ــ آسيا جبار: كاتبة جزائرية اسمها الحقيقي فاطمة الزهراء إيمالاين، ولدت سنة 1936 بمدينة شرشال غرب الجزائر العاصمة، حيث تلقت دراستها الأولى في المدرسة القرآنية في المدينة قبل أن تلتحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية في مدينة موزاية ثم البليدة فالجزائر العاصمة، شجعها والدها على إتمام دراستها، فتابعتها في فرنسا وشاركت في إضرابات الطلبة الجزائريين الداعمين للثورة الجزائرية والمطالبين باستقلال الجزائر مارست الكتابة الأدبية والمسرحية والإخراج السينمائي بنجاح، ونشرت أول أعمالها الروائية بعنوان" العطش" وذلك سنة 1953، ولم تتجاوز العشرين من العمر، عملت آسيا جبار بعد الاستقلال كأستاذة لمادة التاريخ في جامعة الجزائر العاصمة، وصحفية في جريدة المجاهد، هاجرت إلى فرنسا عام 1980 حيث بدأت كتابة رباعيتها الروائية المعروفة (نساء الجزائر،ظل السلطانة، الحب والفنتازيا بعيدا عن المدينة)، وفي فترة العشرية السوداء التي عاشتها الجزائر كتبت أعمالا روائية أخرى منها:(الجزائر البيضاء ووهران...لغة ميتة) وفي الحب كتبت (ليالي ستراسبورغ)، اختارت شخصياتها من العالم النسائي ومزجت بين الذاكرة والتاريخ ولها أعمال أدبية أخرى، آسيا جبار أول امرأة جزائرية تنتسب إلى دار المعلمين في باريس عام 1955، وأول أستاذة جامعية في الجزائر ما بعد الاستقلال في قسم التاريخ والآداب، وأول كاتبة عربية تفوز سنة 2002 بجائزة السلام التي تمنحها جمعية الناشرين وأصحاب المكتبات الألمانية، ونالت العديد من الجوائز، وفي سنة 2005 انتخبت بين أعضاء الأكاديمية الفرنسية لتصبح أول امرأة عربية وخامس امرأة في العالم تدخل هذه الأكاديمية، شغلت منصب أستاذة تعليم عالي بجامعة نيويورك، وقد رشحت أعمالها لنيل جائزة نوبل للآداب سنة2009.

ــ آسيا جبار بأي لغة تكتب؟

شكلت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ظاهرة ثقافية ولغوية متميزة أثارت حولها جدلا كبيرا بين النقاد والدارسين، فمنهم من يعتبرها رواية عربية مكتوبة بالفرنسية، على أساس أنه رغم أن لغة الكتابة أجنبية، إلا أن المواضيع المكتوب عنها مواضيع مرتبطة بحياة المواطن الجزائري، وبالمجتمع الجزائري وثقافته، ومنهم من يعتبر أن اللغة هي المرجع الأول الذي يعبر عن الهوية الأدبية لأي كاتب، وأن هذه

الكتابات تستعمل لغة المستعمر، لكن بالنظر إلى الواقع، الإبداعات المكتوبة باللغة الفرنسية في الجزائر لاقت نجاحا وصدى كبيرين مقارنة بنظيراتها المكتوبة باللغة العربية. واللغة التي تبدع بها الروائية آسيا جبار هي اللغة الفرنسية، وهذا يدفعنا لطرح عدة تساؤلات، **فهل استطاعت الكاتبة التعبير عن تجارب الذات وذاكرة بلدها وأزماتها بلغة الآخر؟ وهل كانت هذه اللغة وسيلة للتحرر من مجتمع لا يقدر إبداع المرأة؟ هل كانت اللغة الفرنسية مهربا لآسيا جبار من واقع يعتبر التغيير فيه عبثا؟**

استعمال آسيا جبار للغة الفرنسية كوسيلة للتعبير عن إبداعها لم تجعلها تبتعد عن القضايا الجزائرية التي تتعلق بالجانب الاجتماعي، والإنساني للمواطن الجزائري، ولم تخلو رواياتها من تسليط الضوء على تفاصيل ونضالات المرأة الجزائرية في حياتها اليومية بحلوها ومرها ، وهي تطرح تلك القضايا في سياق أوسع يشمل القضايا الإنسانية كإشكاليات التحرر والاستقلال، والثقافة واللغة، والانتماء....إلخ، فآسيا جبار من الروائيات اللواتي يتميزن بالشجاعة في الكتابة المدافعة عن القيم والحقوق، فكان صوتها صوتا ثائرا على الاستعمار ومصادرة الحرية الفردية والجماعية، إلى جانب اهتمامها بالتاريخ الجزائري والعربي والإسلامي، واكبت الأحداث التي عاشتها الجزائر خلال الفترة الاستعمارية وما بعدها، إضافة إلى ما عاشته خلال العشرية السوداء، فكانت كتاباتها تحمل رسائل تدعو إلى السلام والمساواة وحقوق المرأة في العالم الثالث والعالم الإسلامي.

كما تبحث آسيا جبار في حقل معرفي يكتسب مصداقيته العلمية والتاريخية من مرجعيته العربية ، وقضية الاستعمار وسبل التخلص منه ومن آثاره السلبية(القمع والقهر والإلغاء) على المجتمع الجزائري كانت من أهم القضايا التي عالجتها، لكنها عاشت تناقضا كبيرا حين اضطرت للتعبير عن كل هذا بلغة المستعمر.

والكتابة بلغة المستعمر للتعبير عن وحشيته وإساءاته يشكل جدلية، فهي ابنة الجزائر وتتعاطف مع قضايا هذا البلد وتسرد تاريخه وتاريخ نسائه بلغة أجنبية عنهم، **فما الدافع وراء ذلك؟**

آسيا جبار تعيش ازدواجية لغوية وثقافية، وتفضل الكتابة باللغة الفرنسية،حيث صرحت في حوار لها أنها تفضل الكتابة باللغة الفرنسية لأن لغتها العربية بدائية للغاية، ففي الوقت

الذي ولدت فيه كان النخبة من المسلمين الجزائريين يرسلون أولادهم للمدارس لتعلم الفرنسية كي يواصلوا تعليمهم في الجامعة ويصبحون أطباء أو أساتذة([1]) ، وهي ترى اللغة الفرنسية تحرر وأسر في آن واحد، تحرر من قيود مجتمع يقهر المرأة ويعيق تقدمها عن طريق التحرر من لغته، فقد وجدت في اللغة الفرنسية متنفسا للتعبير بحرية دون التفكير في قيود ومحرمات المجتمع، فهي تقول" إن الكتابة الحقيقية والمؤنثة في بلد مسلم لا يمكنها أن تتعمق ولا أن تتطور إلا انطلاقا من جسد المرأة المحرر ــ أو الذي هو في طور التحرر"([2])، فالكاتبة تعتقد أن اللغة الفرنسية باعتبارها لغة خارج المجتمع الجزائري وخارج الإسلام، تسمح لها بالخوض في مواضيع متعلقة بالمجتمع المسلم بحرية أكبر.

وإضافة إلى هذا لا يمكننا أن نغفل جانبا مهما وهو تكوين أسيا جبار وتعليمها الذي كان باللغة الفرنسية، والتي تلقتها أولا عن أبيها الذي كان يهتم بهذه اللغة وفي المدارس الفرنسية آنذاك، وفي المقابل اكتسبت اللغة العربية من البيئة التي تربت فيها (لغة الأم) فهي تقول" ولدت في الجزائر في وقت كانت مستعمرة فرنسية، والدي كان معلم لغة فرنسية، في الحقيقة كان جزائريا يتحدث بالعربية في المنزل، وفي الوقت نفسه معلما يدّرس الفرنسية للتلاميذ، في البداية كنا نعيش في قرية صغيرة نائية وسط الجبال، هناك كان والدي يعلم الفرنسية. ولقد تعلمنا الحديث والكتابة بها في المدرسة، ولكن في المنزل عندما تتحدث أمي بالعربية كان جميعنا يتحدث بها، أما بخصوص العربية كان من النادر أن تجد أحد في بلدتنا يمكنه الكتابة بها، بعد ذلك عندما بدأت أسافر لبلدان أخرى وجدت أن الوضع عندنا مشابه لما عليه الحال عند جيراننا في تونس والمغرب، باستثناء أنهما كانتا أثر استقلالية عن فرنسا من الجزائر التي كانت تحت سيطرة حازمة كمستعمرة فرنسية حقيقية، فدخولك المدارس كان يعني أنه لا مفر من تعلم الفرنسية"([3]) وهي تعتبر العربية لغة منهزمة تعيش انكسارات المرأة في مجتمع يستلذ بصمتها وحجبها، ويعطي فرصا أكبر للذكر ليبرز فحولته و يعبر عنها، ولهذا اختارت الكتابة باللغة الفرنسية فهي

---

[1] ــ حوار مع الخالدة، حديث عن قضية اللغات مع آسيا جبار، حاورها : **Andelman David** ، ترجمة محمود حسني .www.alketaba.com

[2] _ Assia Djebar ,Ces vois qui m'assiègent ,Albin Michel , 1999,p28 .

[3] ــ حوار مع الخالدة، حديث عن قضية اللغات مع آسيا جبار، مرجع سابق.

تقول" أنا كاتبة امرأة و ليس لدي سوى كتابة واحدة ،أي كتابة فرنسية فأنا أقدم نفسي دائما لأول وهلة ككاتبة، كروائية لا تحمل إلا لغة واحدة هي اللغة الفرنسية" ([1])، فالكتابة بالنسبة لآسيا جبار تحرر، وهذا التحرر لم تجده في اللغة العربية وإنما في اللغة الفرنسية التي تمكنت من تحويلها إلى حجاب تتواري من خلاله عن أعين الذين يعانون عقد فكرية رهيبة.

والكتابة باللغة الفرنسية عند آسيا جبار تشبه استعمالها لاسم مستعار، فهي في كليهما تتحرر من مجتمع يهين المرأة ويستهين بقدراتها، فلا تستطيع أن تكتب فيه دون التعرض للرفض والنقد، والاسم الحقيقي يكبح حريتها في الكتابة والبوح ، إذا تحرر آسيا جبار تحررمزدوج يعود الفضل فيه للغة الفرنسية والاسم المستعار، لكن رغم هذه المبررات التي طرحتها الروائية سببا لكتابتها باللغة الفرنسية يبقى دائما التساؤل **هل نعيب عليها استخدام لغة الآخر والتخلي على لغتها الأصلية ؟** .

رغم بعض الاعتبارات نحن لا نرى في ذلك حرج في ظل مجتمع جزائري لم يستطع التخلص من رواسب الاستعمار وآثاره وأهمها "اللغة"، فالجزائري إلى وقتنا هذا لم يمتلك لغة واضحة تمكنه من التواصل والتفكير والإبداع ضمنها، فنحن نستعمل (البربرية والعربية والفرنسية) في آن واحد.

ــ خصوصيات الكتابة عند آسيا جبار:

تتميز الكتابة عند آسيا جبار بمجموعة من الخصائص منها:

ــ التعبير عن الجسد والبوح بمكنونات "الأنا"، والعلاقات العاطفية، كما تتميز بالتعدد الصوتي واللغوي(العربية العامية الأمازيغية) .

ــ التنويع في مستويات السرد والكتابة والتقاطع بين الماضي والحاضر، ويعود هذا التأثرها بتقنية الإخراج السينمائي.

ــ الاهتمام بالتراث الجزائري والذاكرة الشعبية ــ ذاكرة الأسلاف ــ والتي تعتبرها أداة حاسمة في نقل التراث الشفوي، وربط الحاضر بالماضي.

ــ ما يلفت الانتباه في أسلوب آسيا جبار هو اعتمادها على طريقة العرض والمقارنة في تقديم شخصياتها فعلى سبيل المثال تقوم برسم ملامح المرأة الواعية، السلبية واللامبالية

[1] _ Assia Djebar ,Ces vois qui m'assiègent. p47.

وعلى المتلقي أن يصدر حكمه على هذه النماذج النسائية في رواياتها. كما أنها تتبع نفس الأسلوب مع شخصياتها من الرجال، فهي تحرص كل الحرص على أن تقدمهم كما هم فعلا بنقاط شغفهم ومزاياهم، فلا نجد أحدهم مثاليا والآخر شخصية غير واقعية.

ــ تتميز كتاباتها بالحداثة في الأسلوب والمضمون على الرغم من تمسكها بالتقاليد العريقة للمجتمع الذي تنحدر منه، وبصفتها أستاذة في التاريخ، غالبا ما تسلط الأضواء على تلك التقاليد، كما تبرز أعمالها ما تمثله من تعدد الهويات (امرأة مغربية فرانكوفونية).

ــ المرأة في كتابات آسيا جبار:

الشخصيات في أعمال آسيا جبار الروائية معظمها نسائية مزجت فيها بين الذاكرة والتاريخ و دافعت من خلالها عن قيم وحقوق المرأة الجزائرية، فهي عبرت عن المرأة (الريفية، الفقيرة، الموظفة، الطالبة، ربة البيت.....) كإنسان وكائن فهي تقول" الكتابة أرجعتني إلى صرخات النساء الثائرات في صمت، إلى أصلي الوحيد، الكتابة لا تقتل الصوت بل توقضه، وتوقظ على الخصوص أخوات عديدات تائهات"([1])، وكضحية اجتماعية جلادها الرجل والسلطة والمجتمع، فكانت الصوت الناطق باسم المرأة الضعيفة الخاضعة للقيود، وأيضا المتمردة الرافضة التي تحقق هدفها عبر صفحات رواياتها ولتقصي هذا قمنا بدراسة رواية" بعيدا عن المدينة" للكاتبة:

ــ رواية "بعيدا عن المدينة"Loin de Médine " :([2])

صدرت هذه الرواية سنة 1991 و تناولت الوضع السياسي الذي عاشته الجزائر في تلك الفترة أو ما يعرف "العشرية السوداء"، فترة عرفت أحداث استثنائية في الجزائر وهي صعود التيار الإسلامي والأزمة الاقتصادية الحادة التي عاشتها والتي أسفرت عن خروج المواطنين في مظاهرات حاشدة تعبيرا عن استيائهم من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وعرفت هذه المظاهرات مشادات عنيفة أدّت إلى وقوع خمسمائة قتيل.

صعود التيار الإسلامي في الجزائر شكل خطرا كبيرا على المجتمع الجزائري ،هذا التيار الذي لم يكن يؤمن إلا بأفكاره ويعادي كل من كان يخالفه، وأكبر ضحاياه المرأة

---

[1] ــ سماح بن عبادة، صحيفة العرب، العدد 9375، نشر في 2013/11/10، ص20.

2ــ القصص المسرودة في هذه الرواية كثيرة، اخترنا بعضا منها في دراستنا هذه.

التي حسب رأيه يقتصر دورها في المكوث في البيت، وإنجاب الأطفال وتربيته ومرجعيتهم في ذلك دينية و شرعية.

تضييق الخناق على المرأة ومحاصرتها ألهم آسيا جبار في كتابة روايتها هذه حيث عملت على استحضار واستقراء النصوص التاريخية القديمة والمتمثلة في" تاريخ الطبري وابن سعد، وسيرة ابن هشام" قصد تفكيكها والاستشهاد بنصوصها، وتوظيفها لإخراج المرأة من دائرة الإقصاء والتغييب، وإعطائها الفرصة لإثبات وجودها وفرض مكانتها في المجتمع، ولطالما كان هذا هدف الروائية من خلال كتابة هذا العمل ومعظم أعمالها الأخرى، فبعيدا عن المدينة(المنورة) يوحي أن الكاتبة لا تعتمد في روايتها على التاريخ الرسمي الذي كتبه المؤرخون المسلمون، وإنما تقوم بإعادة النظر في رواياتهم حول تاريخ المرأة في الإسلام، واضعة إياها موضع تساؤل وشك. وتناولت قراءتها الكثير من الأحداث المهمة في التاريخ، مثل حادثة الإفك وبعض الأحداث الشهيرة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، وتولي أبي بكر الصديق الخلافة وظهور حركة الردة، ومدّعو النبوة مثل "مسيلمة و سجاج"، وقامت بطرح العديد من الأسئلة دون أن تجيب عنها، أو تحدد موقفها منها، تاركة القارئ يملأ بعض الفراغات ويستدرك المسكوت عنه.

وبعد استقراء هذه الأعمال وجدت آسيا جبار أن المرأة غيبت فيها فلا تكاد تراها إلا في إشارات عابرة تظهر فيها دائما كضحية، حيث " تشكك الروائية في حقيقة الصورة التي رسمها المؤرخون المسلمون للمرأة ، وتعتبر ما أوردوه عنها مجرد تحامل عليها فلا يذكرونها إلا ذكرا عابرا، مغمطين حقها ودورها في صناعة التاريخ جاعلين منها مجرد متاع للرجل"([1])، هذا التاريخ الذي أجحف حق المرأة مقابل تعظيمه للرجل حمل معه هذا التمييز طيلة عصور من الزمن، إذا إعادة قراءتها لهذه النصوص أبرز سيطرة الفكر الذكوري على الأمة العربية وتغييب المرأة.

غاية آسيا جبار من قراءة هذه النصوص ليس الاستشهاد بها، وإنما مناقضتها والبحث عن الجزء المغيب من تلك النصوص، وإعادة كتابته عن طريق التشكيك في بعض حقائقها ونقدها، وإعطاء رؤية مغايرة لها، تظهر فيها المرأة بصورة جديدة

1 ــ بولفعة خليفة، الهوية والمرأة في أدب آسيا جبار تفكيك النسق وكسر المحظور، مجلة الأثر،ع21،ديسمبر 2014 ص 168.

صورة إيجابية وفعالة إنه " بكل بساطة نص يبحث في المسكوت عنه في التاريخ الإسلامي ، ليتخذ من النقطة التي يتوقف عندها المؤرخ حافزا للبدء في كتابة نص مواز يعيد تأنيث ذلك التاريخ مستعينا بعنصر الخيال" ([1])

يتحكم حسب رأي آسيا جبار في هذه النصوص النسق الذكوري في طرح الأخبار، فتلجأ الكاتبة إلى الخيال لتغيير مسار النص وسد ثغراته، ففي قصة أوردها الطبري عن ملكة يمنية تزوجها شخص اسمه "أسود العنسي" بعد أن قضى على زوجها حاكم اليمن "شهر" ظهرت الملكة اليمنية في هذه القصة بصورة الضعيفة والسلبية، العاجزة عن تغيير مصيرها (غنيمة حرب)، وتساءلت آسيا جبار بعد استعراض هذه القصة عن سبب زواج "أسود" من الملكة اليمنية في الوقت الذي كان بإمكانه أخذها سبية وجارية " لماذا تزوجها هل لكونها فقط جزءا من الغنيمة، وهو ذلك البدوي الذي لا يزال مغطى بالغبار، هي الأكثر شبابا وجمالا بين النساء، فريسة مدهشة؟ لكن كان بإمكانه أخذها دون أن يتزوجها ربما لم تبدي أي مقاومة برؤية محسوبة العواقب أو بفضول، أو ربما كما افترض الطبري"بسبب الخوف" الخوف من أن يغادرها سريعا" . ([2])

وجدت آسيا جبار أن الملكة اليمنية أعجبتها شجاعة وقوة "أسود" وانتصاراته أغرتها وأنستها حزنها على زوجها ([3])، وتمزج خيالها بهذا الواقع قصد تأنيث هذه القصة فتقلب الأحداث وتعيد تفسير المعطيات التاريخية حيث " إنها تدعونا للدخول في إطار التخيلي هذا الإطار نفسه الذي سمح للروائية بوضع المرأة في موضع القوة، في الواقع منذ اللحظة التي ترفض فيها أن تكون هذه المرأة قد خضعت عن خوف"([4])

ويأخذنا خيال الكاتبة إلى الابتعاد عن المعطيات التاريخية في تفسير موقف الملكة اليمنية التي تآمرت على "أسود" لاستعادة كبريائها والثأر لأنوثتها، فكانت مؤامرة بدهاء أنثى مجروحة، فتفوقت على "أسود".عزى الطبري هزيمة"اسود" إلى كونه دعّي ولعن من قبل رسول الله صلى لله عليه وسلم، وكذلك بسبب تأثير شرب الخمر عليه و لم يذكر الملكة

1ــ شهرة بلغول، كتابة التاريخ من منظور نسوي، دراسة في رواية آسيا جبار "بعيدا عن المدينة"، عود الند ، مجلة ثقافية شهرية إلكترونية، نشر عدلي الهواري، س7،ع 83 ،ص2.

[2]_ Assia Djebar ,Loin de Médine , Ed Albin Michel , Paris,1991,p20 .

[3] _ Ibid,p20 .

[4] _ Jamal alsheibani , Réécrire l'histoire au féminin ,les enjeux idéologiques poétiques de la narration dans Loin de Médine, thèse de doctorat ,université de Cergy pontoise ,2009,p54.

اليمنية فبقي مصيرها غامضا واختفت من أحداث القصة، فأعادت آسيا جبار دور وفعالية للعنصر النسوي وذلك بالاستعانة بالخيال قصد إعطائهن مكانة ضمن تاريخ همشهن.

وتتوالى القصص في كتاب الروائية آسيا جبار فتورد قصة "سجاج" المرأة التي ادعت النبوة، ومسيلمة الكذّاب من نصوص الطبري، "سجاج" هذه المرأة التي ذاع صيتها واستطاعت جمع تأييد القبائل لها (ثغلب و ربيعة) ، وذكاؤها وصواب رأيها دفعا مسيلمة الكذاب إلى الزواج بها ولم يذكر الطبري تفاصيل كثيرة عن مصير هذه المرأة بعد ذلك.

رغم أن الطبري تحدث عن شخصية " **سجاج**" الفذة وقوتها التي تظهر في سحر الكلمة والإقناع، إلا أنه لم يتكلم عنها بشكل واضح يسمح لنا بمعرفة الخطر الذي شكلته على الإسلام آنذاك، فلم يتحدث كثيرا عن تفاصيل حياتها، وركز على الجانب العاطفي الضعيف فيها وهو تأثرها بجمال مسيلمة والاستسلام له، مقدما نموذجا عن المرأة التّي مهما بلغت قوتها تضعف أمام سيطرة الرجل.

تناقض آسيا جبار طرح الطبري عن "سجاج" وتشكك فيه فتقول" كيف لسجاج التي أخضعت قبائل العرب أن تفتتن بجمال مسيلمة، فبإمكانها أن تجد من هو أجمل منه لإرضاء أنوثتها" ([1]) وتساءلت عمّا كانت تبحث عنه " **سجاج**" بزواجها من مسيلمة؟ وتفترض آسيا جبار أن غرضها من هذا الزواج هو مقابلة هذا الدّعي كند له، وترى عكس ما رآه الطبري من أنها فتنت به، فتقول أنه خضع لها مثل غيره من الرجال تحت تأثيرسحرها([2])

لكن زواج" سجاج " الذي دام لساعات جعل مناصريها ينصرفون عنها، لضعفها أمام رغبتها وخضوعها له، هذا التصرف مرده إلى العقلية العربية التي ترفض ولاية المرأة لضعفها ولطبيعتها البيولوجية.

انتقدت الكاتبة طريقة الطبري في سرد الحقائق لكونه لم يقدم صورة واضحة عن المرأة وذلك بالتقليل من حضورها مقارنة بالحضور الذكوري، فالمؤرخ حسب رأيها يبقى مقيد بعقلية الجماعة التي يعيش فيها، فيبرز ما يريد النظام أن يظهر ويسكت عن ما يتعارض مع النظام وتتحفظ عليه الجماعة، وتنبهت الكاتبة لمثال هام في التاريخ الإسلامي

[1] _ Assia Djebar , Loin de Médine , p 46.

[2] – Ibid.p47

يثبت نظرتها هذه، فهي تقول أن ذكر المؤرخين في مؤلفاتهم لفاطمة رضي الله عنها لا يتعدى كونها أم الحسن والحسين.

القصص التي عرضتها في روايتها " بعيدا عن المدينة " عديدة حاولنا التعرض لبعضها، ولاحظنا أن آسيا جبار تشتغل على تفكيك الخطاب التاريخي بقلب مركز ثقله من خلال إعطاء الأولوية للهامشي فيه، والانطلاق من النقطة التي يتوقف عندها المؤرخ لإعادة تأنيث ذلك الماضي، إنّ رواية " بعيدا عن المدينة نص يعيد تأنيث صفحات التاريخ الإسلامي" بأن يجعل من الهامشي في كتب المؤرخين مركزا فاعلا ومحركا لما حوله وذلك بالاستناد إلى رؤيا ومنظور مغاير، بذلك يتم تفعيل الاجتهاد الذي تم تعطيله منذ القرون الأولى، فآسيا جبار تجاهد مجاهدة الصوفي، لتستكمل ما خفي من خلال استقراء وتأويل الآثار المكتوبة مع شحذ قدراتها الحدسية لتجسيد فجر الإسلام" ([1]) .

تميزت هذه الرواية بكثرة توظيف أسلوب الاستفهام، فالكاتبة في كثير من الأحيان تتبع الأحداث التاريخية من خلال طرح العديد من الأسئلة التي تسعى من خلالها الكشف عن المسكوت عنه والمغيب في النص التاريخي، وذلك لفتح المجال لتصور الموضوع من وجهة نظر مختلفة، ونلمح ذلك في العديد من المقاطع، فمثلا تتساءل الكاتبة عن السبب الذي جعل فاطمة مغيبة في كتب التاريخ ماعدا كونها أم للحسن والحسين " لماذا لم ترد الإشارة إلى فاطمة في كتب المؤرخين إلا بوصفها أما للحسن والحسين" ([2])، وفي موضع آخر في قصة الملكة اليمنية تتساءل " لماذا تزوجها ؟ فقط لكونها جزءا من الغنيمة، هو ذلك البدوي الذي لا يزال مغطى بالغبار، هي الأكثر شبابا وجمالا بين النساء فريسة مدهشة ؟...." ([3])

إن الهدف من وراء توظيف الكاتبة لهذا الأسلوب هو لفت انتباه القارئ ودفعه للمساهمة في إعادة تشكيل النص، وسد الثغرات الفارغة والمعتمة فيه، والابتعاد عن كونه مجرد متلقي سلبي وخاضع لسلطة التاريخ، وهذا الأخير مجرد نص ثقافي بالدرجة الأولى أسهمت مجموعة من الأفكار الاجتماعية والسياسة في تشكيله، وعملت على إضفاء طابع

2ــ فريال جبوري عزول، الرواية الصوفية في الأدب المغاربي، مجلة البلاغة المقارنة ، الأدب والأنتروبولوجيا فــي إفريقيــا،ع 17،1997، ص42.

[2] _ Assia Djebar , Loin de Médine , p 61.

[3] Assia Djebar , Loin de Médine, p 61.

القدسية عليه بمرور الزمن،حتى أصبح يخيّل لنا أنه نص مقدس يحمل الحقائق فقط ، لكن الواقع يقول أن التاريخ صناعة بشرية توجهها الايدولوجيا بشكل رئيسي، فلا يمكن أن نقول أن التاريخ محايد .

أن ما تعيبه الكاتبة على المؤرخين هو اختزالهم للحضور النسوي باعتباره عنصرا ثانويا ليس له دور وفاعلية في التاريخ، ويظهر ذلك في عدم الإطالة في ذكرهن، وفي الحديث عن التفاصيل المتعلقة بهن، كما أن حضورهن مرهون بشخصيات ذكورية تشكل محور السرد التاريخي، واتخذت آسيا جبار من هذا الأمر حافزا للدفاع عن هؤلاء النسوة وإخراجهن من الهامش إلى المركز، مستعملة في ذلك الخيال الذي سمح لهن احتلال موقع الصدارة.

وخلاصة القول لم تخلو روايات آسيا جبار من حضور المرأة الجزائرية، حيث حرصت على إعطائها أدوار البطولة في أغلب رواياتها، وفتحت المجال لها للتعبير عن واقعها وأحلامها، وعن قلقها من أوضاعها الحياتية، وخوفها من مجتمع همه الوحيد طمسها وإسكات صوتها، فكان همها تحرر ألسنة النساء، وإخراجهن من سطوة مجتمع يتحجج في كبتهن بقوانين وأعراف اجتماعية وأخلاقية ودينية من اختلاق الرجل، فأبرزت دور المرأة في مكافحة الاستعمار وفي الحفاظ على تراث بلدها ناقلة إياه من جيل إلى آخر، فرغم تهميشها ونبذها تظل الحافظة لذاكرة مجتمعها وثقافته ولغته، فكان لأسيا جبار الفضل في إخراج المرأة الجزائرية من دائرة تغييب المجتمع إلى دائرة إثبات الوجود في السرد ــ على الأقل ــ ومنحها فرصة التعبير عن خيبتها وانكساراتها على مدى التاريخ، فوعيها بوضعها وإدراكها له يعد نقطة انطلاق للتغيير، لتغيير وضعها في المجتمع وتحسينه.

ـ **أحلام مستغانمي:** كاتبة جزائرية ولدت بتونس سنة 1953 وترعرعت في كنف أسرة ثورية، هاجرت بسبب الاستعمار، ثم عادت إلى الجزائر بعد الاستقلال، واستقرت بالعاصمة، كانت أحلام مقربة من أبيها المناضل فعايشت كل المراحل التاريخية والسياسية التي عاشتها الجزائر وتأثرت بها، وهذا ما جعل قلمها يعبر عن كل القضايا الوطنية والقومية.

عرفت أحلام مستغانمي من اشتغالها في الإذاعة الوطنية، حيث قدمت برنامجا شعريا بعنوان " همسات" لمدة ثلاث سنوات وهي لا تزال طالبة بالمرحلة الثانوية، وقد نال هذا البرنامج نجاحا كبيرا على مستوى الوطن وحتى في دول المغرب العربي، فأسهم في ميلاد اسمها الشعري وكانت الانطلاقة في مجال الإبداع.

تخرجت أحلام ضمن أول دفعة معربة بعد الاستقلال، فحازت على شهادة الليسانس في الأدب العربي من جامعة الجزائر سنة 1971، و تحصلت على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة "السربون" بباريس سنة 1982.

صدر للكاتبة عدة أعمال منها : أول ديوان شعري بعنوان: "على مرفأ الأيام" سنة 1971 وفي سنة 1976 صدر لها " الكتابة في لحظة عري" عن دار الآداب ببيروت وفي سنة 1985 "أكاذيب سمكة" عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالجزائر بالإضافة إلى ثلاثيتها المشهورة " ذاكرة الجسد" سنة 1993، و"فوضى الحواس" سنة 1998، و"عابر سرير" سنة 2003،عن منشورات أحلام مستغانمي ببيروت، كما كتبت رواية "الأسود يليق بك" سنة ، و"نسيانكم" سنة.

حازت أحلام على جائزة "نجيب محفوظ" للرواية سنة 1998، عن روايتها "ذاكرة الجسد" التي حققت نجاحا كبيرا حيث تجاوز عدد طبعاتها العشرين طبعة في أقل من عقد من الزمن، ترجمت بعض أعمالها إلى اللغات: الفرنسية، والإيطالية، والإنجليزية والكردية، والصينية.

ـ رواية فوضى الحواس:

رواية "**فوضى الحواس**" رواية استطاعت أن تعبر عن كل ما يحمله الوطن العربي من فوضى، فجمعت بين الألم، والحب، والسياسة، والحرب، والخيانة، والتطرف والجنس بكل ما تحمله هذه المفاهيم من تناقضات عبرت عنها الكاتبة بلغة شعرية مليئة بالإحساس.

بطلة هذه الرواية هي "**حياة**"، وتبدأ بسرد أحداث قصة قصيرة كتبتها البطلة بعد انقطاع سنتين عن الكتابة، وكانت المحاولة الأولى لها في كتابة القصة القصيرة، وأحبت البطلة محاولتها هذه التي كسرت من خلالها جدار الصمت، ففي متن الرواية نصحها أخوها بالتوقف عن الكتابة قائلا:" لا أفهم من أين لك القدرة على الكتابة وكأن شيئا لم يحدث على هذه الأرض التي تتحرك تحت قدميك ....ولا هذا الدمار الذي ينتظر أمة بكاملها منعاك من الكتابة ... توقفي.. تأملي الخراب حولك، لا جدوى مما تكتبين...قلت كمن يعتذر:

ولكني كاتبة..

صاح بي:

ولأنك كاتبة عليك أن تصمتي أو تنتحري..."([1])

ومن خلال هذا الحوار الذي دار بينها وبين ناصر تلقي الكاتبة الضوء على جانب مهم من موقفها الجريء اتجاه الكتابة، كمبدعة تشهر كتباتها في وجه من يراها محرمة" طابو" لا يجوز للمرأة خرقه.

أحداث القصة التي كتبتها حياة بطلة رواية فوضى الحواس تدور بين رجل وامرأة نشأت بينهما علاقة عاطفية، وذكرت أن مواصفات بطل قصتها لم تصادفها من قبل كما أن طباع البطلة تختلف عن طباعها وهو ما يؤكد أن القصة بعيدة عنها ولا تخصها، لكن بعد إتمام كتابة هذه القصة خطر ببال حياة فكرة البحث في الجريدة عن اسم قاعة السينما "أولمبيك" التي كان يعرض بطل قصتها على محبوبته الذهاب إليها، فاستغربت أمر وجود تلك القاعة في الواقع وبأنها تعرض الفيلم نفسه الذي كان يريد بطل قصتها مشاهدته مع حبيبته، فكانت هذه المصادفة دافعا لشكها بأن كتابتها لتلك القصة كان بمثابة وحي نزل

[1] ـ أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، دار الآداب، بيروت، ط6، 1998، ص129.

عليها، وظنت أن بطل قصتها يضرب لها موعدا " أتراني قد وقعت تحت إغراء الكتابة وفتنتها لأصدق أن هذا الرجل هو الذي أملى عليّ موعدا..كتبته بيدي"([1]) وبين حيرتها في الاستجابة لذلك الموعد ورفضه تذكرت قصتها مع زوجها العسكري التي بدأت بالانبهار وغاب عنها الحب، فامتزجت مشاعرها بين أحداث الماضي والحاضر وبين الكتابة والواقع، وتتحدى المخاطر وتخرج للقاء صاحب الموعد فتتحول القصة التي كتبتها إلى قصتها " دون أن أدري أن الكتابة التي هربت إليها من حياة، تأخذ بي منحى انحرافي نحوها"([2]) ذهبت حياة لمشاهدة الفيلم بقاعة السينما " الأولمبيك" قصد مقابلة ذلك الرجل الذي ترسب في مخيلتها والذي كان في نفس الوقت بطلا لقصتها، وحتى تتجنب رؤية الناس لها طلبت من سائقها أن يأخذها إلى قاعة السينما بعد ربع ساعة من بداية الفيلم وأن يأتي لأخذها قبل انتهاء عرضه، وذلك خوفا من أن يراها أحد معارفها خاصة أن النساء في مدينة قسنطينة لا يرتدن قاعات السينما، فلما دخلت حياة قاعة السينما وجدت امرأة مع رجل فجلست خلفهما ضنا منها أنهما بطلا قصتها، لكن بعد فترة اكتشفت أن الرجل الذي يجلس بجوارها هو الذي تبحث عنه، وتأكدت من ذلك حين سقوط قرطها فحاولت البحث عنه فساعدها ذلك الرجل مستعملا ولاعته، فشكرته واعتذرت عن إزعاجه فكان رده بنفس الكلمات التي كان يستخدمها بطل قصتها، خرجت حياة من قاعة السينما تاركة هناك ذلك الرجل، ويدفعها فضولها للبحث عن لقاء آخر معه فتعود لقراءة قصتها فتعثر على اسم مقهى كان يرتاده، فتبحث عنه في الواقع، وكان اسمه" الموعد" وتجد بطلها فيه ويحدثها بنفس عبارات قصتها، وبعدها يستقلا سيارة أجرة، لكنه ينزل في الطريق بعدما يسلم سائق الأجرة ورقة نقدية ويدله على عنوانها حتى يوصلها إليه، بعد ذلك تعيش حياة عشرة أيام من الضياع تائهة التفكير تحاول إيجاد تفسير لكل الأحداث التي مرت بها تتجول حياة مع سائقها في شوارع مدينة قسنطينة باحثة عن ذلك الرجل، وتجلس بجانبه عوض أن تجلس خلفه مما جعله يظهر وكأنه زوجها، تتوقف السيارة فوق أحد الجسور المعلقة فيغتال السائق، يصل الخبر إلى زوجها فيعود في اليوم الموالي من سفره ويقرر

---

[1] ــ أحلام مستغانمي، فوضى الحواس،ص36

[2] ــ المرجع نفسه،ص39.

تشديد التدابير الأمنية " **فأمام اقتناع زوجي بأنه هو الذي كان معنيا بذلك الاغتيال، قرر اتخاذ تدابير أمنية جديدة أولها الاستغناء عن سيلرته الرسمية**"[1].

تعيش حياة بعد ذلك أيامها بتأنيب الضمير على تسببها في اغتيال السائق وتنغلق على نفسها، فيقرر زوجها إرسالها إلى فيلا بشاطئ "سيدي فرج" رفقة أخته لترتاح لبعض الوقت، وهناك تلتقي رجلا عند بائع الجرائد تظنه الرجل الذي تبحث عنه، وبعد تبادلهما أطراف الحديث كتب لها رقه هاتفه على الجريدة، وطلب لقاءها، وبعد أيام تهاتفه فيطلب منها أن تزوره في شقته الواقعة بالعاصمة، وفي اليوم الموالي تفاجأ حياة بتعطل هاتفها فتلجأ إلى إحدى جاراتها التي تخبرها عن عشيقات زوجها اللواتي كن يترددن على تلك الفيلا، فتقرر الذهاب إلى بيت الرجل الذي التقته أمام بائع الجرائد متحدية الظروف الأمنية وخطورة تنقلها بين شوارع العاصمة. تزور حياة الرجل في شقته، ثم تعود إلى فيلا سيدي فرج فيتصل بها زوجها ويطلب منها العودة إلى قسنطينة بعدما ساءت الأوضاع الأمنية في العاصمة، فتعود حياة إلى قسنطينة ضائعة أمام مصيرها مع ثلاثة رجال هي على علاقة بهم ،الأول أخوها ناصر المتطرف الذي تطارده السلطة، والثاني زوجها العسكري الذي يتربص به المتطرفون، والثالث العشيق الغامض، وبعد فترة تعود حياة لزيارة مقهى " الموعد" بحثا عن عشيقها فتتفاجأ بخبر اغتياله في الجريدة، وداعاً .. عبد الحق "! فقد اغتالوه! وتذهب للمقبرة لتشيّعه.. تلبس نفس الثوب الأسود الذي كانت ترتديه يوم التقيا في قاعة السينما وفي قهوة "الموعد". لم يكن معها سوى دفترها الأسود الذي كتبت فيه هذه الرواية الغريبة الجميلة.. ، وفي لحظة من لحظات "**فوضى الحواس**" تترك دفترها وتقرر عدم العودة إلى الكتابة والاكتفاء بواقع الحياة والتكفل بأخيها ناصر وأمها والعناية بزوجها وبالبداية نفسها تنتهي الرواية فهاهي تذهب لمحل لبيع القرطاسية- كما فعلت قبل عام ــ وربما يثير انتباهها دفتر له غلاف أسود أو أحمر أو أصفر. وتترك الرواية مفتوحة لبداية رواية أخرى!

ــ المرأة في كتابات أحلام مستغانمي: عانت الكاتبة العربية لعقود من الزمن من عدم قدرتها على تجاوز ثالوث محرم (السياسة ــ الجنس ــ الدين)، لكن الكاتبة أحلام مستغانمي استطاعت وبجرأة أن تدخل المناطق المحرمة وتكتب دون

[1] ــ أحلام مستغانمي، فوضى الحواس،ص123.

قيود، محاولة التحرر وتفجير المكبوت المتراكم عبر الزمن .
استطاعت الكاتبة من خلال رواية "**فوضى الحواس**" قراءة الواقع وعكس الأحداث التي جرت في الجزائر والوطن العربي بموضوعية وجرأة، فقد تطرقت لمواضيع حساسة مست الأوضاع المتدهورة للبلاد والخيبات التي عاناها الوطن العربي خاصة مع اندلاع حرب الخليج، ففي الرواية تدرك حياة أننا عشنا وهما كان لابد من التفطن إليه لأن حلم القومية العربية قد مات مع "جمال عبد الناصر" ولم يبقى سوى في مشاعرنا ، وفي أسماء من حملوا اسمه، كأخيها ناصر، ولذا فهي تبدي سعادتها من أجل الأجيال القادمة التي ستستفيد من أخطائنا " سعيدة أنا من أجل الذين سيأتون بعدنا: لقد وفّرنا عليهم أعمارا لن ينفقوها في أوهامنا"([1]) وفي هذا تلميح إلى أن ما ستعرفه الأمة العربية مستقبلا لن يكون أفضل من سابقه، وعالجت هذه الرواية الواقع الاجتماعي والواقع السياسي في سنوات الأزمة بالجزائر، موجهة أصابع الاتهام بشكل صريح للمتسببين فيها سواء من جانب السلطة أو من أوساط الشعب، إذ حملت كلا الطرفين مسؤولية ذلك.

وفي الرواية عبرت الكاتبة عن الضغط الذي تعانيه المرأة في الجزائر وخاصة مدينة **قسنطينة**، واصفة الحضر الممارس في شوارعها، " إنها شوارع نخاف من عيون عابريها، مطاعم لا نجرؤ على ارتيادها بيوت لا يمكن أن ندخلها معا، فهي مدينة لا تعترف بالحب، إلا في أغاني "الفرقاني"([2])، وتحدثت عن حمام النساء بوصفه المكان الوحيد الذي يعبرن فيه عن أنوثتهن " ففي هذه المدينة التي ليس فيها أي مكان لما هو حميمي وخاص، الحمام هو المكان الذي تنتهك فيه حرمة الجسد وحياؤه..."([3])، فقسنطينة بالنسبة للكاتبة فضاء محدود، شعور بالكبت، تضييق الخناق على المرأة وتقييد حريتها.

كما تميزت بطلة الرواية "حياة" بالتمرد والتحرر والولع بالتصرف عكس المنطق، سميت "حياة" لتكون مقابلة للموت، واجهت سلطة مجتمع فرض عليها نظاما خاصا من الممارسات المتناقضة مع شخصيتها المتمردة والمتحررة، لدرجة قدرتها على الخيانة الزوجية.

---

[1] أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، ص303.

[2] ــ فوضى الحواس ، ص331.

[3] ــ المرجع نفسه، ص232.

وفي فوضى الحواس حولت أحلام مستغانمي الجسد إلى أيقونة بغرض استمالة القارئ فهي لا تكتب عن الجسد، وإنما توظف الجسد عنوانا للتخطي والتجاوز، ولم تفصل بينه وبين الحب، أي أنها كما أسلفنا الذكر تعمد إلى خرق كل الطابوهات لتؤسس علاقة جديدة مع القارئ، وفي هذا الصدد تقول أحلام مستغانمي عن نفسها " أنا لا أكتب الجنس من أجل الإثارة، بل أكتب كما أتكلم وأحس.....أنا كاتبة الرغبة ولست كاتبة المتعة، كل كتاباتي قائمة على الرغبة، المتعة شيء آخر لا يعنيني لأن المتعة قتل للأدب"، ففي الرواية ورد على لسان الساردة حياة " رحت أستعيد أنفاسي، أتنبه للثوب الذي أتصبب تحته عرقا، وأنا أراه يخلع جاكيته ...يشعل سيجارة، ويجلس على تلك الأريكة، لاحتساء قهوة، عاودتني أسئلتي وأنا أنظر إليه..كما تقرأ غجرية الكف، رحت أقرأ هيأته بحدسي وحواسي فقط، لا يعنيني اللحظة أن أكتشف ماضيه بقدر ما يعنيني أن أطالع قدري مكتوبا عليه، قدرا متعب الشفاه، فوضوي الشعر، كسول الكلمات، مربك اللمسات، مباغث القبلات، متناقض الرغبات، كرجل في الأربعين.

يسألني:« فيم تفكرين؟.. ».

أجيب: « أحب الرجال في الأربعين..».

يبتسم..يرد: « ولكنني لست الرّجل الذي تتوهمين!..».

يلقي برماد سيجارته في المنفضة، ويمد نحوي يده: « تعالي..اجلسي قريبا منيّ..».

أتردد بعض الشيء قبل أن أعترف: « إني أتصبب عرقا، أنا أرتدي هذه العباءة منذ ساعات..» .

أتوقع أن يقول: اخلعيها مثلا، لكنه يقول، وهو يسحبني إلى جواره: «أحب رائحتك..لقد أحببت دائما لغة جسدك.. »

ثم يواصل، وكأنه يطمئنني: « إن جسدا لا رائحة له هو جسد أخرص.. »([1]).

فأحلام في فوضى الحواس تنطلق من الجسد لتصل إلى الأخر، وكأنها ترسم بالكلمات لإثارة المتلقي ولإبقائه على تلك الصورة الجسدية المرغوب فيها «...بيننا مسافة أنفاس

[1] ــ أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، ص 181ــ182.

وقبلة لكنه لم يقبلني.. »[1] " فأعضاء الجسد الأكثر ترميزا، تساعد في استقطاب الأبعاد الدلالية، مثلما تتميز بسحر الملاحقة، وتوطيد الجسور بين الباث والمتلقي"[2] .

فالكاتبة تواصلت مع القارئ عبر تقديم بطلات بصفة الأنثى المرغوبة والمشتهاة الأنثى الهامسة والحالمة والحميمية والشاعرية واللّعوب، القادرة على امتلاك الرجل والتي تعرف رغباتها، الأنثى الجميلة التي رغباتها متقدة بفعل الحرمان الذي عانت منه، المرأة المثقفة والمهتمة لأمر الأدب والفنون، وتستميلها السياسة والكتب وأقوال الشعراء والمفكرين إنها باختصار المرأة القوية.

قدمت لنا أحلام في الرواية بطلة تحقق تمردها عبر الورق وتعيش ما لا تستطيع عيشه في الواقع، وعندما تخطو الخطوة الأولى خارج دائرة خيالها القصصي رغبة في ملامسة الحياة تصطدم بواقع أنها تعيش حرية مسروقة ومغشوشة، لأنها هي من اختارت هذا الزواج ولابد أن تتقبل قدرها فيه.

وتزاوج رواية فوضى الحواس بين خطابين الأول عشقي والأخر سياسي ويتقاطعان عندما تتحقق ذروة اللذة لدى البطلة بالموازاة مع تحول الأحداث إلى مأساة سياسية وإنسانية خطيرة، فهي تشبك حدي الألم والمتعة في البحث عن اللذة بفعل ارتباطها برجال سياسة، هي امرأة ضائعة بين قدرها وبين رغبتها في البحث عن ذاتها الأنثوية قبل كل شيء.

---

[1] ــ المرجع نفسه، ص 180.

[2] ــ الأخضر بن السائح، لذة السرد النسائي وعوامل الإثارة والإغراء/ مجلة نزوى مجلة إلكترونية،سلطنة عمان ،ع 86

خصوصية الكتابة عند أحلام مستغانمي:

تميزت كتابات الروائية أحلام مستغانمي بما يلي:

ــ اتخذت الروائية من جنس الرواية سبيلا لإثبات كيانها وهويتها المتميزة، مثبتة وجودها أمام تغييب الآخر "الرجل" فكانت الكتابة الروائية تحررا من معاناتها وتعبيرا عن حاجاتها وأحلامها التي لطالما أخفتها، ووسيلتها لتكون أكثر جرأة وهذا ما تؤكده نصوصها الروائية، وقد شكك الكثيرون في إبداع الكاتبة وما حققته من نجاح فردت عليهم وربطت هذا الهجوم برفض المجتمع الذكوري لنجاح المرأة، فقد حاول البعض أن ينسبوا أعمالها لرجال فهي تقول في حوار لها بجريدة الشروق الجزائرية " لقد بحثوا عن عدد من الرجال ونسبوا لهم الرواية المهم ألا تنسب لكاتبتها الحقيقية، قلت إن في لاشعورهم لا يتوقعون ولا يتقبلون إمكانية تفوق امرأة عليهم في الكتابة، ردّي كان واضحا فكلما كتبت المرأة عملا أو قامت بإنجاز عظيم يبحثون عن الرجل ليضعونة مكانها"[1]

ــ شغلت السياسة حيزا كبيرا من اهتمامات الكاتبة في رواياتها بحكم انتماءها لجيل الاستقلال ومعايشتها أحداث وتحولات سياسية متأزمة في الجزائر" فترة الإرهاب والاغتيالات" وفشل الأنظمة السياسية في احتواء الأزمة أنذاك.

ــ جرأة لغة الكتابة عند أحلام مستغانمي بكسرها طابو (الجنس) الذي كان مقتصرا على كتابات الرجل، وتعبيرها عن الجسد والجنس بوصفهما قضية مهمة في حياتنا.

ــ توظيف النصوص التراثية الغائبة بمختلف أنواعها (الشعر، النثر) مما يدل على الخلفية الثقافية الواسعة للكاتبة ومنه المشهد الذي يجمع "حياة" بالصحفي على الهاتف حين بدا لها فاتر العواطف غير مشتاق، لكنه نفى ذلك قائلا:« بلى.أنا مشتاق وعندي لوعة ...»([2])حيث أخذت الكاتبة الشطر الأول من البيت الثاني لقصيدة " أراك عصي الدمع" لأبي فراس الحمداني.

ــ سعت الروائية إلى توظيف التعدد اللغوي(تعدد أساليب الكلام واللهجات الإقليمية واللغة الفرنسية) فاسحة حرية الكلام لشخصيات روايتها خاصة في مقاطع الحوار" والمزج بين

---

[1] ــ حوار مع الكاتبة أحلام مستغانمي في جريدة الشروق الجزائرية ، حاورها ياسين بن لمنور، صدر في 24 ديسمبر 2010.

[2] ــ فوضى الحواس، ص253.

الفصحى والعامية في كتاباتها يصل حد التلاحم مشكلا لغة وسطى تقدم لجيل جديد يتقن اللغة العربية ويتذوقها، ومرتبط بوطنيته ولهجته.

ــ يغلب في كتاباتها استعمال ضمير المتكلم، وهذا دليل على جرأتها كون هذا الضمير أكثر الضمائر دلالة على " الحميمية السردية، وعلى تعرية الذات، وعلى تطلع باد إلى تقديم الحكاية في شكل يتوغل بها إلى أعماق نفس الشخصية الراوية"[1] ، كما يعد ضمير المتكلم أقدر الضمائر على حمل تجربة الكاتبة الذاتية الخاصة ويمكننا من الولوج إلى أعماقها و معرفة شعورها وأفكارها.

ــ جمعت لغة الكتابة لدى أحلام مستغانمي بين خصائص شعرية ونثرية العمل الروائي وهذا ما ميزها عن باقي الأقلام الأدبية باعتبار أنها كانت شاعرة قبل أن تطرق كتابة فن الرواية، فاللغة في كتاباتها كانت نثرية إلا أنها تحوي محطات شعرية كثيفة سواء كان ذلك عن طريق الاقتباس أو من خلال تراكيب جميلة هي أقرب فنيا لتلك التراكيب التي نجدها في الشعر، والتي تتميز بحرارة الوجدان والجمال.

ــ كثرة الجمل الاستفهامية في أسلوب الكاتبة، حيث تتخذها الكاتبة وسيلة للبوح الوجداني وأداة لإثارة القارئ والانتقال به من واقعه إلى سياقات أخرى أكثر تفاعلا ومشاهد تخيلية تفتح أمامه أفق إدراك بعض القضايا الهامة التي مرت بها البلاد، والجمل الاستفهامية عندها مجرد وسيلة لنقل القارئ واستدراجه إلى شيء آخر" الأسئلة غالبا خدعة، أي كذبة مهذبة نستدرج بها الآخرين إلى كذبة أكبر"[2] .

ــ تميز الكتابة عند أحلام مستغانمي بالتكرار الجملي، أو ما يعرف بالثرثرة الجمالية المقبولة، وهو ما أقره سعيد يقطين في معالجته لقضايا الرواية العربية الجديدة إذ يقول:" إن الوظيفة الأولى للكتابة الأنثوية هي التواصل، وتفجير الكلمة المتحررة في الصمت، أو التي تمارس نوعا من الثرثرة المقبولة "[3]

ــ كثرة الصور الفنية وتنوعها في روايات الكاتبة، وهو ما يشير إلى سعة خيالها فالتخييل من أهم الخصائص التي تميز لغتها.

---

[1] ــ عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون،الجزائر،1995،ص191.

[2] ــ أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، ص16.

[3] ــ سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة ، الوجود والحدود ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة،ط1، 2010، ص294.

ــ كثرة التناص في كتاباتها من خلال تداخلها مع بعض النصوص إما اقتباسا أو محاكاة مثل اقتباسها من نصوصها الشعرية كديوان "مرفأ الأيام" ، واقتباسها من الثراث الشعبي كالأمثال وقصص ألف ليلة وليلة

4ــ خصوصيات الكتابة النسائية:

لا يمكن أبدا التوحيد بين ما تفكر به المرأة، وما يفكر به الرجل ويدعو إليه ورغم أن النص الأدبي المميّز هو الذي يحمل مقومات إبداعية راقية، ويفرض نفسه بغض النظر عن جنس منتجه، لا يمكن أن ننفي وجود خصوصية في الإبداع النسوي تجعله يتميز عن أي إبداع آخر، فكتابة المرأة تختلف عن كتابة الرجل والسبب في ذلك أنه "ليس لنا نحن والرجل الماضي نفسه، ولا الثقافة نفسها ولا التجربة نفسها، فكيف يكون لنا والحالة هذه التفكير نفسه والأسلوب نفسه؟ ذلك أن المرأة تكتب بشكل متميز عن الرجل لاسيما بعد أن تطورت العادات والتقاليد بفضل النضالات النسوية حيث لم يعد ينظر إلى هذه الخصوصية في أسلوب الكتابة على أنها تعبير عن دونية ومحدودية بل جرى التعامل معها كحق من حقوق المرأة في التمايز" ([1]) .

واختلاف الكتابة النسوية وتميزها عن كتابة الرجل مرده للعوامــل التالية : ([2])

1ــ البنية النفسية للمرأة تختلف عن البنية النفسية للرجل، مما يفرض وضعا نفسيا مغايرا في الكتابة النسوية.

2ــ البنية الجسدية للمرأة تختلف عن البنية الجسدية للرجل، مما يفرض وضعا جسديا مغايرا في الكتابة النسوية.

3ــ البنية الاجتماعية الانطوائية المفروضة على المرأة تختلف عن البنية الاجتماعية الذكورية المهيمنة، مما يفرض علاقات اجتماعية نسوية مغايرة في الكتابة .

4ــ التاريخ الثقافي الذكوري الممتد يقابله تاريخ نسوي محدود جدا، مما أوجد دورا مهمشا للمرأة في الثقافة والإبداع.

5ــ الدور الإنتاجي للرجل اقتصاديا يقابله هضم لحقوق المرأة الإنتاجية من خلال تهميش دورها في المنزل، واختزالها إلى دور المرأة الخادمة.

6ــ اختلاف خيال المرأة عن خيال الرجل، مما يستدعي اختلاف الذاكرة النسوية عن الذاكرة الذكورية.

1– كارمن بستاني،الرواية النسوية الفرنسية ، الفكر العربي المعاصر،ع 34، ربيع 1985، ص122

2 ــ حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث، الأردن،2008م، ص111.

ولعل أهم الخصائص التي تميز الكتابة النسوية ما يلي:

ــ **تنطلق الكاتبة العربية في إبداعها من الخاص إلى العام**، أي تنطلق من قضاياها الخاصة للوصول إلى قضايا وطنها، منفتحة على عدة جوانب سياسية ودينية تاريخية وحضارية مؤكدة اهتمامها بهموم شعبها وأمتها.

ــ **تعتبر الكتابة النسوية في الوقت الحاضر كتابة ثورية**، تحمل جرأة كبيرة استطاعت من خلالها كسر التابوهات وخرق المحظورات " الدين، السياسة ، الجنس" وبالتالي شكلت هذه التيمات موضوع الكتابة النسوية الحديثة.

ــ **المجتمع العربي التقليدي يعتبر جسد المرأة مقدسا وعورة**، وينبغي ستره وفقا للشريعة والأعراف، والكتابة النسوية تعتبر جسد المرأة وسيلة لمقاومة ورفض هذه الأعراف لذا يكثر الحديث عن الجسد وتفاصيله في الكتابة النسوية.

ــ **هيمنة الشخصيات الأنثوية على الإبداع النسوي وإسناد أدوار البطولة للمرأة** وإقصاء الشخصيات الذكورية إلى هامش النص، فتظهر المرأة فاعلة قوية وواثقة بنفسها. كما يمكن اعتبار زحزحة الرجل عن مركز العمل الأدبي محاولة لقلب صورة الواقع داخل العمل الأدبي، حيث" تتميز العديد من نماذج كتابات المرأة بخفوت وصمت الرجل فيها، في مقابل اهتمام الكاتبات بالشخصية النسائية، تلك الشخصية المهمشة في الواقع والمسكوت عنها، ويرجع ذلك إلى محاولة قلب صورة الواقع في العمل الأدبي"([1]) وسيطرة المرأة على أدوار البطولة وعلى سلطة السرد خطوة نتجت عن فكر إيديولوجي تبنته الكاتبة في صراعها مع الرجل وكأنها تقول بذلك" أنت لست محور الوجود، أنت مثلي، وأنا ممكن أن ألعب دورك"([2]) .

ــ **تتميز الكتابة النسوية باستعمال ضمير المتكلم "أنا" وخاصية التمحور** على الذات فالعلاقة بين الكاتبة والبطلة في روايتها غير منقطعة، ويمكن تفسير ذلك بخوف وقلق الكاتبة في محيط لا يقدر ما تكتب، وقد يكون استعمال هذا الضمير تحرر وجرأة فلجوء الكاتبة العربية إلى استخدام ضمير المتكلم في نتاجها الأدبي، فتحا جديدا في السرد النسوي العربي، ودليلا قاطعا على جرأة الكاتبة العربية في سرد مضامين محظورة بضمير

---

[1] ــ شادية علي قناوي، المرأة العربية وفرص الإبداع ، ص37.

[2] ــ قطب سيد محمد السيد وآخرون، في أدب المرأة، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 2000، ص172.

المتكلم بعد أن مكثت فترة طويلة في بدايات نتاجها الأدبي وما بعدها تنشر إبداعها تحت أسماء مستعارة، و" من المعروف أن استخدام هذا الضمير مؤشر إلى اقتحام القضايا المطروحة بجرأة و جدية"([1]).

ــ **الكتابة عند المرأة عملية تحرر** " من حيث أنها موضعة للتجربة والمعاناة والحاجات والتصورات والأحلام، موضعة تبني وتكشف وتعرض المكتوب للنظر العام، للتفاعل والرد والاستجابة والإنبناء في بنيان أوسع" . ([2])

ــ **تتشكل خصوصية الكتابة النسوية من " ربط اللغة بالهوية النسوية،** الذي يجعل الكتابة متمحورة حول الذات، وغلبة الأساليب المنبرية والتقريرية، وتموج التعابير وتمويهها ورغبة الكاتبة في الخروج من العزلة وفتح الحوار مع الآخر"([3])

ــ **تختلف المرأة في كتابتها عن الرجل في جماليات التفاعل مع المكان والزمان** والحدث، والجسد والمعجم اللغوي العام والأطر الاجتماعية والسياسية والثقافية.

ــ **غلبة الطابع التراجيدي على إحساس المرأة بالزمن المتطور نحو الشيخوخة** و" تركيز الكتابة على اللحظة التي تجمع أشلاء الماضي والحاضر والمستقبل، يضاف إلى ذلك أن إحساس المرأة بالمكان سلبي لا يشجع على الانتماء "([4]).

ــ **هيمنة طابع الحزن والحرمان والألم، والنظرة المتشائمة فالمرأة أكثر تفاعلا** مع الوجدانيات النفسية الخاصة بها من أي رجل كما تقول عائشة عبد الرحمان" الوجدانية عنصر جوهري في الأدب، وأصيل في فطرة حواء".([5])

---

[1]ــ بثينة شعبان، مائة عام في الرواية النسائية العربية، 1899ــ1999، دار الآداب، بيروت،1999 ، ص217.

3_ سعيدة خالدة، المرأة التحرر والإبداع، ص87.

4 ــ رشيدة بن مسعود ، المرأة والكتابة، سؤال الخصوصية/ بلاغة الاختلاف، ص151.

5 ــ سوسن ناجي، المرأة في المرآة، دراسات نقدية للرواية العربية في مصر، 1888ــ1985، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989، ص188

1ــ عائشة عبد الرحمان ،الأدب النسوي العربي المعاصر، مجلة الفكر، السنة7 ،ع1،أكتوبر 1961،ص33.

5ــ النقد النسوي:

موضوع النقد النسوي مرتبط بالمرأة بوصفها كاتبة ومنتجة للنص الأدبي وبتاريخ الأدب الذي تنتجه النساء، وموضوعاته، وأنواعه، وخصوصياته، وعلى المحركات النفسية للإبداع النسوي ومسألة اللغة، ويتطرق بالتحليل والنقد للأدب النسوي المتصل بحركات النساء المطالبة بالحرية والمساواة في الحقوق، وفي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فهو يعمل على تحليل ومقاربة النصوص الأدبية من وجهة نظر المرأة، ومبدؤه الدفاع عن قضاياها، وحقوقها من خلال دراسة نصوص إبداعية أهملها الرجل راصدا فيها خصوصية هذه الكتابة، حيث " يشكل النقد النسوي أحد التوجهات المعرفية التي تحاول مساءلة النصوص الأدبية في ضوء معطيات الوعي الحديث بقضية المرأة،انطلاقا من مفاهيم فلسفية مرتبطة بالحرية والمساواة، والعمل على تجسيدها من خلال إبراز الفوارق الجنسية بين الرجل والمرأة، ومنح كل منهما هوية جنسية خاصة"([1])

ظهر النقد النسوي في ستينات القرن الماضي مواكبا لصعود الحركات النسوية العربية، فارتفعت أصوات تدعو بوضوح إلى اضطلاع المرأة بدور أكبر تأثيرا في النتاج الأدبي من حيث الكتابة والقراءة، وإلى استخدام مصطلحات جديدة في وصف هذا الأدب من حيث الأسلوب والفحوى، ورافق هذا التوجه التفاتٌ إلى التراث الأدبي النسوي باستخدام وسائل العلوم الإنسانية المختلفة في إبراز التجربة النسوية في مجالات السياسة والاجتماع والثقافة، ونهضت بهذا الجانب كاتباتٌ متخصصات في التاريخ الحضاري والثقافي فضلا عن علم الاجتماع، وعلم النفس التحليلي.

وحاول النقد النسوي العربي التخلص من فكرة مفادها أن النقد الأدبي بحكم ممارسة الرجال له أصبح مجالا للهيمنة الذكورية، يعبر عن قيم الرجل وأفكاره وعقليته التي انعكست على الآليات التي يستخدمها في التحليل والتفسير، وعلى مناهج النقد سواء كان الناقد امرأة أو رجل، وكان الهدف الرئيسي من تأسيس نقد نسوي عربي هو تفسير النصوص الأدبية بفكر نسوي، والتخلص من المفاهيم الخاطئة المتعلقة بالمرأة في النقد الأدبي الذي يعتبر كتابة المرأة تهمة و" حكم عليها بأنها كتابة فاشلة، تتضمن قضايا

[1]ــ عبد النور إدريس، النقد الأدبي والنوع الاجتماعي، ص175.

محدودة تبعا لتجربة محدودة، فالمرأة في نظره، تكتب لتراث الثقافة الإنسانية بدلا من أن تكتب للتراث العظيم" ([1]) ، ورغم أن التجربة الأدبية النسوية كانت في بدايتها محدودة وعكست إلى حد كبير التجربة الأنثوية الضيقة، لكننا لا نستطيع إطلاق الحكم نفسه على الإبداع النسوي في فترات زمنية متأخرة، كما يهدف النقد النسوي إلى استيعاب الإبداع النسوي الموروث والمعاصر الذي أهمله الرجل وتجاهله طويلا.

كان الكشف عن خصوصيات ومميزات الكتابة النسوية أهم قضايا النقد النسوي والتي واجهت الكثير من الصعوبات حيث " كانت محفوفة بكثير من المزالق تتعلق بخصوصيات في الأسلوب والخبرة، كما تتعلق بأشكال الأجناس الأدبية المطروقة من طرف النساء بالإضافة إلى خصوصية التجارب والثقافات، وتجمع جل نظريات النقد النسوي على خصوصيات وأنماط من الاختلافات تتعلق بالجانب البيولوجي، واللغة، والتحليل النفسي والثقافة، ويعتبر كل نمط من هذه الأنماط بمثابة محاولة لتحديد وتمييز خصائص كتابة المرأة الأدبية " ([2]) ، وتناول النقد النسوي خصوصية الكتابة النسوية من خلال العلاقة الصريحة ما بين الثورة واللغة، والبحث عما هو أنثوي على المستوى اللغوي والثقافي والفكري مبرزا قدرة المرأة على الإبداع وتقديم أفكار مبهرة .

لم تكن تجربة النقد النسوي العربي في بداياتها بقوة نظيرتها الغربية نظرا لغياب الإنجازات النقدية المنظمة، ما عدا بعض المحاولات الفردية التي حاولت ربط خصوصية كتابة المرأة بمشروع التحرر فـــ " المرأة العربية تعمل على تحرير نفسها من قبضة المجتمع الأبوي وتقاليده، بقدر ما تعمل على تحرير اللغة من استيهامات الرجل حول المرأة

وحول العالم" ([3]) ويرجع النقد العربي خصوصية الكتابة النسوية واختلافها إلى تراكم إرث تاريخي وديني وثقافة كاملة، ونظام اجتماعي وسياسي همش المرأة وقلل من شأنها ووصفها بالضعف والسفاهة، مما ترتب عنه اعتبار الكتابة فعل تحرر ووعي، وكشف

1ـــ بثينة شعبان، مائة عام من الرواية النسائية ، ص23.

[2]ـــ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي، ص210. [2]

1ـــ صالح فخري، القصة القصيرة في الأردن، المرأة القاصة، مجلة الكتابة، ع2،س1، 1995،ص30.

لتجارب ومعاناة وتصورات وحاجات، وهذا الفعل أخرج المرأة عن صمتها وشكل خصوصية كتابتها .

وتعد **رشيدة بن مسعود**[1] من أبرز الناقدات العربيات، التي أسست بطريقة علمية لنظرية الكتابة النسوية وذلك في كتابها (المرأة والكتابة، سؤال الخصوصية/ بلاغة الاختلاف) وأعدت هذه الدراسة على" مشروعية القول والتأكيد على وجود خصوصية جينية تلقائية فيما تكتبه المرأة من إبداع باعتبارها أقلية مجتمعية تعيش ظروفا خاصة تنعكس على رؤيتها وتصورها للأشياء والعالم"([2]) فمن خلال كتابها أثبتت خصوصية الكتابة النسوية داخل فعل الكتابة الإبداعية انطلاقا من الاختلاف اللغوي بين الجنسين وذلك باعتبار أن الأدب " ليس إلا اشتغالا باللغة واللعب بها إبداعا وصناعة"([3]) .

كما أشارت رشيدة بن مسعود إلى تقصيير النقد العربي في طرح خصوصية الكتابة النسوية، وأرجعت هذا التقصير لسيطرة الرجال على هذا المجال، والذي" تحت ضغط إيديولوجية ذكورية مركزية حاول أن يناقش الكتابة النسائية من منظور معايير المساواة على حساب الخصوصية"([4]) كما عزته إلى غياب الناقدات عن الساحة الأدبية باستثناء قلة أمثال(خالدة سعيد ويمنى العيد) إذ لم تحاول الكاتبات العربيات إيجاد تصور نقدي يحدد " خصوصية الكتابة النسائية تطالب بحقها في المساواة والاختلاف كحق طبيعي"([5]) لذلك يمكن القول أن صدى النقد النسوي العربي عبر عن محاولات فردية ولم يكن وجوده عام و منظم، لذا لم يحقق انتشارا ملحوظا.

و تعد **بثينة شعبان**[6] من الناقدات المتميزات في سوريا والوطن العربي، فقد قدمت دراسة نقدية بعنوان" مئة عام من الرواية العربية النسائية 1899ــ1999" تناولت فيها عدت

---

[1] ــ رشيدة بن مسعود: أستاذة بجامعة محمد الخامس بالرباط، عضوة مؤسسة لمركز الدراسات و الأبحاث حول المرأة، من مؤلفاتها : المرأة والكتابة، جمالية السرد النسائي، ولها عدة أبحاث .

[2] ــ رشيدة بن مسعود، المرأة والكتابة، ص6.

[3] ــ المرجع نفسه،ص82.

[4] ــ المرجع نفسه،ص90.

[5] _ المرجع نفسه،ص90.

[6] ــ بثينة شعبان من مواليد 1953، بحمص سوريا، كاتبة وناقدة عربية حاصلة على شهادة الدكتوراه في اللغة الإنجليزية من جامعة ووريك في إنكلترا ،أستاذة الشعر والأدب المقارن في جامعة دمشق ، لها العديد من الكتب والمؤلفات باللغتين العربية والإنجليزية منها: مئة عام من الرواية العربية النسائية.

أفكار وانطلقت من فكرة مفادها أن النقد النسوي يتحدد في" أن الرجال والنساء يكتبون بشكل مختلف حتى لو كانوا يكتبون باللغة نفسها "[1] وقرأت إنتاج الروائيات العربيات ورأت أن المكانة الدونية التي نسبت إليهن في الأدب ناتجة من تعصب النقاد وتمييزهم وتعتبر دراستها هذه سابقة فلم تصدر دراسة نقدية تناولت الروايات النسوية منذ نشأتها حتى الوقت الحالي، فقد حرصت بثينة شعبان على التأسيس للكتابة النسوية بطريقة منهجية وبأسلوب واع معمق .

[1] ــ بثينة شعبان، مئة عام من الرواية النسائية العربية، ص13.

ــ **خصوصيات النقد النسوي:** تبدو خصوصية النقد النسوي في تحديد الاختلافات بين الرجل والمرأة، والتركيز على خصوصيات المرأة، فهي مختلفة عن الرجل نفسيا وجسديا واجتماعيا وثقافيا، لذلك اختلفت همومها واختلفت نظرتها إلى العمل الأدبي وأصبح لنقدها خصوصيات هي:

ــ حاول النقد النسوي في العقد الأخير من القرن العشرين البحث في مؤلفات النساء الأدبية والكشف عن تاريخ الأدب النسوي، وأساليبه وأنواعه الأدبية وموضوعاته، وتطور التقاليد الأدبية النسوية .

ــ تعتبر قضية اللغة من أهم القضايا التي أثارها النقد النسوي فقد " اهتمت الناقدات بالمشاكل الفلسفية واللغوية والعلمية الخاصة باستخدام النساء للغة، كما اهتممن بالموضوع على مستوى علم الاجتماع وعلم النفس والتربية والأسلوبية والنقد الأدبي والانتروبولوجيا"[1] وعملن على تحديد سمات لغة المرأة ومعالمها ،أو الأسلوب النسوي المتميز في الكلام المنطوق والكلام المكتوب.

ــ إن الهدف الصريح للنقد النسوي هو استيعاب الإنتاج الأنثوي الموروث والمعاصر الذي أهمله الرجل طويلا، لقد أدخل هذا النقد أعمالا أنثوية كثيرة إلى ساحة النقد الأدبي كما عمل على تحديد ما تكتبه المرأة من خلال إرساء التجربة الأنثوية المتميزة فكرا وشعورا، وتقويما وإدراكا للذات والعالم الخارجي.

ــ يقدم النقد الأدبي النسوي تفسيرا نسويا للنصوص الأدبية ويضع الأصبع على المفاهيم الخاطئة المتعلقة بالمرأة في النقد الأدبي، ويسعى لإزالة الغموض عن كل التساؤلات والأفكار التي تسترت عن العلاقة بين النص الأدبي ومنتجه باعتباره يحمل جنسا.

ــ يهدف النقد النسوي بالإضافة إلى رصد أدبية النص إلى الكشف عن شبكة الممارسات المادية والإيديولوجية و الر مزية التي تغلف كل فعل تعبيري صادر عن النساء .

ــ رفض النقد النسوي أن تكون خصوصية كتابتها محصورة في جسد المرأة، صحيح أنها ركزت على أنوثتها ونقد مشكلات الأنوثة في المجتمع الذكوري، لكنها انطلقت إلى الهم العام وناقشته، ولم تحصر كتاباتها في الحديث عن مشكلات المرأة فقط.

---

[1] ــ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي، ص71.

ــ لم يعد النقد النسوي يقتصر على مجرد تمييز الكتابة النسوية فقط، وإنما باتت مسألة إعادة التفكير الجذري حول الأسس الفكرية للدراسة الأدبية، مسألة حتمية، فانصب اهتمام الناقدات على مواجهة الافتراضات النظرية المتعلقة بالكتابة والقراءة الأدبية التي كانت تستند كليا على التجارب النقدية الذكورية ، وذلك في سبيل إيجاد نقد أدبي جديد يجمع بين التجارب الأدبية لكل من النساء والرجال دون تمييز، وتحقيق ثورة حقيقية في فهم التراث الأدبي[1].

ــ يهتم النقد النسوي بمسائل عديدة إضافة للإنتاج الأدبي كرصد صورة المرأة في وسائل الإعلام، وبدور المرأة في النصوص الدرامية ، وبالاستغلال الجنسي لجسد المرأة .

[1] ــ المرجع نفسه،ص209.

6ــ اللغة في كتابة المرأة :

اللغة هي المصدر الأساسي في بناء العمل الإبداعي، إنها القالب الذي يصب فيه الروائي أفكاره، ويجسد رؤيته في صورة مادية محسوسة وينقل من خلاله رؤيته للناس والأشياء من حوله، ف" باللغة تنطق الشخصيات، وتتكشف الأحداث، وتتضح البيئة ويتعرف القارئ على طبيعة التجربة التي يعبر عنها الكاتب"([1])، لغة الكتابة هي التي تجعل منها فناً متميزاً، وتجعل قراءتها عملاً عميقاً على صعيد الفكر والروح معاً، فتساهم بذلك في بناء الإنسان، فالإبداع لا يجذب القارئ بعناصر فلسفية أو تاريخية أو اجتماعية أو فنية فقط، هناك شيء آخر إضافي يجعل من العمل الأدبي" عن طريق عبقرية اللغة أو عن طريق التفجر اللغوي والوهج اللغوي ــ شيئاً قائماً بحد ذاته ــ كعمل تنظر إليه وتتأمل وتتعلق به وتتغنى روحاً وفكراً، ويصبح في النهاية جزءاً من عصره([2]).

والكتابة عند المرأة العربية تفجير للمكبوت، حيث عانت الكاتبة العربية عبر مسيرة حياتها الثقافية صعوبات جمة وتأثيرات اجتماعية، وأدبية، ونفسية من خلال النظرة الضيقة لدورها من قبل الرجل والمجتمع العربي، فــ" الدور الذي تشغله المرأة لا يوفر لها سبل اكتساب لغة الثقافة السائدة، إذ أن دور المرأة مختزل في الأعمال المنزلية وتربية الأطفال وفي أعمال اجتماعية محدودة، مما يلجئ المرأة إلى الاكتفاء باللهجة المحكية في أدائها اللغوي"([3]).

كما أن هناك شيء لا واع في الرجل يقاوم الاعتراف بالقدرة التي يمكن أن تحوزها المرأة اللهم إلا القدرة على الخيانة والكذب، هي إذن لا تقدر على الكتابة والإبداع هي تضع وتلد فقط ، أما فعل الإبداع والكتابة فهو المجال الخاص بالرجل، لأن التاريخ غيب المرأة عن مجال الإبداع والكتابة، وتكاد الدراسات الأدبية الحديثة ــ سواء كانت غربية أو عربيةــ تجمع على أن اللغة أداة من صنع الرجل، ولا دور للمرأة في ذلك ف عبد الله الغدامي في كتابه المرأة واللغة يقول أن الرجل سيطر على الفكر اللغوي والثقافي وعلى التاريخ ، ثم تأتي "المرأة إلى اللغة بعد أن سيطر الرجل

2_عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب، القاهرة، 1982، ص 199.

2_ ماجد حمودة، النقد الأدبي الفلسطيني في الشتات، ط1، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر ، نقوسيا ،1992،ص91

3ــ عبد الله الغدامي، ثقافة الوهم، ص66.

على كل الإمكانات اللغوية، وقرر ما هو حقيقي وما هو مجازي في الخطاب التعبيري ولم تكن المرأة في هذا التكوين سوى مجاز رمزي أو مخيال ذهني يكتبه الرجل وينسجه حسب دواعيه البيانية والحياتية" .([1])

ويتابع الغدامي رأيه قائلا أن اللغة تنقسم إلى لفظ و معنى، جاعلا اللفظ مقدما على المعنى معتمدا على رأي عبد الحميد الكاتب الذي يرى أن" خير الكلام ما كان لفظه فحلا و معناه بكرا" وبذلك يسيطر الرجل على اللفظ، على الكتابة التي احتكرها لنفسه ويبقى الحكي للمرأة.([2])

وبهذا يقرر أن اللغة للرجل، أما المرأة فهي موضوع لغوي اعتمادا على كون اللغة لفظا ومعنى " وبما أن المرأة معنى والرجل لفظ، فهذا يقتضي أن تكون اللغة للرجل وليست للمرأة، فالمرأة موضوع لغوي، وليست ذاتا لغوية"[3] هذا هو المفهوم الثقافي العالمي عن المرأة ففي كل ثقافات العالم تظهر المرأة كمعنى من معاني اللغة، في الأمثال والأساطير والحكايات، فلم تعرف المرأة من قبل على أنها فاعل لغوي أو كائن مستقل وقائم بذاته، فالمعنى البكر يحتاج دائما اللفظ الفحل كي يمشي تحت ظله، كما يرى أن المرأة تبنت لغة الرجل حين خرجت من مرحلة الحكي ودخلت مرحلة الكتابة ولكنه يرى أنها " تدخل إلى أرض معمورة بالرجل أو هي مستعمرة ذكورية، والمرأة لا تدخل الكتابة بوصفها سيدة النص، إذ أن السيادة النصوصية محتكر ذكوري، وتأتي المرأة بوصفها ناتجا ثقافيا جرت برمجته وجرى احتلاله بالمصطلح المذكر والشرط المذكر"[4]و يرى أن سيطرة الرجل على اللغة وتبني المرأة لغته أخضعها للأعراف اللغوية الذكورية، وجعلها تساهم في هذا التحول المستمر باتجاه الذكورة ف" صار الحضور المذكر هو جوهر اللغة وتعمقت الذكورة في اللغة عبر الكتابة حتى صارت وجهها وضميرها ، وكلما تصاعد المستوى اللغوي تعمقت معه الذكورة، فقمة الإبداع هي الفحولة" .([5])

---

[1]ــ عبد الله الغدامي، المرأة واللغة،ص7.

[2]– المرجع نفسه، ص7.

[3]ــ عبد الله الغدامي، المرأة واللغة ، ص8.

[4]ــ عبد الله الغدامي، المرأة واللغة ، ص47.

[5]ــ المرجع نفسه، ص27.

فالمرأة لم تجد وسيلة سوى أن تكتب مثلما كتب الرجل، الأمر الذي حرمها من احتلال مكانة بارزة في إنتاج الكتابة، لأنها تكتب وفق النموذج الذكوري فالكتابة العربية عموما ما تزال" أسيرة مفاهيم ذكورية ولغة ذكورية برغم نضالها الجسدي والأدبي من أجل المرأة،إذ ما تزال أطروحة اللغة غير الجنسوية رهينة جدران الاجتماعي الذي تتكئ عليه بقوة ودونما وعي، أولئك النساء اللواتي يحاولن اجتراح الجديد، وتقويض المتهرئ من قيم الحاضر والماضي، وأمثلة ذلك لا تحصى فالقاعدة العامة هي تذكير المؤنث، والاستثناء القليل هو تأنيث المؤنث" [1] فرغم دخول المرأة مجال الكتابة إلا أنها في بداياتها عانت من عدم تقبل المجتمع وسخريته من إبداعها فلجأت بعض الكاتبات إلى انتحال أسماء ذكورية أو أسماء مستعارة للكتابة في المجلات والصحف وحتى في طرح العديد من الروايات والقصص والدواوين الشعرية، لأن المجتمع لم يتقبل بعد خوض المرأة ميدان الكتابة، لارتباط لغتها ــوفق المخيال الشعبي ــ بالسذاجة والسطحية، "إنها تلج اللغة عبر قنطرة الرجولة، فهي بــوابتها الشرعية لتمنحها القبــول والسيــرورة، فالمرأة دوما مســكونة بهاجس إرضاء السائد وتجنب الانتقاد"([2])

لكن بمرور الوقت وازدياد وعي المرأة وتحررها، أدركت حقيقة عدم التسليم باستلاب الرجل للغتها الأنثوية وتحويلها إلى لغة ذكورية وتحينت الفرص كي تسترجع ما سلب منها، وفي ذلك يقول الغدامي" ومن إدراك المرأة الكاتبة لهذا المفصل الإبداعي راحت تحتال لكسر الطوق الذكوري المضروب على اللغة، وراحت تسعى إلى (تأنيث الذاكرة) لأنه ما لم تتأنث الذاكرة فإن اللغة ستظل رجلا، ولن تجد المرأة مكانا في خزان اللغة المكتنز بالرجال والفحولة."([3])

وسعي المرأة لتأنيث اللغة عن طريق تأنيث الذاكرة لم يتحقق بعد حسب رأي الغدامي ، لكنه يرى أن المرأة تسلك الاتجاه الصحيح الذي يضمن لها ذلك في المستقبل فيقول" وإنه لمن الجلي أن تأنيث اللغة لن يتحقق إلا بعد أن تكتنز الذاكرة الثقافية بالمعنى

---

[1] ــ زليخة أبو ريشة، أنثى اللغة، ص74.

[2] ــ عيسى برهومة، اللغة واختلاف الجنسين، ص41.

[3] ــ الغدامي، المرأة واللغة، ص 208.

المؤنث والأنوثة، وهو شرط لم يتحقق بعد ولكن المرأة الجديدة تسير باتجاهه بوعي واضح وإبداعية واثقة"([1])

وهنا نطرح تساؤلا مهما هو كيف يمكن للمرأة أن تتحرر من السيطرة اللغوية الذكورية ؟ وهل استطاعت ذلك عبر كتابتها؟

أشرنا سابقا إلى خصوصية السرد النسوي العربي في مرحلة تطوره الأخيرة وثورته على الأعراف والتقاليد الأدبية في مستوى التيمات والمستوى الجمالي، وإضافة إلى هذا تلعب اللغة دورا مهما وفعالا في هذه الثورة، فبذلت المرأة جهودا كبيرة في سبيل التخلص من السيطرة اللغوية الذكورية من خلال توظيف تقنيات كتابة جديدة خاصة بها تسعى من خلالها لتحقيق ذاتها فـــ " أولى خطوات تحقيق الذات مواجهة سطوة اللغة ومناقشة أنماطها للخروج من أسر النمطية الاجتماعية" ([2]) ، وقضية اللغة أهم قضية في الكتابة النسوية" فهي في حد ذاتها باعتبارها أهم الأنظمة الرمزية ،باعتبارها أداة الهيمنة باعتبارها لوحة التحكم، باعتبارها قناع التواصل، هي أهم قضية يطرحها السرد النسائي بالتالي فليست أسلوبية السرد النسائي مجرد معادلة لتحقيق ذات صارخة محاصرة تتخذ اللغة وسيلة للحضور والإعلان فقط، وإنما هي الأسلوبية بعلاقتها الجدلية بالموروث اللغوي، محطات يجب الوقوف عندها لقراءة ذاتنا الكلية المأزومة حضاريا". ([3])

المظاهر اللغوية للكاتبة التي تسعى إلى خرق المحظورات الأدبية والاجتماعية متعددة وتتمثل في:

ــ ارتباط لغتها بجسدها فتؤكد نصوص الكتابة النسوية الحديثة مدى اهتمام المرأة بجسدها فنلحظ ارتباطا وثيقا بين جسدها ولغتها، والغرض من هذا الاهتمام هو إعلاء شأن الذات الأنثوية وخرق المحضورات الذكورية.

ــ كثرة استعمال اللغة الجنسية، ويتجلى ذلك في كثير من إبداعات المرأة التي تخرق المحظورات بالأحاديث الجنسية الحارة والصريحة.

---

[1] ــ المرجع نفسه، ص235.

[2] ــ قطب سيد محمد السيد وآخرون، في أدب المرأة ، ص58.

[3] ــ قطب سيد محمد السيد وآخرون، في أدب المرأة ، ص103.

ــ العناية باللغة الشعرية والرومانسية، ويظهر ذلك في استعمال الاستعارة والمجاز اللذان يعطيا للغتها هوية شعرية، وتتعمد المرأة استعمال هذه اللغة الشعرية بشكل مكثف في إبداعاتها كوسيلة مقاومة للغة الذكورية، ومن ناحية أخرى تريد أن تنهض بلغتها وأن تعطيها طابعا خاصا وراقيا.

ــ مزج اللغة المحكية باللغة الفصحى، إذ يقوم السرد على اللغة الفصحى، بينما الحوار باللغة العامية، والغرض من ذلك تقريب الحدث من الواقع، وهذه ظاهرة متميزة في الأدب النسوي إضافة إلى ذلك توظف الكاتبات بعض الألفاظ الأجنبية .

ــ توظيف لغة غامضة ومعقدة، كوسيلة من وسائل مقاومة اللغة الذكورية، فبعض نصوصها تحتاج إلى إعمال الفكر وتّدبر العبارات، وملء فجوات المعلومات الناقصة بفهم الحديث من السياق، وذلك لتأسيس لغة أنثوية خاصة بها تختلف عن اللغة الذكورية المتسمة بنثريتها ومعياريتها، وهذا يشير إلى الدور البالغ للغة في الكتابة النسوية.

4 ــ خطاب المرأة:

ليس من السهل دراسة الخطاب النسائي بشكل عام في أي مجتمع من المجتمعات نظرا لما يرتبط به من صعوبات ابستيمولوجية وسوسيولوجية ودينية وإيديولوجية وغيرها، كما لا يمكن التحدث عن خطاب المرأة بمعزل عن الخطاب النقدي المرتبط بخطابها، والغرض منه تحديد مكانة المرأة ضمن المنظومة الثقافية _منظومة الخطاب عموما، **فهل استطاعت المرأة أن تجعل من خطابها موازيا لما وصل إليه الرجل ؟ خطابا لا يقل عنه ولا يقبل أن يكون ملحقا به أو تابعا له، وهل استطاعت أن تؤسس خطابها الخاص بعيداً عن النسق الذكوري المهيمن؟**

إن الخطاب المنتج حول الرجل والمرأة قد ترك رواسبه في تمثّلات الحياة المختلفة، فرسخ في الذاكرة تفوق الرجل وحضوره، وتراجع المرأة عن الفعل والتأثير مما جعل الخطاب يتحدث عن مطلق المرأة / الأنثى، ويضعها في علاقة مقارنة مع مطلق الرجل/الذكر " وحين تحدد علاقة ما بأنها بين طرفين متقابلين أو متعارضين يتعين ضرورة خضوع أحدهما للآخر، واستسلامه له ودخوله طائعا منطقة نفوذه، فإن من شأن الطرف الذي يتصور نفسه مهيمنا أن ينتج خطابا عنصريا بكل معاني الألفاظ ودلالتها" ([1])

أ ــ الخطاب النسوي المعاصر : يقصد به أفكار المرأة التي تطرحها في بنية نصية أو سردية، بحيث يقوم على محاولة لاكتشاف هويتها، و"مصطلح الخطاب النسوي هو دال إلى حد كبير على خصوصية ما تكتبه المرأة مقابل ما يكتبه الرجل، وهو ذلك المنجز الذي يصدر عن المرأة على خلفية وعي متقدم ناضج ومسؤول لجملة العلاقات التي تحكم وتتحكم في شرط المرأة في مجتمعها ....تعي كاتبته القضايا الفنية والبنائية واللغوية الحاملة للقدرات التعبيرية المثلى عن حركة التيارات العميقة المولدة للوعي النسوي الجمعي، والوعي الاجتماعي الكلي المحيط به، والمشتبك معه في صراع حي ومتجدد بالغ الحيوية"[2] إن خطاب المرأة بالأساس مشروع إيديولوجي وليس مشروعا لغويا، لأنه يسعى إلى إعادة تفكيك النصوص والأفكار والقوانين التي قام عليها تمييز المرأة اجتماعيا

---

[1]ــ نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف، ص29.

2_ نازك الأعرجي، صوت الأنثى، دراسات في الكتابة النسوية العربية، الأهلي للطباعة والنشر،1997 دمشق،ط1 ص24.

وثقافيا ثم لغويا، لإماطة اللثام عن سياسة التمييز التي مورست ضدها في المجتمعات الذكورية، وهذا لا يتطلب إعادة النظر باللغة وقوانينها، بل بالممارسات الخطابية التي شكلت خطابا ذكوريا دأب على إلحاق المرأة به.أي أن خطاب المرأة مشروع إيديولوجي تحريري، يحرر المرأة من صورتها النمطية في الثقافة والمجتمع والأدب والفن، ويحررها أيضا من سلطة المجتمعات الذكورية، ويهدف إلى أن يحقق لها الاستقلالية الإنسانية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا لتقوم بقراءة جديدة لذاتها وتجربتها منطلقة في ذلك من ذاكرتها يحمل الخطاب النسوي خصوصية كبيرة، ويستقي أدواته من العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتحليل النفسي، فغالبا ما نجد فيه عبارات مستقاة من العلوم الاجتماعية، من قبيل: الحركة النسوية، مواجهة، معايشة، قهر، استغلال الرجل للمرأة مجموعة مهيمنة، مجموعة مهيمن عليها ،جدلية.....إلخ ومن اللغة السياسية والنقابية نجد: برنامج الصراع، التجمع المركزي، لجنة،عضو، مفوض، إدماج ،تسيير، بعد تاريخي، قاعدة اجتماعية([1]) .....ونجد كذلك في الخطاب النسوي عبارات مثل: عالم الذكور، القيم الذكورية الهيمنة الذكورية ....وغرض المرأة من استخدام هذه العبارات في خطابها هو إبراز قدرتها على التعبير، فوعي المرأة بالقمع الممارس عليها لا يكفي مادامت لا تستطيع التعبير عن رفضها له بخطاب قوي ومؤثر، يحمل لغة مناسبة تعبر بدقة عن معاناتها، والخطاب النسوي في يومنا هذا عرف انتشارا واسعا، حيث أصبح متداولا في اللغة اليومية وتداخل مع الخطاب العام، وذلك بفضل مروره عبر وسائل الإعلام التي أتاحت له انتشارا أكبر.

[1]_ Yaguello, Les mots et les femmes ,p70,71 .

ب ــ خطاب المرأة العربية:

عرفت المجتمعات العربية تطورا وتغييرا سريعين منذ منتصف القرن الماضي، كما شهدت المسألة النسوية تطورا واهتماما كبيرين من قبل الجهات الرسمية والخاصة على حد سواء، وصاحب هذا التطور بروز خطاب نسوي يهتم بقضايا المرأة العربية ويدافع عنها، فعملت المرأة على إيصال خطابها هذا إلى مختلف الجهات عن طريق النزول إلى الشوارع في تظاهرات بمناسبات مختلفة، والاهتمام بالعمل الاجتماعي الذي وجدن فيه أرضية خصبة لإسماع صوتهن وتحقيق إرادتهن بالعمل المحسوس والواقعي، وتحسيس الرأي العام، والنساء بوجه خاص، بحقوقهن وواجباتهن، وتعبئتهن ضد كل أصناف التمييز الجنسي والتهميش، كما وظفت المرأة مجال الإبداع الفني والأدبي بمختلف **أشكاله** من شعر وقصة ورواية ، ووظفت مجال السينما ومجال الصحافة النسائية لذلك.

لكن رغم الجهود التي بذلت في تغير أحوال المرأة العربية و تحسينها ،لا يزال خطابها عاجزاً وخائفاً ومتردداً ومغلفاً بالكبت، فالباحث المدقق فيما يطرحه الخطاب النسوي من قضايا وإشكاليات، لا يجد صعوبة في أن يقف على مدى حالة التغريب التي يعيشها الخطاب الذي لم يكتف بأن يقتبس من الغرب طرقه في معالجة قضايا المرأة، بل إنه سحب القضايا التي تعاني منها المرأة الغربية وأسقطها على المرأة العربية، فمعظم الخطاب النسوي " ينطلق من مرجعية حداثية لينعكف ، بعد ذلك، على القيام بالتوفيق بين دعواه وبين الخطاب الأصولي، وكثيرا ما يهمل الانطلاق من الحراك السياسي والثقافي والتطور الاجتماعي والاقتصادي الذي عرفه المجتمع، ومن ثمة اعتبره التيار الديني خطابا غربيا"([1]) .

ولا شك أن تركيز الخطاب على مثل هذه القضايا الوافدة، وابتعاده عن التصدي للقضايا الحقيقية التي تواجهها المرأة العربية قد باعد بينه وبين قضاياها، وأدى إلى تحوله إلى خطاب نخبوي وليس إلى خطاب جماهيري، فظروف المرأة العربية تختلف كل الاختلاف عن نظيرتها الغربية وبالتالي يختلف نضالهما، فالمرأة العربية تحتاج إلى آليات

1ــ مصطفى محسن، قضية المرأة وتحديات التعليم والتنمية البشرية، سلسلة المعرفة للجميع، رقم 15،منشورات رمسيس، الرباط، 2000،ص 78.

خاصة بها، ومناسبة تستطيع من خلالها طرح شؤونها في شكل خطاب جدي يضمن لها حقوقها ويحسن أحوالها.

وليست هذه هي المشكلة الوحيدة التي يعاني منها الخطاب النسوي العربي فالخطاب يقع في أخطاء منهجية عديدة حينما يحاول معالجة قضايا المرأة بمعزل عن قضايا المجتمع ككل، وحينما يعادي الرجل لأسباب غير مفهومة، وحينما يظل معزولا عن الخطاب السياسي العام، ولا يندمج معه ليصبح خطابا موحدا، يطرح أهم المشاكل والتحديات التي ترمي إلى تحسين وضعية كافة أفراد المجتمع في كل المستويات الاقتصادية والثقافية والسياسية.

وإضافة إلى هذا نلاحظ عدم تجاوز المرأة للخطاب الذي كرّسه لها النظام الأبوي السائد، فما زال هذا الخطاب يقوم على تشكيلات خطابية تدور في إطار المفهومات والاصطلاحات التقليدية، ولم يتمكن خطاب المرأة ــ إلا باستثناءات قليلة ــ من التوصل إلى تحليل موضوعي يستجيب لما تريد المرأة قوله، انطلاقاً من حاجتها وعلاقتها بالمجتمع ودورها فيه، وتحقيق مثل هذه النقلة النوعية في خطاب المرأة المعاصرة ،لا يمكن أن تتحقق إلا في ظلّ مجتمع مدني يحق فيه للإنسان، ذكراً كان أم أنثى، أن يصوغ ما يشاء من مواقف وأفكار وأحاسيس في نطاق الحقوق والواجبات التي يتيحها هذا المجتمع بمؤسساته المدنية.

فالمرأة متى أتيحت لها الفرصة للتعبير عن انشغالاتها وأفكارها أنتجت خطابا يضمن لها مكانة محترمة في المجتمع، ف" الأنثى حين تتمتع بحرية الخطاب وتنوع الاستعمال بما يوائم الدور المنوط بها، فإنه سيغتني معجمها الذهني ويتنوع وهذا يؤكد ارتباط قوة الخطاب بروافد الحضور"([1]) ، لكن نحن في مجتمع أحيانا لا يستطيع فيه حتى الرجل التعبير عن آرائه، فإنتاج الخطاب في المجتمع العربي هو إنتاج مراقب ومنتقى ومعاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها الحدّ من سلطانه ومخاطره، فما بالك أن يكون منتج هذا الخطاب امرأة.

[1] ــ عيسى برهومة، اللغة واختلاف الجنسين،ص40.

خلاصة الفصل: يمكن القول أنه بالرغم من المكانة التي تشغلها المرأة العربية الآن في المجتمع في شتى الميادين، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ورغم كل الحقوق والمكتسبات التي وصلت إليها والتي أكسبتها مكانة مهمة، فإن العديد من الصعوبات والعراقيل التي لا زالت تحول دون تبوءها المكانة اللائقة بها، ولعل ذلك يتجلى في فشل الخطاب النسوي العربي بصورته الراهنة، وعجزه عن تحقيق ما يدعو إليه رغم مرور ما يربو عن قرن من انطلاق مسيرته، فما زالت المرأة العربية تعاني من الأمية وما زالت تواجه صورًا عديدة من القهر والظلم، أما دواعي فشل هذا الخطاب الحقيقية فهي إخفاقه في تشكيل قوة نسائية حقيقية تعبر عن مطالب المرأة العربية لا الغربية .

إذا عجز هذا الخطاب عن التأسيس لقطيعة مع التصوّر التّقليدي للعلاقات بين الجنسين، وعن تشكيله لحراك فعلي يقضّي على آليات السيطرة الذكوريّ، و يبرز قدرات المرأة، فبالجد والاجتهاد تستطيع المرأة فرض ذاتها وحقوقها واحترامها، بدلا من افتعال معارك في الفلسفة النسوية وتصوير الرجل مصدراً للقهر، وهو ما حققته البلاد المتقدمة التي استطاعت المرأة والرجل فيها الوصول إلى الحد المناسب من تجاوز خط الفقر، ولذا تظل مثل هذه المعارك المرتبطة بالتفوق الجنسي مطروحة فقط في البلاد النامية.

الفصل الثالث:

الأنوثة/ النوع/ اللغة

1ــ المبحث الأول: الخصائص التي تميز لغة المرأة

2ــ المبحث الثاني: موقع المرأة في اللغة العربية

المبحث الأول:الخصائص التي تميّز لغة المرأة.

1-الخصائص الصوتية والنطقية.

2_الخصائص النحوية والتركيبية والأسلوبية.

3-الخصائص الدلالية.

4_السلوك غير اللفظي للجنسين.

الخصائص التي تميز لغة المرأة :

يعتبر موضوع اللغة من أهم المواضيع التي أثارتها الحركات النسوية، فقد اهتمت الناقدات بمسألة استخدام النساء للغة على عدة مستويات كعلم الاجتماع وعلم النفس والتربية والأسلوبية والنقد الأدبي ....وطرحن سؤال ما إذا كان الرجال والنساء يستعملون نفس اللغة بأساليب مختلفة، وهل يمكن تحديد الفروق الجنسية في استخدام اللغة على أسس بيولوجية أو اجتماعية أو ثقافية؟ على اعتبار أن الجنس من العوامل المؤثرة في اللغة مثله مثل الطبقة الاجتماعية والمنطقة الجغرافية والمستوى الثقافي، كما أثرن أسئلة حول ما إذا كانت هناك خصوصيات جنسية مميزة في لغة الحديث والكتابة ؟ وهل تملك المرأة لغة خاصة بها؟

أشار علماء العربية قديما إلى التمايز اللغوي بين الجنسين، ويظهر ذلك في قول ابن جني حين عرض أسلوب الندبة: " إن أكثر من يتكلم بهذا الأسلوب النساء"([1])، وفي تعليق الباقلاني على قول امرئ القيس " **لك الويلاتُ إنّك مُرْجِلي** " بقوله" وهذا من كلام النساء"([2])، ولعل التوسع في دراسة التأنيث بمستوياته اللغوية المختلفة يدل على الاهتمام بهذه الظاهرة، فخصصت العربية صيغا وألفاظا للنساء وحدهن ك: كاعب، حامل، عانس، ناهد، مرضع..... و" ظاهرة التأنيث صرفيا ونحويا في اللغة العربية محورها المرأة، وهي تفرد المرأة بنمط من الخطاب اللغوي خاص بها هو خطاب التأنيث في اللغة العربية"[3]

واهتم الدارسون حديثا بالخصائص اللغوية للجنسين، متتبعين ذلك في لغة الحديث وفي وسائل الاتصال غير اللفظية، وتوصلوا إلى جملة من السمات تميز لغة الرجل عن لغة المرأة، وازدادت العناية بالتمايز اللغوي للجنسين حين شارك علماء الاجتماع والباحثين في حقل الإناسة و" ربطوا بين الخصائص اللغوية ومتغيرات الجنس والمجتمع والبيئة، وأثر ذلك على الكلام، ولم تبق هذه الانطباعات نتاج الملاحظة وحسب، بل انبرى العلماء لإجراء الاختبارات وتسجيل الوقائع اللغوية، للوقوف على الخصائص اللغوية للجنسين

---

[1] ــ ابن جني، اللمع في العربية،دار الكتب، الكويت ،2010 ص12.

[2] ــ الباقلاني، إعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997، ص81.

[3] ــ كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة،1997، ص211.

والعلل الكامنة في هذا التباين " ([1])، كما بدأ الاهتمام بلغة المرأة في منتصف القرن السابع عشر، وتزايد هذا الاهتمام مع مطلع القرن العشرين ف" احتلت دراسة اختلافات الجنسين اللغوية منذ الستينيات من هذا القرن مكانا هاما في حقول الدراسات الاجتماعية واللغوية والنفسي، وأخذت بعض الجامعات في تدريس مقررات مستقلة عن (السلوك اللغوي لكل من الرجل والمرأة)" ([2])

ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى الاهتمام بهذا الموضوع ارتباطه بعدة مجالات علمية، فإلى جانب علماء اللغة والاجتماع والأنتروبولوجيا تناوله علماء النفس والتربية والأسلوبية والنقد الأدبي، كما أن لنهوض الحركات النسوية الأثر البالغ في البحث في الخصائص اللغوية للجنسين، من خلال دراسات تعنى بالمرأة واللغة، وأشكال التحيز اللغوي وسبل تعديله ومن أهم هذه الخصائص ما يلي :

1-الخصائص الصوتية والنطقية :

تختلف الأصوات فيما بينها نتيجة لاختلاف خصائصها، فلكل صوت مميزات تجعله متفردا وتعطيه طابعا خاصا، وهذه الخواص تتوفر في كل صوت بدرجة معينة، ومنها درجة الصوت، والتي تعتمد على تردد الموجات الواصلة للأذن، وهي تميز الأصوات الرفيعة(الحادة) من الأصوات الغليظة ونوع الصوت الذي يتوقف على نوع مادة المصدر، وطريقة توليده، وتمكننا هذه الخاصية من التميز بين صوتين متساويين بالعلو والدرجة لكنهما من مصدرين مختلفين.

كما يتفق معظم اللغويين على وجود مكونات صوتية تميز صوت المرأة عن صوت الرجل، وهذا الاختلاف يعرف ب " **البصمة الصوتية للجنسين** "، وحدد العلماء عددا من هذه المكونات نعرضها فيما يلي:

ـ حدة صوت المرأة بالنسبة إلى صوت الرجل، فالنساء يتكلمن بطبقة صوتية عالية ورفيعة تتشابه مع الطبقة الصوتية عند الأطفال، " لأن الوترين الصوتيين للأطفال

---

[1] ـ عيسى برهومة، اللغة والجنس، ص116.

[2] ـ أحمد مختار عمر، اللغة واختلاف الجنسين، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1997، ص 8.

والنساء أقصر وأقل ضخامة، ويؤدي هذا إلى زيادة في سرعتهما وعدد ذبذباتهما في الثانية " ([1]) ، وهذا بدوره يؤدي إلى حدة الصوت.

ـ تليين بعض الأصوات وبخاصة المفخم منها، ونطقها بطريقة تشبه نطق نظيراتها المرققة، فالمرأة تميل إلى ترقيق الأصوات غالبا، لاسيما أصوات الإطباق(ص،ض،ط،ظ) كما يحدث في نطق كلمات مثل : القرآن، القاهرة، الطيور، الصراخ.....، ومثل هذه الأصوات " لا تظهر قيمتها الدلالية إلا بالتفخيم، بيد أن المرأة تنزع في نطقها إلى الترقيق فتشرب الطاء تاء، والظاء دالا أو زايا، والصاد سينا وتنطق الراء المفخمة كالراء المرققة أخذا بالدّارجة " ([2])

وترى كامرون (Cameron) " أن الرغبة في التميز لدى النساء تدفعهن إلى ترقيق أصواتهن، وليست عوامل فسيولوجية " ([3])، ونلاحظ مثل هذه الظواهر عند النساء اللواتي ينتقلن من القرى والأرياف إلى المدينة، فهن يعملن على إتباع لغة نساء المدينة فيرققن أصواتهن تشبها بهن.

ولعل هذا هو الذي عناه القرآن الكريم حين نهى نساء النبي عن إخضاع القول في قوله تعالى : " **فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ** " ([4])، و قد فسر القرطبي الإخضاع بترخيم الصوت وتليينه.

ـاستعمال النموذج النطقي الصحيح والحديث، فالنساء أشد إتباعا لطريقة النطق الحديث، فهن لا يعشن جيلهن فحسب بل يشاطرن الأجيال الناشئة حياتهم كذلك و" معنى ذلك أن البيئة اللغوية للمرأة بيئة الجيل الناشئ، أما البيئة اللغوية للرجل فهي بيئة الشباب والكهول" ([5])، فالمرأة هي التي تحفظ اللغة.

ونلاحظ كذلك هذه الظاهرة بين الطالبات في الجامعات " حيث تميل الطالبات ـــ خاصة اللواتي أتين من بيئات قروية أو بدوية ـــ إلى إتباع لغة أهل المدن، فيرققن

---

[1] _ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة لأنجلو المصرية،القاهرة ، ط5 ،1922م، ص8.

[2] _ عيسى برهومة ،اللغة والجنس ، ص124.

[3] _ Cameron (Deborah) ,Feminism and Linguistic Theory, London,Macmillan,1985,P52.

[4] – سورة الأحزاب الآية 32

4_ جسبرسن، اللغة بين الفرد والجماعة، ترجمة عبد الرحمان محمد، مكتبة نهضة مصر، ب ت ،ص36.

الأصوات وينطقن القاف همزة، إلى غيرها من الظواهر الصوتية الشائعة بين أهل المدن ظنّا منهن أن ذلك أقرب إلى التحضر والرقي " ([1])

ـ كثرة استخدام المرأة للتنغيم في كلامها، ويظهر ذلك جليا حين تحكي المرأة قصة ما فهي توظف تلوينات صوتية في سردها، ذلك وقد أثبتت التجارب أنها تملك القدرة على إحداث تنوعات في درجة صوتها، وفي نماذجها التنغيمية وبخاصة في الضحك ــ بما تحمله ضحكات الأنثى من أنوثة و نعومة ــ أو حين تعبر عن دهشتها أو سعادتها حيث " يلف تنغيم المرأة غلالة من العاطفة واللين، لذا تبدو أصوات الإناث أكثر موسيقية وإيضاحا من أصوات الذكور". ([2])

ـ تميل المرأة في كلامها إلى السرعة النسبية، فقد أجريت دراسة عن إنتاج الكلام عند الرجل والمرأة وجدت أن " المرأة تنتج 1.68 كلمة في الثانية عندما تتكلم مع رجل و 2.43 كلمة في الثانية حين تتحدث مع امرأة، أما الرجل فينتج 2.13 كلمة في الثانية حين يتحدث مع رجل و 2.02 كلمة في الثانية حين يتحدث مع امرأة " . ([3])

---

[1]ــ عيسى برهومة، اللغة والجنس، ص 124.

3 ـ عيسى برهومة، اللغة والجنس ، ص122.

2_الخصائص النحوية والتركيبية والأسلوبية:

يؤكد اللغويون على وجود عدد من الخصائص التركيبية والنحوية والأسلوبية تميز لغة المرأة، فالمرأة تختلف عن الرجل في أسلوب كلامها أو تنغيماته أو في تراكيب جملها أو اختياراتها لمفرداتها، أو حتى مقاصد عباراتها، ويمكن رصد هذه الخصائص فيما يلي:

– تكثر المرأة من استخدام صيغة السؤال وخاصة الأسئلة القصيرة وذلك لغرض تأكيد شيء ما، ومن أمثلة ذلك " أليس كذلك؟ هل توافقني؟ " .

وكثرة استخدامهن للأسئلة التذييلية تعتبر واحدة من الصيغ اللغوية المرتبطة بالتردد وعدم الجزم، حيث تفترض **روبين لاكوف**(**lakoff Robin**) " أن استخدام المرأة للسؤال القصير يعكس شخصيتها وهو جزء من عدم أخذ المرأة على محمل الجد لأن مثل هذا الاستخدام للسؤال يؤكد أنها لا تستطيع أن تصدر قرارا، وبالتالي عدم الثقة بها لتحمل المسؤولية " ([1])، فالمجتمع لا يمنح الثقة للمرأة وبالتالي نجدها مترددة وغير واثقة بنفسها وبالتالي تختم كلامها بأسئلة من قبيل أليس كذلك؟ صحيح هذا؟ .....

كما يمكن تفسير كثرة استخدام الأسئلة التذييلة بما يلي:

ــ تجنب التأكيد لغرض إعطاء فرصة للسامع بأن يخالف أو يوافق.

ــ عادة ما يصدر المرء حكما صريحا عندما يكون متأكدا منه، ومن تصديق السامع له ويستعمل السؤال حين جهله لبعض المعلومات التي قد يجدها في إجابة المخاطب.

ــ عادة ما يلتمس مستعمل الأسئلة القصيرة التأييد في رد المخاطب فــ " المتكلم حين يقول :هل محمد هنا ؟ فربما جاءت الإجابة بنعم أو لا، ولكن حين نقول: محمد هنا ...أليس كذلك ؟ فمن الواضح أن الجملة تعكس تحيزا نحو الإجابة بنعم، وهي تضع الإيحاء بالتأييد في نفس المخاطب وتلتمس الموافقة منه، إن مثل هذا السؤال يعطي المخاطب زاوية ينحرف إليها، ولا يرغمه على أن يصدر موافقته لوجهة نظر المتكلم وإن كان يوجهه إليها" ([2])

ــ يعتبر هذا النوع من الأسئلة بما يحمله من تنغيم مظهرا من مظاهر تأدب المرأة وذلك بتركها القرار مفتوحا للمخاطب دون فرض رأيها عليه.

---

[1]_ Deborah Cameron , Feminism and Linguistic Theory, P246.

[2]_ أحمد مختار عمر، اللغة واختلاف الجنسين، 107 .

ــ لأجل إضفاء جوا من الحيوية على المناقشة ولغرض جعل الحوار ممتدا مع السامع.
ــ تميل المرأة إلى استخدام الصيغ المعيارية وتحرص على صحة القواعد النحوية في كلامها " فالنساء يستخدمن لغة أكثر صحة وأكثر معيارية من الرجال، وأنهن ينطقن الكلمات بصورة تتفق مع الشكل المعياري أكثر مما يفعل الرجال سواء في مجالسهن المنفردة أو في مجالس المحاورة " . ([1])
ولعل استعمال النساء للصيغ الصحيحة غرضه تعويض تبعيتهن أو ضعف المكانة في جوانب أخرى من حياتهن هذا الضعف الذي فرضه المجتمع بتهميشه لإمكانياتهم وقدراتهم، كما أن هذا الاستعمال يتلاءم مع طبيعة فرص العمل المتاحة للمرأة كالتدريس والسكرتارية، والاستقبال وغيرها...
ــ تتميز لغة المرأة كذلك بالميل إلى استخدام صيغ المبالغة في التأدب" لأن النساء يرغبن أكثر من الرجال في كسب ود الناس واحترامهم، والاهتمام بمشاعرهم، واجتناب كل إستراتيجية إطرائية من شأنها إلحاق الأذى بصاحبها، ومن ثم فإن النساء بهذا الصنع يكرسن بشكل قوي مبدأ التضامن/ التقارب الاجتماعي، ويتجنبن السلوك الذي يكرس التباعد الاجتماعي"([2]) ويظهر تلطف المرأة في استعمال الأساليب غير التأكيدية والإقلال من التراكيب الدالة على الأمر لطلب فعل ما، فيشيع في حديثها عبارات مثل " من فضلك إذا تكرمت ، إذا سمحت...الخ "
فالنساء " يملكن القدرة على التكيف وهن خبيرات في وسائل التلطف وفي إتباع الطرق الصحيحة لمخاطبة الآخرين، ولهذا فهن يكثرن من استعمال كلمات الشكر والاستئذان وغيرها" ([3])، وهذا لا ينفي لطافة وتأدب الرجال لكن رغبة النساء في تمتين العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع جعلت لغتهم أكثر تأدبا.
ــ تكثر المرأة من استخدام الجمل المفتوحة وغير كاملة (غير المحددة)، وهذه الخاصية أشار إليها الكثير من الدارسين ومن بينهم جسبرسن، فالمرأة تنتقل من فكرة إلى أخرى

[1] _ Robin Lakoff ,Language Women's Place ,USA ,1976,p55.
[2] ــ عبد النور خراقي، علاقة اللغة بالجنوسة، مقاربة تداولية اجتماعية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 2012، ص61/62.
[3] _ Robin Lakoff ,Language Women's Place,p55.

ولا تضع الروابط بين الجمل، لذا يتسم كلام المرأة بالتنوع وتراسل الأفكار أكثر من حديث الرجل الذي يميل إلى التحديد والتكثيف وحصر الموضوعات " . ([1])

ــ أثبتت الدراسات أن المرأة تستخدم الأسماء أكثر من الأفعال، و" يعلل بعض الدارسين هذا التفاوت في استخدام الأفعال والأسماء إلى طبيعة كل جنس فالتعبير بالفعل يفيد "سيطرة فعالة " أما التعبير بالاسم فيفيد " قبولا غير فعال" . ([2]) فكلام المرأة لا يأخذ على محمل الجد، ولا يؤثر في المستمع بقدر كلام الرجل، لكن يبقى هذا مجرد رأي فرضه المجتمع وأكد عليه، والتجارب تثب أن للنساء قدرة على الإبداع والخلق والتأثير.

ــ كذلك من خصائص لغة المرأة استعمال الجمل التعجبية والاعتراضية التي فيها تعبيرات مثل : يا إلهي، حقا، صدقا، فعلا، ما أروع، ما أجمل....، كما تستعمل الألفاظ المدعمة والمبالغة مثل: مطلقا، رائع، كبير...، لكن هذا لا يقتصر على كلام المرأة، فقد يستعمل الرجل هذه التعابير في كلامه بنفس القدر ولنفس الغرض.

ــ يقال أن المرأة تتكلم بكثرة، وأنها تتحدث طويلا ولكن عندما تتكلم لا تقل شيئا، وجميع لغات العالم تحتوي على تعابير لوصف النساء بالثرثرة، وفي جميع ثقافات العالم يوجد أمثال شعبية تؤكد على كلام المرأة الكثير وعلى قلة جودته، فالمثل الإنجليزي يقول: " الصمت هو أحسن حلي المرأة إلا أنها قليلا ما تتقلده"، والمثل الصيني يقول" لغة النساء كالسيف، لا تتركه المرأة يصدأ " إذا الاتفاق قائم على أن المرأة كثيرة الكلام وتبالغ في استخدامه، لكن "بعض الدراسات بينت العكس، وأن الرجال يتكلمون أكثر، وهم أميل إلى الثرثرة من المرأة ، وإن كانوا يلتمسون لها المشروعية تحت ستار الإلمام بالأحاديث السياسية والفكرية، كما أوضحت أن الرجال في المناقشات المختلطة لا يتحرجون من مقاطعة النساء اللواتي يضطررن لأن يلذن بالصمت، وقد أرجع الدارسون هذا السلوك الذكوري إلى عدم اعتراف الرجال بالمرأة ككائن مساو لهم، وبالتالي هي لا تستحق حقها في الكلام وفي عرض طروحاتها وأفكارها" ([3]) والكلام والتحكم فيه مرتبط بالسلطة،

---

[1] ــ عيسى برهومة ، اللغة و الجنس، ص129.

[2] - Philip Smit, Language, The sexes and society, Bosil Black Well, 1984, P53.

[3] ــ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي، حوار المساواة في الفكر و الآداب، منشورات فكر دراسات وأبحاث،الرباط، المغرب ط1 2009،ص75.

فالعديد من المجتمعات ومنها المجتمع العربي يتمتع الرجل بسلطة كاملة على الكلام داخل الأسرة والعائلة وفي التجمعات المختلطة، في حين تعود المرأة على الصمت في حضرة الرجل سواء كان الأب أو الأخ أو الزوج ....، وتربى المرأة على ضرورة التزام الصمت حين يتكلم الرجال، فالمرأة المؤدبة تحسن الاستماع.

إذا يرى المجتمع الذكوري أن المرأة تثرثر في أشياء تافهة، بينما الرجل يناقش الأشياء المهمة، ترى مارينا ياغيلو" أنه إذا كان صحيحا أن المرأة غالبا ما تلجأ إلى الثرثرة فإن ذلك يعود لكونها لم تحصل على أي شيء في المجتمع، فالكلام الكثير هو تمظهر للاقدرة إنه الكلام من أجل الكلام فقط. و كأن المبالغة في الكلام والثرثرة تنوب عن السلطة وتحل كتعويض عنها، فليس من الضروري أن يكون المتكلم هو الممتلك للسلطة، وإنما الذي يستحوذ عليها هو القادر على افتتاح الكلام و إيقافه"([1])، وبهذا تكون الممارسة اللغوية رهانا داخل علاقات السيطرة والسلطة، فالتقليل من قيمة القول النسوي والذي تكرسه المرأة نفسها، يضمن للرجل الحضور والسيطرة.

عرضنا جملة من الخصائص النحوية والتركيبية والأسلوبية التي تميز لغة المرأة، ووجود هذه الخصائص يختلف من امرأة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر، فهي غير ثابتة وليست مرتبطة بكلام النساء وسلوكهن اللغوي فقط فقد تظهر في كلام الرجال بنفس الطريقة كما أن معظم هذه الخصائص ليست في طبيعة المرأة وإنما فرضها عليها المجتمع بفعل ثقافته وتقاليده وعاداته المسيطرة والبالية، فكلام الرجل هو الكلام الرصين والمفيد مدين بإنتاجه للشروط الاجتماعية ، إنه كلام يعترف به المجتمع، إذا الاختلافات اللغوية بين الجنسين مرتبطة بالعامل الاجتماعي وهي مجرد انعكاس للاختلافات الاجتماعية، وما دام المجتمع ينظر للمرأة والرجل باعتبارهما ينتميان إلى جنسين مختلفين، وغير متساويين فإن الاختلافات اللغوية بينهما ستستمر في صيغة الهيمنة.

[1] _ Yagullo Marina, Les mots et les femmes , P51_52.

3_الخصائص الدلالية: يتميز السلوك اللغوي للمرأة بجموعة من الخصائص الدلالية التي أفرزها المجتمع وأصبحت لصيقة بها، ومنها:

ــ يتميز السلوك اللغوي للمرأة بالتأدب والاحترام والتقدير، فهي تعمل دائما على إتباع العرف اللغوي والاجتماعي، وبدوره الرجل يتميز سلوكه بالتأدب والاحترام، لكن هناك مواقف تدعوه للتخلي عن أدبه معتمدا على المكانة والحصانة التي يعطيها له المجتمع مقارنة بالمرأة التي إذا تخلت عن أدبها حتى وان استفزت واستدعى الموقف التي تواجهه ذلك اعتبرت قليلة أدب واستهجن سلوكها.

ــ تكثر المرأة من استخدام صفات الاستحسان والتقييم مثل: رائع، جميل، مؤسف مزعج ، مؤلم ....، وهذا نابع من تأدبها، ودقتها.

ــ تحرص المرأة في لغتها على استعمال الألفاظ المؤدبة واللبقة، وتتجنب استعمال الكلمات المبتذلة والسوقية، كما أنها خجولة في ذكر أو الإشارة إلى أجزاء معينة من الجسم كالأعضاء التناسلية للجنسين، ويرجع ذلك للبيئة الاجتماعية التي تضع مجموعة من الشروط (Taboo) التي يجب عدم تجاوزها ومراعاتها عند الكلام، أما الرجل فله كامل الحرية في ذكر ذلك، فالمرأة لا تتجرأ على " ذكر أسماء أجزاء معينة في الجسم – أو ذكر وظائف طبيعية لهذا الجسم – بنفس الطريقة الجريئة التي يستعملها الرجال وخاصة الشبان منهم، فيما بينهم، لذلك تعمد النساء لإيجاد كلمات أو عبارات مهذبة وملطفة، قد تصبح مع كثرة الاستعمال كالكلمات الأصلية الصريحة، وهذا ما يؤدي إلى تجنبها، والعمل على إيجاد كلمات مهذبة تحل محلها، وهكذا دواليك" ([1])، والمجتمع يفرض تابوهات كلامية على المرأة منذ نشأتها، على عكس الرجل الذي يمنح قدر كاف من الحرية في الكلام وكسر هذه التابوهات منذ الصغر.

ــ عادة ما تهتم المرأة بموضوعات الحياة الاجتماعية كالشراب، والطعام،ومتاعب الحياة والملابس،والزينة، والديكور، والمشاعر الخاصة.....الخ، بينما يهتم الرجل بالموضوعات المجردة والتقنية كالعمل، والسياسة، والدين، ومصاريف المنزل والرياضة، والصحة والسيارات، والتنافس، والأعمال، والمشاريع...، واختلاف اهتمامات الرجل والمرأة

[1] أتو جسبرسن، اللغة والمرأة ، ترجمة حسام الخطيب، مجلة الآداب،ع 6، 1963، ص 26.

يعكس أدوارهم وأهدافهم في الحياة، وهذا الاختلاف يحدد قدرات لغوية مختلفة، أي اختلاف في المعجم اللغوي، إلا أنه يكفي تغيير الأدوار لكي تتغير هذه المستويات.

ــ تتميز لغة المرأة بالدقة في الربط وتحديد الأشياء، خاصة في المجالات التي تدخل في دائرة اهتمامها مثل الألوان والديكور والتنسيق ....الخ، فالمرأة تميز الألوان تمييزا دقيقا فكلمات مثل: الأرجواني، والبيج، والفوشيا، والتركواز، والذهبي، والكريمي ....الخ قد ترد في كلامها وتغيب عن لغة الرجل.

ويعزو البعض اهتمام المرأة بتفاصيل الألوان إلى تفاهتها، لكن ارتباط المرأة بالألوان يعود إلى دقتها، وإلى اهتمامها بالأناقة والمودة، لأن الأزياء والمظهر لهما علاقة بالسلوك اللغوي للمرأة.

ــ تكثر المرأة في لغتها من استعمال الألفاظ الدالة على الشعور والعاطفة والإثارة، هذا ما يقال دائما عن المرأة، لإبعادها عن مجال الإبداع إذا نحن " أمام مظهر من مظاهر تقسيم الأدوار الكلاسيكي الذي يسمح ببقاء الأحكام المسبقة حول الطبيعة الأنثوية أو الذكرية فتكون النشاطات الثقافية، والتأملات التجريدية، والنظريات ذات التركيبة الفلسفية، والإبداعات الواعية للرجال، بينما تبقى للنساء إنتاجات الأحاسيس والخيال غير المقيد بالفكر العلمي، فالرجال يفكرون برؤوسهم و النساء بأحشائهم"([1]) .

[1]_ Yaguellt Marina, Les fous du langage, Des langues imaginaires et de leurs inventeures,P43 .

4_السلوك غير اللغوي للجنسين:

لاحظ العلماء وجود اختلافات في استعمال اللغة غير اللفظية بين الرجال والنساء ويقصد بمصطلح اللغة غير اللفظية تلك الأنظمة السلوكية غير اللغوية التي تصاحب الأداء اللغوي فتسانده وتدعمه، حيث يقول الجاحظ بهذا الصدد " الإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغنى عن الخط" ([1]) ، وهذا المصطلح يشمل الإشارات غير النطقية والتي تضم التعبير الجسمي واللمس وتعبيرات الوجه وحركة الجسم والتقارب...الخ، ويتفاوت الناس في استخدام هذا السلوك، فهناك من يكثر من هذه التعبيرات لكونها تدعم حديثه، فقد تنوب هذه الحركات والإيماءات في بعض الأحيان حتى عن السلوك اللغوي .

والمرأة أكثر استخداما للإشارات غير اللغوية، فهي تميل إلى تعضيد كلامها بحركات الوجه والجسم لغرض التأثير على المخاطب ولكسب تضامنه معها.

ــ للمرأة مهارة كبيرة في استعمال التعبيرات غير اللفظية في عملية الاتصال وهذه المهارة تعود لزمن قديم " فبعض المجتمعات البدائية لا تسمح للنساء بالكلام في ظروف معينة مما يضطرهن لاستخدام لغة الإشارة كما يحدث مع الأرملة التي يمنع عليها الكلام لعدة أشهر، ومثل هذا قد يحدث في المجتمعات التي تحتل فيها المرأة مراكز دنيا ولا يسمح لهن بالكلام كالرجل، فيلجأن إلى استخدام الإشارة " . ([2]) ، إذا نتيجة حضر الكلام على المرأة عوضته باستعمال الإشارة مما أكسبها مهارة في التواصل غير اللفظي.

ــ المرأة تبتسم وتضحك أكثر من الرجل، وعادة ما تضع يدها على فمها أثناء الضحك استحياء وتتجنب القهقهة، لأن أغلب المجتمعات تعتبر ضحك المرأة من سوء الأدب وعليها الاكتفاء بالابتسام.

ــ المرأة تستخدم التحديق والنظر بصورة أكثر من الرجل – سواء أثناء التكلم أو الاستماع – فهي ماهرة في توظيف لغة العيون خاصة في حالات الصداقة والتواصل

---

[1] _ الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، (ب ت)،ج1، ص76.

[2] – أحمد مختار عمر، اللغة واختلاف الجنسين، ص137.

المريح، و" المرأة تفضل إطالة النظر على تكراره بخلاف الرجل الذي يفضل تكرار النظر على إطالته " . ([1])

ــ تستخدم المرأة حركات وجهها بصورة أكثر تعبيرية وأعمق دلالة للتعبير عن الصداقة والفرح والبهجة، وتعمل على إراحة المستمع وبث الهدوء في نفسه، كما تعبر عن انزعاجها من خلال التقطيب والعبوس وصك الوجه وغيرها.

ــ المرأة لا تترك مسافة كبيرة بينها وبين جليستها وتكثر من اللمس، ويدل ذلك على المودة والمحبة، أما الرجل فعادة ما يبقي مسافة بينه وبين محدثه، كما أنه لا يوظف اللمس كثيرا في التواصل، أما بين الرجل والمرأة فالرجل أكثر استعمالا للمس في التواصل، وهذا يدل على القوة من ناحية، وعلى الحميمية من ناحية أخرى، فمركز الرجل وجرأته أقوى من المرأة .

ــ توجد اختلافات كبيرة بين الجنسين في توظيف حركات الجسم، فالنساء مثلا يملن إلى قفل القدم بجعل الأرجل متلاصقة على عكس الرجال، ولعل هذا السلوك ناتج عن تطبع اجتماعي لغرض المحافظة والالتزام، والفتاة تربى منذ الصغر على ذلك ومخالفته عيب.

تحدثت الكاتبة (مي جبران) عن هذه الحالة بقولها " تربى البنت على كبح الجسد (اقعدي منيح، وطي التنورة، ما تلعبي مثل الصبيان، وطي صوتك، اسمعي الكلمة لا تقولي كلاما بذيئا ....) فهي تربية العيب، فيما يربى الصبي بارتياح أكبر (معليش هو صبي اتركيه يقعد مثل ما يشاء) ....الخ" . ([2])

ــ تتحرك المرأة بطريقة أنثوية عكس الرجل الذي يتجنب الحركات الناعمة والنساء أكثر تنويعا في مشيتهن " فحالة الدعة والسكينة تقتضي مشيا معتدلا، والأمر الجلل يتطلب مشيا سريعا، أما المشي البطيء مع إصدار حركات وإطالة في النظر فيما حولهن فإنه يلمح إلى دلالة إغرائية، أو لفت الأنظار" . ([3])

---

[1]_ Don H. Zimmerman et C. West, Sex role ,Interruptions and silences in conversation p155.

[2]_ مي جبران، الشخصية الأنثوية، مجلة مواقف، ع 74/73، 1994،ص 143.

2_ عيسى برهومة، اللغة والجنس،ص144.

ـــ يمكن تفسير الاستعمال الكبير للتعبيرات غير اللغوية من قبل المرأة مقارنة بالرجل بطبيعة التركيبة الاجتماعية والدور والمكانة المنوطان بكل منهما، حيث أن الوالدين يتكلمان مع أولادهم الذكور بصفة تختلف عن كلامهم مع الإناث، وهذا الاختلاف يفرض على المرأة نسقا محددا ودورا ثابتا من المفترض الالتزام به، لذا تلجأ إلى السلوك غير اللغوي لتعبر به عن رغباتها ما دام الكلام محضورا.

إذا تتميز المرأة بمهارتها في استعمال لغة العيون والإيماءات والإشارات ، وهو ما فسر غالبا بالدهاء بدل الذكاء، ويفسر علماء اللغة هذه الخصوصية عند المرأة باعتبار أنها منعت من الكلام طويلا، وحضر عليها استخدام الكثير من العبارات والألفاظ ، ولذلك كان لابد لها أن تجد طريقتها الخاصة في التعويض التعبيري ، وهكذا اضطرت إلى إحلال الحركة والإيماءة محل الصوت، مما تسبب أيضا في اكتسابها مهارة خاصة في ملاحظة الحركات وأدق التغييرات التي تطرأ على وجه محدثها، وهي أكثر حساسية للتلميحات من الرجل.

من خلال دراستنا للخصائص اللغوية وغير اللغوية للمرأة اتضح لنا أن هذه الخصوصيات حملت مضامين سلبية عديدة كالثرثرة وانعدام القدرة على الخلق والإبداع والميل إلى لمبالغة والاعتماد على العاطفة والخوف من الكلمات، وهي قوالب ترتكز على اللغة والسلوك وتماشي التصنيف الاجتماعي،هذا التصنيف الذي يمنح للرجل قدر كبير من الحرية والسلطة التي تخول له كسر التابوهات وإغناء معجمه سياسيا وثقافيا ورياضيا وفنيا ....وهو معجم يسيطر على الخطاب و يجعله خطابا سلطويا، ويؤكد جسبرسن على ذلك بقوله: " في مقابل القدرة الكبيرة على الابتكار اللسني عند الرجال نجد الفقر اللغوي الكبير عند النساء إنهن يفضلن بشكل عام الوسط فيما يتعلق باللغة، فيتحاشين كل ما هو عام أو غريب، بينما يتكلم الرجال كلمات وتعابير جديدة...فالمرأة تتقصى السبيل المتعارف عليه في اللغة، بينما يتجه الرجل نحو ابتكار وخلق طريق خاص به"[1]وبهذا يوكد جسبرسن على تحيز لغوي وسيطرة ذكورية بتعليلات لا منطقية وواهية.

[1] _ Yagullo Marina, Les mots et les femmes , P51_59.

وترى **مارينا ياغيلو** أن الكلام عن لغة الرجال والنساء يمثل دائما ثنائية السيطرة والخضوع " فالرجل نشيط ومبدع، بينما المرأة سلبية ومتلقية، والرجل يبادر في حين تبقى المرأة محافظة، الأول مندفع والثانية حذرة وورعة، المرأة تلتصق بالمحسوس والوضيع بينما يرتبط الرجل بالأفكار العظيمة، الرجل يفكر والمرأة بعيدة عن ذلك، للرجل روح الفكاهة بينما تفتقر المرأة إليها، كل هذا يفسر أن المرأة عوملت دائما كقاصر ومتخلفة حيث أقصيت من حقل التفكير، ومن حقل بناء النظريات حتى وإن كانت غير عقلانية وحوصرت في الميدان التي تفرضه عليها الثقافة بحجة الطبيعة : ميدان الوجدان والإحساس والحدس، إنه حيث يوجد بصفة طبيعية كل المنبوذين والمهمشين وبالخصوص المحرومين من سلطة الكلام"[1]

إذا وضع المرأة في هذه المرتبة وإلصاق هذه الصفات بها جعلها على الهامش، فالاختلاف اللغوي بينها وبين الرجل موجود لكن بصفة سلبية مفروضة بفعل الثقافة والمجتمع، وهنا نطرح تساؤل مهم: هل تستطيع المرأة تحويل هذا الاختلاف من اختلاف سلبي إلى اختلاف إيجابي يضيف للغة والثقافة بعدا جديدا، ويعطيها فرصة لأخذ مكان داخل المجتمع، وبالتالي التحول من التابع إلى الفاعل والمؤثر؟

تغير وضع المرأة ودخولها معترك الحياة وشغلها لنفس المناصب التي يشغلها الرجال تقريبا أدى إلى انخفاض في فوارق اللغة بين الرجال والنساء، فيمكن القول أن هناك نوع من التسوية اللغوية التي ستمحو شيئا فشيئا الفوارق الناتجة عن الوضع الاجتماعي ويرجع الفضل في هذا إلى مجهودات المنظمات الحقوقية على رأسها الحركات النسوية والهيئات اللسانية التي سعت دائما لتغيير النظام اللغوي التقليدي ووضع لغة متحررة من القيود التي تعيق تقدم المرأة، لغة تعبر عن المساواة لأن مفاهيم الذكوري والنسوي هي في النهاية مجرد مفاهيم ثقافية وتصورات ذهنية للمجتمعات لا علاقة لها بالطبيعي والجوهري .

[1]_ Yaguello Marina, Les fous du langage,P47 .

المبحث الثاني

موقع المرأة في اللغة العربية

1 ــ الرأي المؤيد لتحيز اللغة للرجل على حساب المرأة.

2 ــ الرأي المعارض لتحيز اللغة للرجل على حساب المرأة.

موقع المرأة في اللغة العربية:

يطرح وضع المرأة في اللغة العربية العديد من التساؤلات، نتيجة للدراسات المتنوعة والآراء المختلفة حول هذا الموضوع كالدراسة التي قدمها عيسى برهومة بعنوان (اللغة والجنس) وعبد الله محمد الغدامي(المرأة واللغة) وأحمد مختار عمر (اللغة واختلاف الجنسين) وزليخة أبو ريشة (أنثى اللغة) و(اللغة الغائبة نحو لغة غير جنسوية) وغيرهم، فما هو موقع المرأة في اللغة العربية؟ وهل أنصفتها هذه اللغة ؟ هل اللغة العربية لغة متحيزة ضدها، أم أن ذلك مجرد أفكار واهية رسخت في أذهان الناس بفعل أقوال و آراء النحويين واللغويين القدماء منهم والمعاصرين ؟ .

اختلفت الآراء حول موقع المرأة في اللغة العربية، فهناك من يرى أن هذه اللغة ظلمتها بتهميشها وتحيزها للعنصر الذكري، مستشهدا على ذلك ببعض الأمثلة النحوية التي طرحت على مر السنين في آراء اللغويين وكتبهم، وهناك من يعارض هذه الفكرة مستشهدا بدوره بآراء نحوية ولغوية وبلاغية .

وسنستعرض كلا من الرأي المؤيد لتحيز اللغة لصالح الذكر والمعارض لتلك الفكرة فيما يلي:

1- الرأي المؤيد لتحيز اللغة للرجل على حساب المرأة:

العربية لغة ذكورية تمارس انحيازا علانيا ومباشرا للرجل على المرأة، حيث يمكن لرجل واحد أن يلغي مجتمعا كاملا من النساء، ف "مذهب اللغة التطوري كما نفترضه يذهب إلى التذكير، ولا يعتد بالتأنيث الذي إن وجد فلا يعدو كونه انحرافا لغويا لا تبنى عليه قاعدة ...عدا ما قد يوقع في اللغة من الغموض والاضطراب في حال الأخذ به " . ([1])

أــ المستوى المعجمي :

تعكس المعاجم التي يؤلفها الذكور – غالبا- نظرة أحادية للعالم، نظرة ذكورية وتميز اللغة العربية بين الجنس تصنيفا واصطلاحا، فالتذكير " خلاف التأنيث والذكر خلاف الأنثى، والجمع ذكور وذكورة، وذكران، ويوم مذكر إذا وصف بالشدة والصعوبة وكثرة القتل.

[1] – عصام نور الدين،" المحايد أو المذكر والمؤنث من غير الحيوان " مجلة الدراسات العربية ، ع7-8 ، 1988 ص 32 – 34 .

وقول ذكر: صلب متين، وشعر ذكر: فحل ورجل ذكر، إذا كان قويا شجاعا أنفا أبيا ومطر ذكر: شديد وابل...." ([1])

" والأنثى خلاف الذكر في كل شيء، والجمع إناث، وأنث : جمع إناث ،يقال للرجل :أنثت تأنيثا أي لنت له، ولم تشدد.

والتأنيث خلاف التذكير.

وبلد أنيث: لين سهل، حكاه ابن الأعرابي، وأرض منئاث وأنيثة سهلة منبتة خليقة بالنبات، ليست بغليظة.

وزعم ابن الأعرابي أن المرأة إنما سميت أنثى من البلد الأنيث، قال : لأن المرأة ألين من الرجل، وسميت أنثى للينها" ([2])

فالتذكير تبعا لذلك معادل للقوة والشدة، والشجاعة والأنفة والصلابة، أما التأنيث فيلتصق باللين والسهولة، والإنتاج الخصب والإنبات، ويتسق هذا التصور وأنظار النحويين الذين قرروا أن التذكير أصل والتأنيث ثان، وهذا ما قاله سيبويه" الأشياء كلها أصلها التذكير، ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء والشيء يذكر، فالتذكير أول وهو أشد تمكنا..." ([3])

ويتعلق بلفظ الأنثى مجموعة من الدلالات كالليونة واللّطافة "الجنس اللطيف" المسالم الذي يتصف بالعاطفة والغريزة، الضعف الرقة والخيال....الخ

والرجل/الرجولة وإذا انسلخ الرجل عن هذه الصفة صار أنيثا مثل المرأة لينا غير شديد مخنث وهي صفة غير مرغوبة و كافية لأن تجعله مذموما وهامشيا، وفي ضوء ذلك أيضا نجد أن عبارة المرأة المسترجلة " تقيم فصلا لغويا بين الرجل والمرأة، وهو في حقيقته قيمي ويؤكد أفضلية الرجل، كون (الاسترجال) صفة ذكورية تطمح المرأة إلى تمثلها" ([4])

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة "ذكر"، دار صادر بيروت (د. ت). المجلد الرابع ص 210،209.

[2]– المصدر نفسه، مادة أنث،المجلد الأول ص169.

[3]– سيبويه ،الكتاب،ت/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،مصر،ط3، ج3، ص241.

[4]_ الجابري محمد عابد، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،1994،ص11.

إذا قيمة الرجولة هي " الصفة التي تجعل من الرجل رجلا وليس امرأة والإنسانية هي التي تجعل من الكائن البشري إنسانا وليس مجرد حيوان " ([1])، وهنا تشترك المرأة مع الرجل في صفة الإنسانية لكن مع التفريق بين عالميهما.

تعريف التذكير والتأنيث من الناحية اللغوية :

التذكير في اللغة مأخوذ من الشدة، يقال: رجل ذكر أي: قوي شجاع أبيّ، ومطر ذكر: وابل شديد، وقولٌ ذكر: صُلبٌ متين ([2])

والتأنيث مأخوذ من اللين، يُقال: تأنَّث في الأمر: لان ولم يتشدَّد، والأنيث:غير الصُّلب ومكانٌ أنيث: سهل مِنْبات. ([3])

من خلال هذا التحليل المعجمي يمكن معرفة أن اللغة التي نسعى من خلالها إلى صياغة خطاب تحرري يدعم المساواة ويرفض الهيمنة، تحدد مسبقا موقع المرأة ومكانتها في المجتمع، أي أنه قبل أن يأخذ الرجل موقع السلطة والزعامة، ويفرض وصايته على الأنثى، هناك سلطة اللغة المستعملة والتي هيأت له كل الظروف لأخذ هذا الموقع و"هذه السلطة اللغوية تتأكد باستمرار بمجرد ما نستنطق أصحاب المعاجم لنأخذ فقط من أجل الاستشهاد بعض المشتقات للفظين محددين من بين ألفاظ أخرى وهما بالترتيب الذكر والأنثى، فسوف نستخلص من ذلك شيئين أساسيين هما التفريق الجذري بين الجنسين وفوقية خصائص الذكر" . ([4])

إذا نالت الصفات المعنوية للرجال أهمية كبيرة، فهم السادة، وذوو العقول الراجحة وهم المتّسمون بالكرم والشجاعة، وغيرها من صفات العلاء التي تدل على سيطرة الرجل على روافد القوة والتأثير، فهم القادة، السياسيون، والمنتجون، والمستشارون، والقادة في الحروب، وأهل العقد والربط، وبيدهم مقاليد الأمور، لهذا ارتبطوا بصفات وأدوار بارزة وهذا الحضور ترك أثرا كبيرا في مفردات اللغة ودلالاتها.

---

[1] _ إبراهيم محمود، الضلع الأعوج، المرأة وهويتها الضائعة، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر،2004 ،ص310.

[2] – مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت، 1995، ص122

[3] – المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص29

[4] _ Tahar Labib Djedidi , La langue arabe et la sexualité , revue :L'homme et la société n 28,Avril ,Mai ,juin,1973 ,P :150 .

ومن مظاهر تحيز المعاجم الحديثة أنها لا تتناول المصطلحات النسوية الحديثة فلا تكاد تمسها إلا ذكرا عارضا، وأحيانا تتجاهلها تماما، فقد عالجت الشاعرة والكاتبة الأردنية **زليخة أبو ريشة** في كتابها (أنثى اللغة) أزمة المصطلح النسوي ودور المعاجم حيث يسود اضطراب المصطلح وغياب مفاهيمه المؤسسة للخطاب، وتورط المعاجم العربية والإنجليزية بالفكر الجنسوي الذي يقصي المرأة/ الأنوثة / التأنيث، واقترحت من خلال كتابها معجما عربيا نسويا تعالج فيه المفاهيم ومفردات اللغة النسوية .

وإقصاء عدد هائل من المصطلحات النسوية من اللغة العربية، هذا ما تعكسه القواميس التي يضعها الذكور غالبا، عبر رؤية أحادية للعالم، حتى أن معجم المورد (انجليزي /عربي) لمنير البعلبكي لم يشد عن هذه القاعدة، ولم يفلت من فخ الذكورية في التفكير واللغة وركز على الصفات والأسماء التي تخص المذكر فقط، هكذا تبدو الحاجة ملحة إلى معجم نسوي عربي، يعيد صوغ المصطلح على نحو آخر في ظل " تطوير النظرية النسوية وأدبيتها وفلسفتها".

ب- **المستوى النحوي:**

البحث عن موقع المرأة في المستوى النحوي في اللغة بالرجوع لكتب التراث يحيلنا للحكم مسبقا على النظرة التميزية واللامتساوية بين الجنسين، فهذه الكتب " ما تزال معينا للفكر الذكوري يمتح منه الباحثون والباحثات بمخاطرة قبول ما قيل على أنه من المسلمات، فما لم ينهض أساتذة وأستاذات قديرات لمراجعة صورة الأنثى، وأبواب التأنيث والتذكير في هذه المجلدات العتيقة، بمنظور يحمل حسا مرهفا و بصرا وبصيرة، فستظل هذه الكتب مصادر ومراجع مليئة بتسلط الذكر واستعلائه، ودونية المرأة وصورة عجزها وسلبيتها"([1]) ، فهذا الموقع تحكمه فكرة قائمة على مفهوم الأصل والفرع، وفكرة الأصالة والفرعية في الجنس اللغوي متأثرة بفكرة التكوين الأولى، التي قررت أن الذكر أصل ومنه اشتقت الأنثى وبالضرورة يغلّب الأصل على الفرع لتتسق والفكرة الجوهرية للوجود.

نشأ النحو العربي بعد انتشار اللحن بين صفوف المسلمين، وخوفا من أن يطال اللحن القرآن الكريم، وضع العلماء القواعد التي تحفظه، وكان أبو الأسود الدؤلي من العلماء الأوائل الذين أسسوا لهذا العلم والدافع وراء اهتمامه هذا، قصة تقول:"إن ابنة أبي الأسود قالت له يوما: " يا أبت ما أحسن السماء" قال:" أي بنية نجومها" قالت:"إني لم أرد أي شيء منها أحسن إنما تعجبت من حسنها، قال إذن فقولي ما أحسن السماء" فحينئذ وضع كتابا" .([2])

إن هذه القصة التي تؤرخ بداية النحو العربي انطلاقا من خطأ ابنة أبي الأسود الدؤلي تشبه قصة الخطيئة الأولى التي وقعت بين حواء وآدم وهذا يدفعنا إلى التساؤل عن مدى صحة هذه القصة، لماذا وقع الخطأ من ابنة أبي الأسود الدؤلي "الأنثى" ،ألم يخطئ قبلها أحد من الرجال؟ .

ومن الظواهر النحوية التي تثبت التصور الإيديولوجي التمييزي عن المرأة فكرة الأصل والفرع، فالنحاة العرب في كتبهم لم يخصصوا بابا للمذكر بينما خصصوا بابا للمؤنث، وانطلقوا من مسلمة أولى تقول أن المذكر هو الأصل والمؤنث فرع منه فـــ " أصل

---

[1] ــ زليخة أبو ريشة، اللغة الغائبة، نحو لغة غير جنسوية، مركز دراسات المرأة، عمان ، الأردن،ط1، 1996،ص95.

[2] - فؤاد حنا ترزي، في أصول اللغة والنحو، دار الكتب، بيروت، ص 10 .

الاسم أن يكون مذكرا والتأنيث فرع عن التذكير، ولكون التذكير هو الأصل استغنى الاسم المذكر عن علامة تدل على التذكير، ولكون التأنيث فرعا من التذكير افتقر إلى علامة تدل عليه " .([1])، وهذه المسلمة أكدها سيبويه في "كتابه" الذي عده النحاة قرآن النحو، واتبعه في ذلك النحاة من بعده، واستنتجوا من هذه المسلمة الأولى قاعدة أولى تقول :" كل ما لا يعرف أمذكر هو أم مؤنث، فحقه أن يكون مذكرا " . ([2])

أما القاعدة الثانية، فيلخصها أبو بكر الأنباري بقوله " اعلم أن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غلب المذكر على المؤنث. تقول من ذلك : الرجل والمرأة قاما وقعدا وجلسا، ولا يجوز قامتا وقعدتا وجلستا لأن المذكر يغلب المؤنث لأنه هو الأصل والمؤنث مزيد عليه " . ([3])

وتبعا لذلك " كان التأنيث من قبيح الضرورة ([4])،أما تذكير المؤنث فواسع جدا لأنه رد فرع إلى أصل، لكن تأنيث المذكر أذهب في التناكر والإغراب" . ([5])

ومن علامات التأنيث في اللغة العربية "تاء التأنيث" التي تلحق آخر المذكر نحو: (قائم/قائمة، كبير/ كبيرة، جميل /جميلة....) فنجد هذا التأنيث فيه مزيدا على التذكير والمزيد عليه هو الأصل، وبالرغم من تطور العلم مازالت هناك بعض الكلمات تأتي بصيغة المذكر وإن جاءت صفة للمؤنث، مثل كلمة "عاقر" فنقول:" امرأة عاقر، امرأة حامل" ارتبطت كلمة العاقر بالمرأة، وألصق العقم بكل ما هو نسائي، مع أن هذه المفردة خالية من تاء التأنيث، وأن الرجل نفسه قد يكون عاجز عن الإنجاب، وهذا شيء طبيعي وعلمي، فبماذا نصف الرجل الغير قادر على الإنجاب؟ وما تزال المرأة محاصرة بأصالة التذكير فهي (عضو) و(مدير) وهي(رئيس الجلسة) وهي(أستاذ مساعد) و(محاضر) وقد ساند هذا التأويل أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الرابعة والأربعين

1- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق وتعليق و شرح محمد عبد المنعم خفاجة /طه محمد الزيني ، دار الزيني للطبع والنشر ،1961،ج3،ص148.

2 – المبرد، المذكر والمؤنث، تحقيق رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، مركز تحقيق التراث القاهرة، 1986 ص 108.

3- أبو بكر الأنباري، المذكر والمؤنث، تحقيق طارق الجنابي، دار الرائد العربي، بيروت 1986،ج2/ص297.

4 – ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط 1،1954، ص223.0.

5ــ ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، ط4 ،1990 ،ج2، ص417.

الذين أكدوا بجواز " أن يوصف المؤنث بالتذكير فيقال فلانة أستاذ أو عضو أو رئيس استنادا إلى ما نقله ابن السكيت عن الفراء أن العرب تقول: عاملنا امرأة وأميرنا امرأة وفلانة وصي وفلانة وكيل فلان، وإنما ذكر لأنه إنما يكون في الرجال أكثر مما يكون في النساء، فلما احتاجوا إليه في النساء أجروه على الأكثر". ([1])

وإذا وجدنا جمع إناث بينهن ذكر واحد، فالفصاحة تقتضي مخاطبتهن بصيغة المذكر الموجود بينهن، لأنه وحده أصل وهن جميعا فرع، إضافة إلى منطق التغليب فالمعلمين تعني المعلمات أيضا، والطلاب تعني الطالبات أيضا، وإن الكتاب أو الكاتب تعني الكاتبات أو الكاتبة أيضا....وهكذا، وهذا منطق متحيز يعمل على تكريس منهجي لدونية المرأة، ويرى الدكتور نصر حامد أبو زيد في كتابه "دوائر الخوف" أن اللغة إيديولوجيا تمارس نوعا من التمييز العنصري بين الرجل والمرأة فهي تجعل من الاسم العربي المؤنث مساويا للاسم الأعجمي من حيث القيمة التصنيفية فبالإضافة إلى تاء التأنيث التي تميز بين المذكر والمؤنث على مستوى البنية الصرفية يمنع التنوين عن الاسم العلم المؤنث كما يمنع عن اسم العلم الأعجمي سواء بسواء " . ([2])

وفي هذا –حسب رأى حامد أبو زيد– نوع من الطائفية العنصرية، حيث تعامل المرأة معاملة الأقليات من حيث الإصرار على حاجتها للدخول تحت حماية أو نفوذ الرجل. ([3])

ومن المثير للانتباه في النظام اللغوي العربي ظاهرة " الرتبة" بين النوعين (المذكر والمؤنث) فغالبا ما يتقدم المذكر على المؤنث، وفي حالة استثنائية في آية قرآنية ورد فيها تقديم الإناث على الذكور مما أثار انتباه أحد الوزراء في أحد المجالس، فقال الوزير " قد شرف الله الإناث بتقديم ذكرهن في قوله عز وجل " يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور " فقلت في هذا نظر، فقال : ما هو ؟ قلت: قدم الإناث – كما قلت– ولكن نكر وأخر الذكور ولكن عرف، والتعريف بالتأخير أشرف من النكرة بالتقديم، ثم قال : هذا

---

[1] – تقرير (مجمع اللغة العربية) بالقاهرة في دورته الأربعة والأربعين ، نقلا عن عبد الله الغدامي (المرأة واللغة) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت،1996، ص21.

[2] – نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، ط2، 200، ص30.

[3] – نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف، ص31.

حسن، قلت: ولم يترك هذا أيضا حتى قال " أو يزوجهم ذكرانا وإناثا " وجمع الجنسين بالتنكير مع تقديم الذكران، فقال هذا مستوفى" ([1])

إضافة لما ذكرناه، تقول القاعدة النحوية أن التأنيث سبب منع الأسماء من الصرف لثقلها وصونها، يقول ابن الأنباري "أسماء المؤنث كلها لا تجري إلا يسيرا من أسمائهم نحو هند ودعد وجُمْل ونُعْم. وما لا يجري لا يدخله تنوين ولا خفضٌ ...فإن قال قائل :لِم صارت الأسماء المؤنثة لا تجري، قيل له : منعتها العرب الإجراء في المعرفة لعلتين توجبان لها الثقل:إحداهما التعريف، والتعريف يثقل الاسم، فإن زالت إحدى العلتين جرى الاسم، كقيلك :قامت نوار ونوارُ أخرى، وقعدت زينب وزينبُ أخرى، لم تجر زينب الأولى لأنها معرفة وأجريت الثانية لأنها نكرة. فإن قيل لم صارت الأسماء المؤنثة أثقل من المذكرة ؟ قيل له:العلة في هذا أن العرب تكثر استعمال أسماء الرجال، وترددها في الكتب والأنساب، فيقولون فلان ابن فلان، ولا يقولون فلان بن فلانة بنت فلان لصيانتهم أسماء النساء وقلة استعمالهم لها، فلما كان ذلك كذلك، كان الذي يكثرون استعماله أخف على ألسنتهم من الذي يقلّون استعماله، هذا مذهب الفراء" .([2]) ، إذن حسب ابن الأنباري فإن التأنيث سبب منع الأسماء من الصرف لثقلها وصونها، في مقابل ذلك تصرف أسماء الرجال لخفتها ولكثرة استعمالها وجريانها في اللسان، وصون أسماء النساء باعتبارها عورة يجب إخفاؤها وحفظها لم يعد واردا في هذا العصر، حيث تعلن أسماء النساء في المدارس والمؤسسات وفي وسائل الإعلام المختلفة وإعلانها أمر مهم في الحياة العصرية، فإذن سقط الصون وكذلك قلة الاستعمال سببان في الثقل، ولذلك صار لزاما أن تصرف الأسماء المؤنثة لخفتها وشيوع استعمالها وغاب عذر منعها من الصرف.

"اعلم أن المذكر أخف من المؤنث، لأن التذكير قبل التأنيث، فلذلك صرف أكثر المذكر العربي، ولذلك استمر المذكر بغير علامة للتذكير، بل ليست للتذكير علامة لأنه الأول" .([3])

2- أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه ورتب فهارسه أحمد أمين وأحمد الزين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1953، ج3،ص101.

[2]_ ابن الأنباري، المذكر والمؤنث، ص 128،123.

2ـ السجستاني أبو حاتم سهل بن محمد،المذكر والمؤنث، تحقيق عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت،ط1، 1997 ص37.

وحسب الأنباري: تجري (أي تصرف)الأسماء المؤنثة إذا سميّ به الرجال لأن الثقل في التأنيث، فإذا سمي رجل بحائض أو طالق أو صامت صُرِفَ "لأنها مذكرة وصف بها المؤنث، كما يوصف المذكر" .([1]) وتعليل الأنباري يميز الرجال عن النساء وهو سخيف ونادر الحدوث.

وقد يجمع جمع المؤنث جمع مذكر، حيث أفردت العربية جموعا خاصة بالمذكر وأخرى للمؤنث، إلا أن بعض الألفاظ المؤنثة جاءت على جموع خاصة بالمذكر ،مثل:

" جمع قاعدة، وثائرة، وقائمة، ونائمة، وصادّة: قعّاد، وثوّار، ونوّام، وصدّاد. وفعّال جمع خاص بالمذكر، والأصل فيهن أن يأتين على قواعد، وثوائر، ونوائم وصوادّ، إذ فواعل جمع خاص بالمؤنث" . ([2])

وثمة دليل آخر على أن الدرس النحو ظل حكرا على الرجال فلا يتراءى لنا اسم امرأة فيه، "ففي إحصاء لتراجم (إنباه الرواة على أنباه النحاة) التي تجاوزت 976 صفحة، لم تطالعنا سوى امرأة تعرف بابنة الكنيزيّ عُنِيَت بالنحو" . ([3])

البحث عن صورة المرأة في المستوى النحوي أوضح لنا أن النظام اللغوي قد لعب دورا أساسيا في تصنيف الجنسين تصنيفا تمييزيا، فـــ " ليست اللغة في استخدامها مذكّرة إلاّ لأنّ العالم الذي يستخدمها مذكّر.قيّمه مذكر، وسلطانه مذكّر وتراتبيتُّه مذكّرة، وآلياته مذكّرة، وصراعه مذكّر، واقتصاده مذكّر، وسياساته مذكّرة وقوانينه مذكّرة ....وعقله ووجدانه مذكّران وهما موجّها اللغة . ([4])" فالنحو لم يكن بمنأى عن الثقافة السائدة ن وما كان للغويين والنحويين إلا أن يركنوا إلى سلطان البيئة والثقافة، ولما كانت معظم المجتمعات تفضل الذكر على الأنثى، وتتعامل مع الرجل على أنه أكثر قيمة من المرأة فقد ظهرت هذه النظرة الدونية للمرأة في التصنيفات اللغوية

---

3 _ ابن الأنباري ،المذكر والمؤنث، ص145/143.

1 ــ السيوطي جلال الدين، الأشباه والنظائر، تحقيق عبد العال سالم مكرم مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1 1985،ج3،ص95ــ96.

2 ــ القفطي علي بن يوسف، إنباء الرواة على أنباء النحاة، ترجمة : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة ،ط1، 1981، ص68.

4- زليخة أبو ريشة، أنثى اللغة، أوراق في الخطاب والجنس، ص74.

2- الرأي المعارض لتحيز اللغة العربية للرجل :

يؤكد بعض الدارسين على أن اللغة العربية في تركيبها اللغوي ليست متحيزة للذكر وأن أقوال اللغويين والنحويين ليست حجة عليها، ومن ذلك قول ابن جني في فصل "الحمل على المعنى" : " اعلم أن هذا الشرج غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورا ومنظوما، كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول، أصلا كان ذلك أو فرعا.... " ([1]) ، إذن لا يمكن أن نقول أن اللغة متحيزة فهي في جوهرها محايدة، غير أن مستخدميها يعتقدون ذلك ف" اللغة في استخدامها ليست مذكرة، إلا أن العالم الذي يستخدمها مذكر ...قيمه مذكرة وسلطانه مذكر وتراتيبه مذكرة، وآلياته مذكرة، وصراعه مذكر، واقتصاده مذكر، وسياساته مذكرة وقوانينه مذكرة...وعقله وجدانه مذكران وهما موجها اللغة"([2]).

أــ المستوى النحوي:

لم يفصل النحاة في مسألة الجنس، لأنه أكثر ما ارتبطت به هذه الظاهرة بالحكاية والسماع، وهذا ما ذكره ابن وهب حين قال" ليس يوصل إلى علم المذكر والمؤنث من هذا الباب إلا بالسماع دون القياس ". ([3])

وقال ابن التستري" ليس يجري أمر المذكر والمؤنث على قياس مطرد، ولا لهما باب يحصرهما" . ([4]) ، أي أنهما لا ينتظمان في قواعد صارمة.

كما ذكر المستشرق برجشتراسر عجزه في الفصل في مسألة التأنيث والتذكير حيث قال" التأنيث والتذكير من أغمض أبواب النحو، ومسائلهما عديدة مشكلة، ولم يوفق المستشرقون إلى حلها حلا حازما مع صرف الجهد الشديد في ذلك" . ([5])

---

[1] ــ ابن جني، الخصائص، الجزء2، ص411.

[2] ــ زوليخة أبو ريشة ، أنثى اللغة، أوراق في الخطاب والجنس، ص74.

[1]ــ ابن وهب أبو الحسن إسحاق ابن إبراهيم، البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي جامعة بغداد ، ط1 ، 1967 ، ص 329 .

2- ابن التستري سعيد بن إبراهيم، المذكر والمؤنث، تحقيق أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط3 1983 ، ص 112 .

[5] - برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ت/رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982 ص112.

وهناك سبب آخر أسهم في خفاء مسألة المذكر والمؤنث، وهو تصنيف الجنس في اللغة فقد تم توزيع المحسوسات والمجردات على قسمين وحسبهما "المذكر والمؤنث" فداخل القسم الواحد ما لا يتعالق مع غيره بقرينة ، فالمذكر والمؤنث ارتبطا بالجنس الطبيعي وهو قرينة مادية حسية ، وانتقاء هذه القرينة ــ بالضرورة ــ أسفر عن غموض في التصنيف وفوضى في التوزيع . ([1])

وحسب رأي ابن جني فإن المسألة في التذكير والتأنيث قد تتعدى تذكير المؤنث إلى تأنيث المذكر أيضا، وتأتي هذه الاستعمالات لأغراض بلاغية أساسا، وقصد الخروج عن المألوف لإحداث التأثير في السامع، ويلجأ المتكلم إليها لإبلاغ رسالته بطريقة أدبية تخرج عن الشكل المتوقع لها، وما زالت اللغة العربية تحتفظ بأمثلة اتخذ فيها لفظ المؤنث أصلا ولفظ المذكر فرعا عنه بزيادة لاحقة كما في كلمات :

عقْرَب التي مذكرها عقْرَبَان

وضبْع التي مذكرها ضبْعَان

وأفْعَى التي مذكرها أفْعَوان

وثعْلَب التي مذكرها ثَعْلَبان([2])

ومالت اللغة العربية في كثير من المواضع إلى التأنيث، ولم تنحز إلى المذكر ففي دراسة قام بها الباحث محمد عبد الخالق عضيمة، بعنوان " تأنيث الفعل وتذكيره في القرآن الكريم" ، توصل إلى جملة من النتائج منها:

ــ أن القرآن أنّث الفعل مع المجازي التأنيث المتصل بالفعل أو المنفصل عنه 269 مرة، وذكّر الفعل معه 57 مرة.

ــ أنّث الفعل مع جمع التكسير المتصل بالفعل أو المنفصل عنه 264 مرة، وذكّر الفعل معه 65 مرة.

ــ بلغ مجموع مواضع تأنيث الفعل في القرآن 617 موضعا، في حين أنّ مواضع تذكيره لم تتجاوز 193.

---

[1] ــ عيسى برهومة، اللغة والجنس، ص48.

[2] ــ أحمد مختار عمر، اللغة واختلاف الجنسين، ص66.

ــ الغالب في القرآن تأنيث الرّسل، فقد جاءت آيات التأنيث 26آية، أما مواضع التذكير فلم تتعدّ سبع آيات". ([1])

ومن الجدير بالملاحظة أيضا أن صيغة المؤنث في اللغة العربية لا تلحقها زيادة علامة التأنيث دائما، وقد تلحق صيغة المذكر زيادة، ومثال ذلك أن جمع المذكر السالم في العربية تلحقه زيادة على عكس جمع المؤنث السالم، كما أن صيغة جمع المذكر السالم لا يجمع عليها إلا صيغ محدودة من الأسماء المذكرة، أما جمع المؤنث السالم فيجمع عليه الأسماء المؤنثة، وكثير من صيغ الأسماء المذكرة والأسماء المؤنثة مجازا، والأسماء الجديدة التي تدخل اللغة، ويدل هذا على أن صيغة الجمع صيغة محدودة معلقة أما صيغة جمع المؤنث السالم فهي الصيغة الأكثر استخداما والأكثر ثراء وإثراء للغة.

ولم تنفرد الأنثى باللواحق، بل التصقت بكثير من المفردات التي أدت دلالة المذكر نحو:"رجل أمنّة (يأمن الناس)، وضُحكَة(يضحك من الناس)، وهزأة، وهذّرة **ولُوَمة...**" .([2])

كما يجب أن لا يؤخذ قرار مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي يقضي باستعمال الصيغ المذكرة في الألقاب العلمية والإدارية عند إطلاقها على الأنثى على أنه قول يمثل نظام اللغة العربية، فحسب رأي المجمع، إذا ما دخلت المرأة مجال العمل الوظيفي فإنها تدخل في سياق التذكير فهي (عضو) وهي (مدير) وهي (رئيس الجلسة) وهي (أستاذ مساعد) و (محاضر) ، ويستند رأي المجمع هذا إلى" ما نقله ابن السكيت عن الفراء أن العرب تقول: عاملنا امرأة وأميرنا امرأة وفلانة وصي وفلانة وكيل فلان، وإنما ذكر لأنه إنما يكون في الرجال أكثر مما يكون في النساء، فلما احتاجوا إليه في النساء أجروه على **الأكثر**" . ([3])

والواقع لا يوافق رأي المجمع لأن الاستخدام الشائع الآن هو أن نقول (الأستاذة الدكتورة) ونقول (مديرة) و (رئيسة) و (وزيرة) من غير حرج.

---

[1] ــ محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث،(د ت) ، ص 488ــ489.

[2] ــ ابن الأنباري، المذكر والمؤنث ،ص567 ــ592.

2- محضر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الرابعة والأربعين، 1978 .

كما أنه يجوز في اللغة العربية أن يجمع المذّكر في بعض حالاته جمع مؤنث وتبعا لذلك أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة جمع أصناف من المذّكر جمع التأنيث الشائعة نحو: إطارات، بلاغات، جزاءات، حسابات، خلافات، خيالات، إعلانات، شعارات صراعات، ضمانات، عطاءات، قرارات،قطارات..." .([1])

ومن الدلائل على عدم تحيز اللغة العربية ضد الأنثى، أن الفعل يؤنث أو يذكر بحسب تذكير الاسم الذي يليه أو تأنيثه، وهو ما يشعر بأن المذكر لا يستأثر بالصيغ عن المؤنث بل إننا نجد ذلك في أوضح صورة في المكونات العطفية، أي حين يعطف اسمان الواحد منهما على الآخر وأحدهما مؤنث والآخر مذكر. فإذا ولي الاسمُ المذكرُ الفعلَ تطابق الفعل معه في التذكير ، أما إذا ولي الفعل الاسم المؤنث فإن الفعل يتطابق معه في التأنيث بدلاً من ذلك، فنحن نقول " جاء علي وفاطمة " ،و" جاءت فاطمة وعلي " ،وهو تعامل موضعيٌّ محايد.

ويستدل على تحيز اللغة العربية ضد الأنثى، في بعض الأحيان، بظاهرة التغليب، أي إنه إذا اجتمع اسمان وكان أحدهما مؤنثًا والآخر مذكرا، فإن القاعدة توجب تغليب المذكر على المؤنث فتكون الصيغة مذكرة، لكن سبب هذا التغليب يعود في كثير من الأحيان إلى وجود زائدة صرفية في المؤنث، بل إننا نجد تغليب اسم على اسم في بعض الأحيان حتى إن كانا مذكرين، ومن ذلك لفظ " العُمَران " الذي يقصد به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. وسبب تغليب "عمر" أنه وإن كان موسومًا فهو أقل وسمًا من لفظ "أبو بكر" .

أما في الضمائر فإن الذكر والأنثى يستعملان قدرا متساويا منها:

ففي صيغة المتكلم المفرد أو الجماعة لا يعلَّم الضمير بأنه مذكر أو مؤنث

وهناك ضمائر مستقلة للغائب والغائبة، والمخاطب والمخاطبة، والغائبين والغائبات والمخاطبين والمخاطبات، ولا يستثنى من ذلك إلا المثنى حيث يستخدم ضمير واحد لكلا النوعين في بعض الحالات.

ومن الحالات التي يمكن أن يظن أنها متحيزة للمذكر، أن الفعل إذا أسند إلى المؤنث الجمع فإنه يمكن أن يأخذ صيغة المذكر بدلاً من التطابق مع الفاعل المؤنث، وذلك نحو: "جاءت البنات" أو: "جاء البنات". لكن هذه الحالة لا يمكن أن تكون دليلاً على التحيز للمذكر، وذلك أن علامة المطابقة هذه (أي تاء التأنيث) زائدة في هذا الموضع، كما تقول الدراسات اللسانية، فذكر الفاعل

1ــ مجمع اللغة العربي (القاهرة)، في أصول اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1969، ص [8]6

المؤنث يكفي في الدلالة على أن الفاعل مؤنث، ولا حاجة لتأكيد ذلك بإلحاق علامة أخرى للدلالة على تأنيث الفاعل، ولذلك يأتي الفعل بصيغته غير موسومة، أي مجردًا من علامة التأنيث، أما زيادة تاء التأنيث فليس لها وظيفة حقيقية ومنه قول الأعراب" إذا جاءك المؤمنات" بترك التاء ولذلك يمكن حذفها، وليس ذلك بسبب

التحيز للمذكر، بل للاستغناء عن الزيادة [1] وهذه الحالة ليست غريبة، إذ إننا نجد في حالة إسناد الفعل إلى الجمع المذكر أن الفعل يخلو من علامة المطابقة مع الفاعل الجمع: "جاء المحمدون" بدلاً من "جاءوا المحمدون"، وذلك أن في إبقاء علامة الجمع في الفعل زيادة لا وظيفة لها، وقد اختارت بعض اللهجات القديمة واللهجات الحديثة كلها أن تبقي على هذا التطابق على الرغم من الزيادة فيه.

وفي كتابه "المرأة واللغة" ناقش الدكتور عبد الله الغدامي عدّة ظواهر لغوية رآها دالة على تحيز اللغة العربية ضد المرأة ومنها: مسألة جمع المذكر السالم، فقد نقل الغدامي عن عباس حسن قوله " ليس المراد بالعاقل أن يكون عاقلا بالفعل، وإنما المراد أنه من جنس العاقل كالآدميين والملائكة، فيشمل المجنون الذي فقد عقله والطفل الصغير الذي لم يظهر أثر عقله بعد، وقد يجمع غير العاقل تنزيلا له منزلة العاقل إذا صدر منه أمر لا يكون إلا من العقلاء فيكون جمع مذكر"([2]) وغرضه من نقل هذا القول تبيين أنه سُمح للجميع الاقتراب من المذكر السالم إلا المؤنث، فقال:" هنا يحق للمجنون والطفل وكذا الحيوان الذكي أن يدخل إلى قلعة (المذكر السالم)، أما الأنثى فلا يجوز لها الاقتراب من هذا الحق الذكوري الخالص(السالم)" ([3])

إن رأي عباس حسن وتعليق الغدامي لم ينبني على أسس علمية دقيقة بدليل أن هناك بعض الأسماء المذكرة لا يجوز جمعها بصيغة جمع المذكر السالم، ولعل مثال جمع كلمة "رجل" أحسن دليل على ذلك، وهي أخص كلمة بالمفرد المذكر العاقل، إذ لا يجوز أن تجمع على "رجلون" ، وسيكون من السفاهة أن نقول أن الرجل منع من الاقتراب من قلعة المذكر السالم! وليس من المعقول أن نقول أنّ العرب تقصي عدة كلمات من قلعة جمع

1ــ أبو البركات الأنباري، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، دار الكتب المصرية ، 1970، ص63.

[2] ــ عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، 1975،ج1، ص140.

[3] – الغدامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب،ط1، 1996، ص25.

المذكر السالم الحصينة نحو، رسول /رسل، نبي/أنبياء، قائد/قادة، عظيم/عظماء.....إلخ بجمعها جمع تكسير، فهذا الكلام غير علمي، وجمع المذكر السالم قضية نحوية لها شروطها وأحكامها التي لا يمكن أن نربطها بمجرد تحليلات غير علمية.

كما اعتبر الغدامي آراء النحاة العرب في مسألة الأصل والفرع تحيزا لغويا، وأورد في كتابه فصلا بعنوان "الأصل التذكير" ذكر فيه مقولات نحوية من قبيل قول ابن جني " إن تذكير المؤنث واسع جدا لأنه رد إلى الأصل" ([1])، لكن لو استقرأنا قول ابن جني جيدا، لتبين لنا أن كلامه لا يحيل إلى تحيز ضد الأنثى، بل هو مجرد بيان لاعتبارات نحوية، وأحكام لغوية، وليس له علاقة بالمكانة الاجتماعية، والدليل على ذلك أنهم ذهبوا أيضا إلى أن المفرد أصل للمثنى والجمع، لأنهما يحتاجان إلى علامة، والمفرد لا يحتاج إليها، ومن أمثلة ذلك أيضا قول النحاة " النكرة أصل والمعرفة فرع"، وقولهم "الأصل في الحال أن يكون نكرة"، و"الأصل في صاحب الحال أن يكون معرفة"، وقولهم "الأصل في الأسماء الإعراب" ، و"الأصل في الأفعال البناء"....إلخ، فهل يمكن القول عن كل هذه العبارات أنها بنيت على أساس تحيز اجتماعي، فهل النحاة متحيزون للمعرفة ضد النكرة ؟ وللمفرد ضد المثنى والجمع؟ وهل هم متحيزون للمصروف ضد الممنوع من الصرف؟ هذا كلام غير علمي، فالتحليل النحوي واللغوي في التنظير العربي القديم قائم على أساس " الأصل والفرع"، ولا يقتصر هذا التحليل على التمييز بين المذكر والمؤنث وجعل الأول أصلا والثاني فرعا، بل يتعداه إلى اعتبار صيغة المفرد أصلا وصيغة الجمع فرعا، والاسم أصلا والفعل فرعا، والنكرة أصلا والمعرفة فرعا.

كما أن القول بأن الأصل في اللغة التذكير لا التأنيث، فيما تفصح عن ذلك مقولة ابن جني، لا يصح الاستدلال به في معنى الذَّكَر الحقيقي المقابل للأنثى، وإنما هو كما قال سيبويه إشارة إلى المبهم، إلى " الشيء " والشيء يدل على الذَّكر والأنثى، أما مظهر جمع المذكر السالم الذي يحرم على المرأة وعلى غير العاقل والحيوان الدخول إليه وتخصيصه بالمذكر العاقل، فإن بعض أسماء الذكور مثل طلحة وأسامة... الخ يستوون مع المرأة في تحريم صيغة جمع المذكر السالم عليهم، ومثل ذلك عدم إلحاق " تاء التأنيث " بمثل كلمة

[1] – ابن جني، الخصائص،ج2، ص415.

" عاقر" الذي رأت فيه إحدى الناقدات مظهراً لتمييز اللغة ضد المرأة، فاللغة العربية تجعل الصفة من بعض الصيغ (مثل عاقر) صيغة مشتركة بين الأنثى والذكر.

وخلاصة القول علينا أن نعيد للتأنيث اعتباره في اللغة، فيعود الاعتبار إلى الأنثى " فكلما تعزز اللغة محمولها الثقافي الذكري، تعيد إنتاج هذا المحمول على نحو منهجي وكلما تطرد اللغة من بنيانها واستخدامها تحيزّات الذكورة والمجتمع الأبوي وقيمها القاهرة تتراجع عبودية الأنثى وتمحى دونيتها " . ([1]) فلابد من توجيه الانتباه إلى تلك الجوانب من النظام اللغوي الذي أنشأه الرجال والذي ينطوي على ظلم واضطهاد للنساء، فكون اللغة مؤسسة ذكورية كما هو ثابث تاريخيا وواقعيا و بالتالي هي إحدى" قلاع الرجل الحصينة، يعني حرمان المرأة ومنعها من دخول هذه المؤسسة الخاصة بالرجل، مما جعل المرأة في موضع هامشي بالنسبة لعلاقتها مع صناعة اللغة وإنتاجها"([2])، وهذا ما دفع الحركات النسوية إلى السعي لتغيير النظام اللغوي التقبيدي "عبر وضع برنامج تحرري يأخذ بعين الاعتبار مسألة تركيب لغة متحررة من القيود التي تعيق تحرر فكر المرأة وتعبر عن المساواة لأن مفاهيم الذكوري والنسوي هي في النهاية مفاهيم ثقافية وتصورات ذهنية للمجتمعات لا علاقة لها بالطبيعي والجوهري"([3]).

---

[1] – زوليخة أبو ريشة ، أنثى اللغة، أوراق في الخطاب والجنس ، ص74

[2] ــ عبد الله الغذامي،المرأة واللغة، ص11.

[3] ــ نعيمة هدى المدغري، النقد النسوي، ص80.

ب ــ المستوى الصرفي :

كثيرًا ما يُستشهد على تحيز اللغة العربية ضد المرأة بمنع بعض الصيغ من الصرف بسبب تأنيثها، والواقع أن هذه المسألة لم تدرس دراسة وافية إلى الآن وما تزال تفسيرات النحويين هي السائدة، أما الواقع فهو أن الصرف من عدمه إنما يقوم على فكرة الزيادة نفسها، فالذي يمنع صيغة العلم المؤنث من الصرف إنما هو وجود زيادة صرفية فيها لا توجد في كثير من الصيغ المصروفة المماثلة، ولذلك فإن عدم صرفها لا يعود إلى التأنيث نفسه بقدر ما يعود إلى وجود سبب صرفي يجعلها تتجاوز الحد الأدنى للكلمة ويمنعها من الخضوع للقاعدة التي تنطبق على الصيغ الأخرى، والدليل على أن التأنيث نفسه ليس هو السبب في عدم صرف أسماء الأعلام المؤنثة، إن بعض هذه الأسماء تنصرف إذا وافقت الصيغ المجردة التي يمكن صرفها، وذلك مثل صيغة العلم المؤنث الثلاثي ساكن الوسط نحو "هند" و"دعد"، وغير ذلك.

ومن وجه آخر فإن هناك صيغا للمذكر لا تنصرف أيضا، مثل:" الاسم العلم نحو: أحمد، وعمر، وعثمان، والأول يمنع لوزن الفعل، والثاني لأنه معدول عن صيغة "فاعل" والثالث " لزيادة الألف والنون"، وكذا صيغة منتهى الجموع ممنوعة من الصرف نحو: معالم، مساجد، مصابيح، عصافير...، والاسم الأعجمي ممنوع من الصرف نحو:إبراهيم وإسماعيل، وصالح، وشعيب... وهذه كلها موانع صرفية أو اشتقاقية أو لفظية تبعدها عن الحد الأدنى للكلمة وتجعلها زائدة لفظًا أو دلالة "([1])، فسبب عدم صرف العلم المؤنث إذن ليس تحيز اللغة ضد الأنثى وإنما هو وجود بعض الموانع المحددة.

ويتبين من هذه الشواهد أن اللغة العربية، بوصفها نظامًا لغويا، تميز بين المؤنث والمذكر في الفصائل النحوية والصرفية بصورة تماثل ما يحدث في لغات عديدة من أجل كفاءة الاتصال، أما الأقوال الكثيرة التي تقال دائما عن تحيز اللغة العربية للذكر ضد الأنثى استشهادًا بهذه الخصائص وغيرها، فهي أقوال تفتقر إلى الأدلة اللازمة من النظام اللغوي نفسه، كما أن لهذه الفروقات أسبابها اللغوية الواضحة فتعامل اللغة العربية، إذن، الذكر والأنثى بطريقة لا يمكن أن توحي بتفضيل أحدهما على الآخر من حيث الفصائل النحوية والصرفية، كما سبق القول.

[1] – عبد الغني الدقر، معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، دار القلم، دمشق،1986 ، ط1، ص367.

ج ــ المستوى المعجمي :

لعل من أدّل الشواهد على عدم تحيز اللغة العربية ضد الأنثى أن جمع التكسير الذي تجمع عليه أغلب الأسماء فيها يأتي على صيغة المؤنث، بل إن كلمة " رجل" وهي الكلمة الرئيسة في الدلالة على المذكر الإنسان لا تجمع إلا جمع تكسير مؤنثا، بل إنه يمكن أن تظهر علامة المؤنث على الفعل الذي يسند إليها، مثل "جاءت الرجال"، وتصل هذه الظاهرة حدًّا بعيدًا من الشمول حتى إنه يمكن القول بأن أكثر صيغ اللغة مؤنثة، ومن ذلك كلمة "اللغة" نفسها، وكذلك أكثر الكلمات التي تدل على القيم العليا في المجتمع العربي مثل الشجاعة والنخوة والأنفة والنجدة والفضيلة، وغيرها كثير.

وقيل أيضا أن قول ابن منظور التالي في مادة "أنث" في لسان العرب ([1]) ، إنما يعنى أن العرب كانت تسوى بين المرأة والجمادات، يقول ابن منظور: "وفي التنزيل العزيز: "**إِنْ يَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا** "**النساء117**، وقرئ: إِلا أُنُثًا، جمع إِناث، مثل تِمارٍ وتُمُر، ومَن قرأَ إِلا إِناثًا، قيل: أَراد إِلا مَواتًا مثل الحَجَر والخَشَب والشجر والمَوات، كلُّها يخبر عنها كما يُخْبر عن المُؤَنث، ويقال للمَوات الذي هو خلاف الحَيوان: الإِناثُ"، فهذا الكلام يعنى لدى البعض أن العرب كانت تسوى بين المرأة والجماد، وهذا كلام غريب فعند مراجعة المعجم المذكور نجد ابن منظور يقصد أن كلمة "إناثا" في الآية السابقة التي تتحدث عن توجه المشركين للأصنام بالدعاء لا تعنى أن تلك الأصنام مؤنثة الجنس، إذ هي في الحقيقة جماد فلا تُذَكَّر من ثَمَّ ولا تؤنَّث، اللهم إلا اعتبارا لا حقيقة، فشَرَح الآية بما يفيد أن المشركين يعبدون من دون الله جمادات لا روح فيها ولا حياة، وهو ما يوضح أنهم في عبادتهم للأصنام عديمو العقل فاقدو المنطق، أي أن ابن منظور قد لفت انتباه القارئ في شرحه للآية إلى معنى من معاني "إناث" غير شائع، مثلما لفت الزبيدى في "تاج العروس" الأنظار إلى معنى آخر لكلمة "أنثى" ([2]) مجهول لدى الناس كلهم تقريبا، ألا وهو "المنجنيق".

قال الزبيدى، وهو ما قاله ابن منظور تقريبا، لكن على نحو أزيد وأوضح وأكثر تفصيلا: "وفي التنزيل العَزيز " **إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا** ". وقرئ "إِلاّ أُنُثًا": جمع إِنَاثٍ

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مادة أنث، المجلد الأول، ص169.

[2] – الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس،دار الهداية ،2010،ج3، ص209.

مثْل نِمَارٍ ونُمُرٍ، وقرأَ ابنُ عبّاس: إِنْ يَدْعُونَ من دُونِهِ إِلا أُثُنًا، قال الفرّاءُ: هو جَمْع الوَثَنِ كـــ"الأَنَاثَى" كعَذَارَى، جاءَ ذلك في الشِّعْر، من قرأَ: إِلاّ إِنَاثًا، أَرادَ "المَوَات" الذي هو خِلافُ الحَيَوَان كالشَّجَرِ والحَجَرِ والخَشَب، عن اللِّحْيَانِيّ... (و) يقال: هذه "امْرَأَةٌ أُنْثَى" إِذا مُدِحَتْ بأَنَّهَا "كامِلَةٌ" من النّساءِ، كما يُقَال: رجُلٌ ذَكَرٌ، إِذا وُصِفَ بالكَمَال، وهو مجاز"([1]) ولعل القارئ قد تنبه أيضا إلى أن المرأة حين توصف فى لغة الضاد بأنها "أنثى" فمعناه أنها حازت صفة الكمال بين بنات جنسها، وهو ما يجهله البعض، وشيء آخر لا ينبغي أن نغفله هنا، وهو أن "الرجولة" تشمل الرجال والنساء جميعا،" فالرَّجُل رَجُلٌ، والمرأة رَجُلَةٌ"، كما أن كلمة "رَجُل"، التي شاع استعمالها للذكور من البشر دون الإناث إنما تعنى في أصل استعمالها "الراجل"، أي الذي يسير على رجليه، فلا فضيلة لأصل هذا الاسم على اسم "المرأة" أو "الأنثى" كما ترى، ومن هنا قال العرب: "جاءنا فلانٌ حافيًا رَجُلاً" أي راجلاً، طبقا لما يقوله الزبيدي في ذات المادة.

وقيل أن المرأة جمادا يفتقر إلى الحياة، ومن ثم فافتقارها إلى النطق والبيان والبلاغة هو أمر عادى تماما، وهم يستشهدون بتفسير بعض المفسرين لقوله تعالى حكاية عن الكفار في وصف النساء: "مَنْ يُنَشَّأُ في الحِلْيَةِ"، إذ يشرح الزمخشري ذلك بأن" جنس المرأة إنما "يتربى في الزينة والنعمة، وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين، ليس عنده بيان، ولا يأتي ببرهان يحجُّ به من يخاصمه، وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهنّ عن فطرة الرجال، يقال: قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها "([2])، لكن الكلام في الآية ليس هو كلام الله عز شأنه ولا حتى كلام المسلمين، بل كلام المشركين، الذين كانوا يبغضون خِلْفة الإناث ويرونها عارا بل كان بعضهم يئد ابنته التي رزقه الله بها فيدسّها في التراب، وقد قال المشركون هذا الكلام عن النساء على سبيل الإنكار والسخرية.

أي أن الله هو الذي كَنَّى في الآية عن النساء بما كنى به عنهن تعبيرا عن عجزهن عن الإبانة، وكأنه سبحانه قد خلقهن خُرْسًا. **فهل يعقل هذا** ؟ ألم يقل القرآن عن الإنسان جميعه: ذكوره وإناثه، رجاله ونسائه: " **الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3)**"

---

[1] – المرجع نفسه،ج3، ص209.

[2] ــ الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي ،بيروت،،ط3،سورة الزخرف،ج4،ص261.

فكيف يقول في موضع إنه قد علم المرأة البيان مثلما علم الرجل ثم يقول في موضع آخر إنها بطبيعتها غير مبينة، وضعيفة القوة العقلية ؟ حاشا لله أن يفعل هذا، وإلا فلم قال الرسول عن النساء إنهن شقائق الرجال، أي الشق الآخر لهم المقطوع من ذات القماشة ولم جعل القرآن الكريم الرجال والنساء بعضهم من بعض كما جاء في قوله" **فاستَجابَ لهم ربُّهُم أني لا أُضيعُ عمَلَ عامِلٍ منكُم مِن ذكرٍ أو أُنثَى...**" الآية 195 من سورة "آل عمران"، مثلا؟ ثم لو كان الأمر على ما توهمه أولئك المفسرون فلم دافع الإسلام عن المرأة وردّ على المشركين، الذين كانوا يبغضون ولادتها، وحث على تكريمها وسوى بينها وبين الرجل، بل خصّها بمزيد من الاهتمام لم يحظ به الرجل؟ ثم إذا كانت المرأة ضعيفة القوة العقلية فكيف تحاسَب إذن ما دام وُسْعُها العقلي من الضعف إلى هذا المدى؟ ألم يقل سبحانه وتعالى: " **لَا يُكَلِّفُ اللَّه نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** " سورة البقرة،الآية286 ، كذلك نجد أن الزمخشري ينزّل المرأة منزلة غير العاقل، فقد فسر سر استعمال الاسم الموصول: "ما" عِوَضًا عن "مَنْ" في قوله عز شأنه في الآية السادسة من سورة "المؤمنون": "**إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ** " بأنه لما كان المقصود هنا هو الإناث استخدم لهن الاسم الموصول لغير العاقل: "فإن قلت: هلا قيل: مَنْ مَلَكَتْ أيمانُهم؟ قلت: لأنه أريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء، وهم الإناث"([1])، ولا شك أن الزمخشري قد أخطأ التعليل، وإلا لوجدنا القرآن ينحو هذا المنحى في التعامل مع المفردات التي تدل على النساء، إلا أنه لم يفعل هذا قط.

[1] ــ الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، سورة المؤمنون،ص 703/ 704.

د ــ المستوى البلاغي:

إذا كان يأخذ على البلاغة العربية، كما يقال، أنها تصف المرأة بأنها "حيّة"، فإن تلك البلاغة ذاتها قد وصفت الرجل بأنه "حيّةٌ ذَكَرٌ" و"حيّة الوادي"؟ لكن يقال إنها في حالة المرأة تشير إلى الغدر، على حين تشير في حالة الرجل إلى الشجاعة[1]، ويقال كذلك أن العرب والمسلمين كانوا يحتقرون المرأة ويسيئون إليها ويصيرونها حيوانا وجمادا ونباتا. كذلك كان العرب يقولون عن الرجل السيد: " ثور القوم، بل كان بعضهم يسمَّى: "ثورا" و"جحشا" و"بَكْرا" و"عثمان" (وهو فرخ الثعبان) و"ثعلبا" و"قُرَادا" و"خروفا": كالشاعر حُمَيْد بن ثور، وجحش زوج عمة الرسول وحَمِيه، وبكر بن وائل، وعثمان بن عفان، وثعلب اللغوي المشهور، وقراد بن حنش، وابن خروف مثلا، وكثيرا ما يكنون الرجل: فَحْلا والفَحْلُ جملٌ، أي حيوان. ولم يقل أحد إنهم يهينونه بهذه التسمية. ومن أسماء الرجال الشائعة عند العرب: "جندب"، أي صرصور الحقل، و"حُنَيْش"، و"حُبَاب"، وهو الحيّة و"أسد"، و"العبّاس" من أسماء الأسد، و"أسامة" من أسماء الأسد أيضا، و"عنترة "، أي الذبابة الزرقاء،و"طاووس"، و"عكاشة"،و هو العنكبوت ،و"كلب"،و"كُلَيْب". ومن أسماء الرجال عند العرب: "حنظلة" و" سَمُرَة " و" طلحة " و"سَلَمَة"، وهذه أسماء نباتات وأشجار، و"الفرزدق"، وهو الرغيف، و"جَبَل"، و"حزام"، و"كعب"، و"جَرِير" والجرير هو الحبل." ([2]).

وفى البلاغة أيضا: "هذه امرأة أنثى: للكاملة من النساء"([3])، ويقول العربي : "حلبتُ بعيري"، وهو يريد الناقة، مما يدل على أن البعير والناقة (أي ذكر الجمل وأنثاه) عند العربي سيان في مثل هذا الأمر الذي يختص بالأنثى، ولا مدخل للذكر فيه بأي حال([4])، وفى "أساس البلاغة": "قال بدوي لآخر: هل لك بيت؟ أي " امرأة"([5])، فجعل المرأة هي البيت كله أي البناء وما يحويه من أثاث وناس.

---

[1] ــ الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، ت/محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب،القاهرة،ج1،ص258.

[2] ــ معجم الأسماء، معجم إلكتروني، أكبر موسوعة للأسماء العربية، asmaa. Org .

[3] ــ الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص21.

[4] ــ الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ،1986، ص 138.

[5] ــ الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص22.

وإذا كان يأخذ على العرب القدماء تشبيههم المرأة أحيانا بالحيوان أو النبات أو الجماد ظنًّا منهم أن هذا خاصّ بها وحدها وأنه دليل على تحقيرهم لها وإخراجهم إياها من عالم الإنسانية إلى عالم الحيوانات والنباتات والجمادات، فما القول في المجازات التالية: "فلانٌ جُحَيْــش وَحْــِده، وعُبَيْر وَحْدِه: في ذم المستبد برأيه والمستأثر بكسبه".([1])

[1] ــ ابن منظور، لسان العرب، مادة جحش، ج3، ص 80.

خلاصة الفصل: قدمنا فيما سبق الخصائص التي تميز لغة المرأة وتجعلها مختلفة عن لغة الرجل، وهذه الخصائص وضعها الدارسون بعد تتبع لغة الحديث ووسائل الاتصال غير اللفظية ومن أهمها السمات الصوتية والنطقية التي تتميز بها المرأة، ومجموعة من الخصائص الأسلوبية والنحوية والتركيبية، فالمرأة تختلف عن الرجل في أسلوب كلامها وفي معجمها اللغوي وفي تراكيب جملها، وتوصلنا إلى أن هذه الخصائص تختلف من امرأة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر فهي غير ثابتة ولا يمكن أن نجزم بها، وقد تظهر حتى في كلام الرجال.

كما تطرقنا لوضع المرأة في اللغة العربية من خلال طرح رأيين مختلفين تماما واحد يدعي أن اللغة العربية لغة متحيزة للذكر على حساب الأنثى، مستدلا على ذلك بجملة من الآراء، والأحكام من كتب النحو، والمعاجم القديمة، وآخر يرى أن اللغة لم تتحيز لجنس على حساب جنس آخر، مبرهنا على ذلك بآراء، ودلائل تدعم توجهَه وبين ذلك وذاك نتساءل نحن، هل اللغة العربية لغة متحيزة لجنس على حساب آخر ؟ تصعب الإجابة عن هذا السؤال، فإذا قرأنا حجج المؤيدين للتحيز نحكم على اللغة العربية بأنها لغة متحيزة للذكر، وإذا اطّلعنا على الرأي المخالف، الداعم لحيادية اللغة، نقول أن اللغة بعيدة كل البعد عن التحيز، لكن لو تمعّنا جيدا نجد أن اللغة العربية لغة مجتمع مثقل بالإرث الثقافي وتحكمه تشريعات وتقاليد لا يمكن الخروج عنها، وهذه اللغة غرضها الإبانة، والتفريق بين مختلفين هما المذكر والمؤنث، لكن هي في نفس الوقت تعجز عن ذلك وتجعل المذكر على لفظ المؤنث والمؤنث على لفظ المذكر، وتجعل "الجبن" مذكرا و" الشجاعة" مؤنثة ،و إذا خاطبت مجموعة من النساء فيها رجل واحد تخاطبهم بضمير جماعة المذكر، فيقال عنها متحيزة ، إذا تتبعنا نظام اللغة قد نضيع بين حالات تكون فيها اللغة مع الأنثى وأحيانا تكون فيها ضد، وحسب رأينا لا يمكن أن نحكم على نظام اللغة في مسألة التأنيث والتذكير بل لابد من تجاوز ذلك إلى شيء أهم وهو مستعمل هذا النظام فاللغة ظاهرة اجتماعية نشأت بفعل التواضع والاستعمال، والفرد يكتسب سلوك لغوي من مجتمعه، وهو ملزم بإتباع هذا السلوك الذي يكون متأثرا بعدة عوامل اجتماعية وثقافية ودينية وسياسية ... ومرتبط بالعادات والتقاليد والتراث والقيم... فهذه العوامل هي التي تؤثر في اللغة وبالتالي إذا كان هناك تحيز في بعض جوانب اللغة فمرده لا يعود للنظام

اللغوي، وإنما لتلك العوامل، وبالتالي لابد من القضاء على هذا التحيز والحد من هذه الفوارق عن طريق إعادة الاعتبار للمرأة، وتحقيق المساواة بينها وبين الرجل، وإعطائها فرصة لأخذ مكانتها داخل المجتمع وبالتالي التحول من التابعة إلى الفاعلة والمؤثرة وهذا سيؤدي إلى إحداث تغيرات أساسية من شأنها محو التمييز بين المرأة والرجل وتوسيع المجال اللغوي للنساء عن طريق محو الفراغات ولحظات الصمت والتأسيس لذاكرة لغوية حتى يتمكن الوعي النسائي من الكشف عن ذاته من خلال حصول النساء على حقهن في تأكيد قيمهن الخاصة وحقهن في التعبير وحق الكلمة، إنه نضال من أجل إلغاء لغة الاحتقار ولغة التهميش بشكل عام.

الخاتمة

خاتمة:

طمحت هذه الدراسة إلى الكشف عن خصوصية اللغة النسوية وعن أهم العلامات التي تميزها عن اللغة الذكورية، وعن العوامل التي أثرت في تكون هذه الخصوصية، كما تطرقت لفعل الكتابة والإبداع عند المرأة بوصفه خطابا قادرا على تخليص اللغة من فحولتها التاريخية وخارق للتابوهات ومقاوم للدونية والتهميش، وتوصلت لنتائج متعددة ومتنوعة.

1ــ تشترك عوامل عديدة في تكوين خصوصية لغة المرأة وتؤثر عليها سلبا وإيجابا:

فيمكن أن نعزي الكثير من الاختلافات اللغوية بين الجنسين إلى العامل الاجتماعي فالمجتمع يصنف المرأة والرجل على أساس أنهما جنسان مختلفان وغير متساويين وتقترن الاختلافات اللغوية بين الجنسين بالمتغيرات الاجتماعية فنظرا للمكانة الهامشية التي تحتلها المرأة في أغلب المجتمعات يظهر هذا التهميش في لغتها ويؤثر فيها، كما وضعتها الثقافة السائدة في المجتمعات على مر التاريخ في موقع دوني مقارنة بموقع الرجل في الأدوار والوظائف والمسؤوليات، ويعود السبب إلى أن الثقافة الذكورية انتقصت من المرأة في كل شيء، وعليه فإنه لابد من إعادة النظر في هذه الثقافة المهيمنة ورد الاعتبار للأنثى بوصفها كائنا إنسانيا مكافئ للذكر، وبالتالي التأسيس لهوية نسوية ذات خصوصية كفيل بمنحها مكانة تستحقها وذلك بزحزحة العلاقة بينها وبين الرجل من التبعية إلى الشراكة.

كما ساهمت العديد من الخلفيات الأسطورية والخرافية والنصوص الدينية والأدبية والفلسفية والثقافات السائدة في تهميش المرأة وجعلها مخلوق ضعيف، فالأساطير والخرافات من أهم الأسباب التي دعمت سيادة العقلية الذكورية وأعطت للمرأة دور الإمتاع الجنسي للرجل، والمنجبة للأولاد، والمسؤولة عن أعمال المنزل، ووضعت لها صفات متعلقة بالدونية والشر ونقمة الجمال مجردة إياها من إنسانيتها.

وبدورها أساءت الثقافة الشعبية للمرأة مكرسة لها نظرة دونية متخلفة، فقد سايرت ما يجود به التصور الثقافي العام عنها، ونسبت لها العديد من الصفات السلبية وألصقتها بطبيعتها كالغدر والخيانة، والسفه، والفجور، وتقلب الأهواء، والمكر، والخديعة، والأنانية وإيثار الذات وقصور العقل، وعدم صواب الرأي والفكر، ومن ثم نصحت بعدم الثقة فيها أو الأخذ بمشورتها، وخصت هذه الثقافة المرأة بهذه السمات السلبية دون الرجل مغفلة أن الطبيعة البشرية لم تلعب دورا في هذا التمييز، وإنما هو من صنع الرجل ذاته، إذ أن لكل من الرجل والمرأة صفات سلبية وإيجابية، وعيوب، ومميزات وهذه الصفات ليس خاصة بجنس معين.

كما ساهم العامل الديني والفهم الخاطئ لتعاليمه في تهميش المرأة، فقد عانت المرأة كثيرا لدي أغلب الأمم والتشريعات قبل ظهور الإسلام فعاشت وضعا قاسيا ومهينا، فلم ترتقي عندهم حتى لمكانة إنسان بروح، واعتبروها أصلا للشرور والآثام في الوجود ، فلو تأملنا بعض المرجعيات الدينية، فإننا نقف على صورة سلبية للمرأة، بل مكانة دونية، تفتقر إلى الرفع من مكانتها إلى مرتبة الإنسان، فنجد التحريم والتجوير، بل أن النظرة للمرأة تستند إلى بنية فكرية منشدة إلى أفق فكري يكاد يكون قبرا ووأدا.

وتظهر المرأة في مضامين وسائل الإعلام مستهلكة غير منتجة وغير مشاركة في عملية التنمية، وهي في معظم الأحيان غائبة عن ميادين الإنتاج والخدمات والنشاط الاقتصادي وتظهر غير قادرة على الإبداع في أي من هذه المجالات، إذا تركز وسائل الإعلام على الأدوار التقليدية للمرأة على حساب الأدوار الأخرى لها باعتبارها منتجة ومبدعة فنيا وفكريا وثقافيا ومساهمة في مختلف جوانب الحياة والعمل وقادرة على اتخاذ القرارات وبناء الأسرة، لكن رغم مسؤولية وسائل الإعلام في تكوين هذه الصورة السلبية عنها لا يمكن إنكار مسؤولية المرأة في حذ ذاتها عن هذا الوضع فهي التي تقبلته وتبنته وساهمت فيه.

وبفضل نضال مرير وبعد معاناة لقرون من الزمن نالت المرأة البعض من حقوقها القانونية وأصبحت واعية تسعى دائما لتحسين وضعها وفرض وجودها في المجتمع كما تمكنت حديثا من دخول للمعترك السياسي واحتلال مناصب مهمة، وهذا جاء بفعل وعيها بضرورة المساهمة في صنع القرار فتحدت التقاليد والأعراف وحققت لها مكانة معتبرة بفضل وعيها الكبير لقضايا مجتمعها وقدرتها على التحليل والنقد.

2ــ تتميز لغة المرأة بخصائص عديدة تجعلها مختلفة عن لغة الرجل هي:

يعتبر موضوع اللغة من أهم المواضيع التي أثارتها الحركات النسوية، فقد اهتمت الناقدات بمسألة استخدام النساء للغة على عدة مستويات كعلم الاجتماع وعلم النفس والتربية والأسلوبية والنقد الأدبي .

تتعدد الخصائص التي تميز لغة المرأة وتجعلها مختلفة عن لغة الرجل، وهذه الخصائص وضعها الدارسون بعد تتبع لغة الحديث ووسائل الاتصال غير اللفظية ومن أهمها السمات الصوتية والنطقية التي تتميز بها المرأة، ومجموعة من الخصائص الأسلوبية والنحوية والتركيبية، فالمرأة تختلف عن الرجل في أسلوب كلامها وفي معجمها اللغوي وفي تراكيب جملها.

والاختلاف الكبير في الخصائص اللغوية بين الجنسين، مرده إلى درجة التواصل والمشاركة، فكلما كان للمرأة حضورا بارزا في تفاصيل الحياة إلى جانب الرجل قلت الاختلافات اللغوية بينهما، وكلما انغلقت على نفسها وكانت منعزلة عن معترك الحياة ملتزمة بشؤون بيتها فقط زادت الاختلافات بين الجنسين وتعمقت.

واللغة ظاهرة اجتماعية نشأت بفعل التواضع والاستعمال، والفرد يكتسب سلوك لغوي من مجتمعه، وهو ملزم بإتباع هذا السلوك الذي يكون متأثرا بعدة عوامل اجتماعية وثقافية ودينية وسياسية ... ومرتبط بالعادات والتقاليد والتراث والقيم...وإذا كان هناك تحيز في

بعض جوانب اللغة فمرده لا يعود للنظام اللغوي، وإنما لتلك العوامل، وبالتالي لابد من القضاء على هذا التحيز والحد من هذه الفوارق عن طريق إعادة الاعتبار للمرأة وتحقيق المساواة بينها وبين الرجل، وإعطائها فرصة لأخذ مكانتها داخل المجتمع وبالتالي التحول من التابعة إلى الفاعلة والمؤثرة.

لكن لا يمكن أن نسم اللغة العربية بالتحيز، ونهرع إلى تعديل نظامها اللغوي، فتلك مغالطة منطقية لأن مظاهر التحيز اللغوي في حنايا الثقافة والمجتمع، لا في جبلة اللغة وبالتالي يجب تعديل الثقافة وقيم المجتمع، لينعكس ذلك على اللغة.

3ــ ساهمت عوامل كثيرة في دراسة لغة المرأة وإظهار قدراتها الإبداعية من خلال كتابتها وخطابها وهذه العوامل هي:

من أهم الأسباب التي دفعت لدراسة لغة المرأة والاهتمام بها حديثا ظهور الحركات النسوية التي اعتبرت اللغة من أهم قضاياها فبحثت في خصوصية لغة المرأة من خلال حديثها وكتاباتها وفي إمكانية خلق المرأة للغة جديدة خاصة بها، لغة بعيدة عن التحيز وعن السيطرة الذكورية.

وساهمت الحركات النسوية في العالم العربي بفضل انفتاحها على المجتمعات الغربية والثقافات الأجنبية، والاطلاع على الحركات النسوية العالمية في زيادة وعي المرأة العربية بحقوقها وفي تقدمها تقدما ملموسا في كافة المجالات.

كما تبنت الكتابة النسوية موضوع المرأة، وجعلته موضع اهتماماتها، رافضة الخلفيات الثقافية الذكورية الأسطورية والتاريخية التي همشتها واضطهدتها، كما اعتمدت أسلوب نقدي متنوع فيه دعوة إلى إعادة قراءة كتابة المرأة التراثية والمعاصرة بشكل خاص.

ويؤكد النقد النسوي على الخصوصية الإبداعية للمرأة الكاتبة التي اخترقت النظم الاجتماعية السائدة وعرت المسكوت عنه لتواجه الآخر، ولتوحي بمدى تهميشه لها فجاءت كتاباتها مدونة للفكر الاجتماعي .

والمجتمع العربي في عمومه مجتمع ذكوري يرى أن المرأة لا تكتب ولا تبدع، إنها فكرة تكبيلها بالصمت التي ظلت تصاحبها لقرون عديدة، فالرجل وحده ينوب عنها للتحدث عن قضاياها وخصوصياتها إنه مجتمع يتبنى الخطاب الأحادي، وأحادية السلطة.

ولغة الكتابة عند المرأة متميزة، فكلا من الرجل والمرأة يستعملان اللغة نفسها، فهما يستمدانها من القاموس ذاته، لكن هناك اختلاف في كيفية استعمال هذه اللغة التي تتحول بعد استخدامها إلى لغة خاصة، وتستمد خصوصيتها من التمايز بين الجنسين.

لم تسلم المرأة الكاتبة من المؤسسة النقدية التي لم تصنفها إلا قليلا، فلطالما تعامل النقاد مع كتاباتها من منظور تمايزي غايته الانتقاص من قيمة إبداعها، فغالبا ما يغفل الناقد النصوص و يتعامل مع صاحباتها ليقيمها لا على أساس ما تتوفر عليه من قضايا جمالية وأبعاد فكرية، بل على أساس أن المبدع امرأة ، وعليه فهي نصوص ضعيفة بالضرورة.

والكتابة النسائية العربية رغم كل العراقيل، والنظرة الدونية والسطحية التي عانتها، إلا أنها أصبحت في مستوى كبير يقبل عليها القارئ ويتابعها بفضل جهود الكاتبات والنقد البناء الذي يساهم في تطورها.

إذا لغة المرأة لغة مختلفة عن لغة الرجل، اتسمت هذه اللغة بالضعف والتهميش لزمن طويل بفعل سلطة وسيطرة ذكورية كرسها المجتمع بكل عناصره وفواعله وكرستها حتى المرأة ذاتها، لذلك تحتاج المرأة إلى معركة مع نفسها، وثورة على ما ترسب في عقلها من أوهام عن دونيتها وضعفها، تشربتها من النظام الأبوي، ولابد من تجديد الوعي عند المرأة بذاتها ككيان متفرد يولد ذاته بذاته، وأنها كائن إنساني، وهو ما يعزز قوتها في

عدم تقبل الوضع الدوني المهمش وتناضل من أجل إزاحته عن طريق امتلاكها لمستوى ثقافي وتعليمي جيد يؤهلها كي تكون لها آراء متحررة عن السائد والمألوف من الأعراف والتقاليد والعادات، ويعمل على سموها وارتقائها من خلال تمكينها من عناصر الوعي وإنارة سبل دفاعها عن حقوقها فالرجل رغم ما يدعيه من انفتاح وثقافة لم يتخلص من النظرة الدونية لها والتي يرى فيها كائنا ناقصا ليس لديه قدرة على الخلق والإبداع.

وفي الأخير آمل أني وفقت في تقديم بحثي هذا وفي الإجابة عن إشكالاته، وأن يكون منطلقا لدراسات أخرى تعنى بلغة المرأة وتجلياتها في النصوص والخطابات المختلفة.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

_ ابن التستري سعيد ابن إبراهيم، المذكر والمؤنث، تحقيق أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1983.

_ ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، ط4، 1990.

_ سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،ط1، 1954.

_ اللمع في العربية، دار الكتب، الكويت، 2010.

_ ابن كثير، قصص الأنبياء ، المكتبة العصرية، بيروت، 2004.

_ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د ت)، المجلد الرابع.

_ ابن وهب أبو الحسن إسحاق ابن إبراهيم، البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، ط1، 1967.

_ أبو ريشة زوليخة، أنثى اللغة، أوراق في الخطاب والجنس، دار نينوى، دمشق سوريا، 2009.

_ اللغة الغائبة، نحو لغة غير جنسوية، مركز دراسات المرأة، عمان الأردن،ط1 ،1996.

_ أبو زيد نصر حامد، دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، ط2 2000.

_ أبو الفضل منى، نحو تطوير منظور حضاري معرفي في الدراسات العربية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996.

_ إجلال خليفة، الحركة النسائية الحديثة المرأة العربية على أرض مصر، المطبعة العربية الحديثة 1973.

_ إدريس عبد النور، النقد الأدبي النسائي والنوع الاجتماعي (الجندر)،تمثلات الجسد الأنثوي في الكتابة النسائية، سلسلة دفاتر الاختلاف، مكناس، المغرب، ط1، 2011.

_ أديب عقيل، المرأة والرجل والمساواة بين الجنسين، مجلة المعرفة، العدد 435 وزارة الثقافة سوريا.

_ الأعرجي نازك، صوت الأنثى، دراسة في الكتابة النسوية العربية، الأهلي للطباعة والنشر دمشق ط1، 1997.

_ أفاية نور الدين، الهوية والاختلاف في المرأة والكتابة والهامش، إفريقيا الشرق، ط1، 1995.

_ الأنباري أبو بكر، المذكر والمؤنث، تحقيق طارق الجناني، دار الرائد العربي، بيروت، 1986.

_ الأنباري أبو البركات ، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، دار الكتب المصرية، 1970.

_ الأنصاري عبد الحميد إسماعيل ، قضايا المرأة بين تعاليم الإسلام وقضايا المجتمع، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2000.

_ أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة لأنجلو المصرية،القاهرة ، ط5 ،1922.

_ بادي سامية، المرأة والمشاركة السياسية التصويت، العمل الحزبي، العمل النيابي رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة منتوري قسنطينة، 2005.

_ الباقلاني، إعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5 1997.

_ برادة محمد، أسئلة الرواية أسئلة النقد، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، المغرب 1996.

_ برجشتراسر، التطورالنحوي للغة العربية، ت/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة 1982.

_ بركات أنيسة، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985.

_ برهومة عيسى، اللغة والجنس، حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002.

_ بدير حلمي، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ط1، 2003

_ بستاني كارمن، الرواية النسوية الفرنسية، الفكر العربي المعاصر، ع34، ربيع 1985.

_ بشر كمال، علم اللغة الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1997.

_ بعلي حفناوي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2009.

_ بلغول شهرة، كتابة التاريخ من منظور نسوي، دراسة في رواية آسيا جبار " بعيدا عن المدينة" عود الند مجلة ثقافية شهرية الكترونية، نشر عدلي الهواري، س7، ع83.

_ بنسادون ناي، حقوق المرأة منذ البداية حتّى أيامنا، ت/ وجيه البعيني، عويدات للنشر والتوزيع، بيروت، 2001 .

_ بن السائح الأخضر، لذة السرد النسائي وعوامل الإثارة والإغراء، مجلة نزوى الالكترونية، سلطنة عمان ،ع86.

_ بن سلامة رجاء، مفاهيم عالمية، التذكير والتأنيث (الجندر)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المعرب، 2005.

_ بن مسعود رشيدة، المرأة والكتابة، سؤال الخصوصية/ بلاغة الاختلاف، إفريقيا الشرق،الدار البيضاء المغرب،ط1، 1994.

_ بوعلي ياسين، أزمة المرأة في المجتمع الذكوري العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا 1992.

_ التوحيدي أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1953.

_ الجابري محمد عابد، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،1994.

_ جابي عبد الناصر، الانتخابات الدولة والمجتمع، دار القصبة للطبع والنشر، الجزائر ط1،2002.

_ الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، (ب ت)،ج1.

_ جبران مي، الشخصية الأنثوية، مجلة مواقف، ع 74/73، 1994.

_ جبوري فريال، الرواية الصوفية في الأدب المغاربي، مجلة البلاغة المقارنة، ع17، 1997.

_ جسبرسن أتو، اللغة بين الفرد والجماعة، ت/ عبد الرحمان محمد، مكتبة نهضة مصر، ب ت.

_ حمودة ماجد، النقد الأدبي الفلسطيني في الشتات، مؤسسة عيال للدراسات والنشر نقوسيا 1992.

_ خالدة سعيد،المرأة التحرر والإبداع، منشورات الفنك، الجزائر، ط1، 1991.

_ خراقي عبد النور، علاقة اللغة بالجنوسة، مقاربة تداولية اجتماعية، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، ط1، 2012.

_ خفاجة محمد عبد المنعم/ طه محمد الزيني، تحقيق وتعليق على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الزيني للطبع و النشر، ج3، 1961.

_ الخولي يمنى طريف، ترجمة مقدمة كتاب: أنثوية العلم ليندا شيفرد عالم المعرفة الكويت، ع306، 2004.

_ الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، 1986.

_ الرويلي ميجان وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الرباط ط2، 2000.

_ الزبيدي مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، مصر، ج3، 2010.

_ الزريعي عابد، المرأة في الأدب الشعبي الفلسطيني، دار الأسوار، عكاظ، ط3، 1989.

_ الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، ج4، 1407 هـ.

_ زنين بن بلقاسم، المرأة الجزائرية والتغيير، دراسة حول دور وأداء السياسات العمومية مجلة إنسانيات، ع 57ـ58، 2012.

_ الدسوقي أيمن إبراهيم، المجتمع المدني في الجزائر، مجلة المستقبل العربي، مركز الوحدة العربية، بيروت لبنان، سبتمبر 2000، ع259.

_ الدقر عبد الغني، معجم القواعد العربية في النحو والصرف، دار القلم، دمشق، 1986.

_ دوغان أحمد، في الأدب الجزائري المعاصر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الرغاية الجزائر 1982.

_ دي بوفوار سيمون ، الجنس الآخر، ت/ مجموعة من المترجمين، ب ت.

_ السجستاني أبو حاتم سهل بن محمد، المذكر والمؤنث، تحقيق عزة حسن، دار الشرق العربي بيروت ط1،1997.

_ السعداوي نوال، الوجه العاري للمرأة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط2، 1982.

_ سعد حورية، الوضعية الاجتماعية والسياسية للمجاهدات بعد الاستقلال، رسالة ماجستير في علم الاجتماع العائلي، جامعة الجزائر، 1995/1994 .

_ سليم مريم، المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر، مركز الوحدة العربية سلسلة كتب المستقبل العربي ،بيروت، ط2، 2004.

_ السنوسي نادية، الذاكرة الذكورية للفلاسفة الغربيين ضدّ قابلية المرأة للتفكير، الفلسفة والنسوية إشراف وتحرير علي عبود المحمداوي، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1،2013.

_ السواح فراس، لغز عشتار، دار علاء الدين دمشق، سوريا، ط8، 2002.

_ سيبويه ،الكتاب،ت/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،مصر،ط3، ج3.

_ السيوطي جلال الدين، الأشباه والنظائر، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1985.

_ شعبان بثينة، مائة عام من الرواية النسائية 1899ــ1999، دار الآداب، بيروت 1999.

_ شقير حفيظة، دراسة مقارنة للقوانين الخاصة بالمرأة والأسرة في المغرب العربي، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية،1984.

_ عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ج1، 1975.

_ عبد الرحمن عائشة (بنت الشاطئ)، الشاعرة العربية المعاصرة، دار المعرفة، القاهرة، 1965.

_ الأدب النسوي العربي المعاصر، مجلة الفكر، س7، ع1 أكتوبر1961.

_ عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب، القاهرة، 1982.

_ عبد الوهاب ليلى، موقف علم الاجتماع من قضايا المرأة، مجلة الوحدة، ع9 المجلس القومي للثقافة العربية، شركة تيب للنشر والتوزيع، جويلية 1985.

_ العثماني سعد الدين، المرأة والمشاركة السياسية، طوب بريس، الرباط، المغرب، ط1، 2008.

_ عروس الزبير، الخلفية التاريخية ونضال جمعيات الحركة النسوية من أجل التغيير، مجلة مركز سيداف، الجزائر،ع12.

_ عضيمة محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، (د ت) .

_ العقاد، المرأة في القرآن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،1981.

_ علي حسنين سامية، صورة المرأة في المثل الشعبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، ط1، 2006.

_ عماد حاتم، أساطير اليونان، دار الشرق العربي، بيروت وحلب، ط2، 1994.

_ عوض حنفي، الحركات النسائية العمالية وتحديات سوق العمل، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، مصر، 2010.

_ عوفي مصطفى، الوضعية الاجتماعية للمرأة العاملة وانعكاساتها على الوضع الاجتماعي رسالة ماجستير في علم الاجتماع، 1995/1994.

_ غارودي روجيه، في سبيل ارتقاء المرأة، ت/ جلال المطرجي، دار الآداب بيروت، 1982.

_ الغدامي عبد الله، ثقافة الوهم،المركز الثقافي العربي، الرباط، ط1، 1999.

_ المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1996.

_ الغزالي أبو حامد ،إحياء علوم الدين ، بيروت، دار المعرفة ،ج3.

_ الغلاييني مصطفى، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت، 1995.

_ غنايم مدحت أحمد محمد يوسف ، تفعيل دور المرأة في المشاركة السياسية دراسة تأصيلية المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، مصر، ط1، 2014.

_ الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، ت/ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب بيروت، ج1 1994.

_ صبار خديجة، المرأة بين الميثولوجيا والحداثة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب 1999.

_ صبري حافظ، جدل الرؤى المتغايرة، دراسات ومتابعات لندوات الأدب وقضايا العقل العربي الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.

_ الطبري، التفسير، ج1، دار الفكر بيروت،1984 م.

_ فاتن أحمد علي، عرض تحليلي للاتجاهات الحديثة في دراسة المرأة، مكتب زهراء الشرق القاهرة، 2001.

_ فريس جنفييف وآخرون، مفاهيم عالمية: التذكير والتأنيث (الجندر) من أجل حوار بين الثقافات سلسلة تشرف عليها نادية التازي، ترجمة أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط1 2005.

_ قادري عبد العزيز، حقوق الإنسان في القانون الدولي والعلاقات الدولية، الآليات والمحتويات، دار هومة الجزائر،2005.

_ قطب سيد محمد السيد وآخرون، في أدب المرأة، الشركة المصرية العالمية للنشر القاهرة 2000.

_ القطفي علي بن يوسف، إنباء الرواة على أنباء النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1981.

_ قناوي علي شادية، المرأة العربية وفرص الإبداع، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة،2000.

_ كحالة عمر رضا، المرأة في القديم والحديث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1979.

_ كركر عصمة الدين، المرأة من خلال الآيات القرآنية، الشركة التونسية للتوزيع، 1979.

_ كلاش جورج، تاريخ الصحافة النسوية، دار الجيل، بيروت، ط1،1996.

_ كمال هالة، النوع الاجتماعي (الجندر): التنوع الثقافي والخصوصية الثقافية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2013.

_ المبرد، المذكر والمؤنث، تحقيق رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1986.

_ محسن مصطفى، قضية المرأة وتحديات التعليم والتنمية البشرية، سلسلة المعرفة للجميع، رقم 15، منشورات رمسيس، الرباط، 2000.

_ محمود إبراهيم، الضلع الأعوج، المرأة وهويتها الضائعة، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر،2004 .

_ مختار أحمد عمر، اللغة واختلاف الجنسين، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1997.

_ المدغري نعيمة هدى، النقد النسوي، حوار المساواة في الفكر والآداب، منشورات فكر دراسات وأبحاث،الرباط، المغرب ط1، 2009.

_ مرتاض عبد المالك، تحليل الخطاب السردي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر 1995.

_ المرنيسي فاطمة، الجنس كهندسة اجتماعية، ت/فاطمة الزهراء زرويل، نشر الفنك، الدار البيضاء المغرب،1987.

_ مستغانمي أحلام، فوضى الحواس، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط6، 1998.

_ مسرد مفاهيم ومصطلحات النوع الاجتماعي، صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة، المكتب الإقليمي للدول العربية، ط1، 2001.

_ ممتحن مهدي، الأدب النسائي مصطلح يتأرجح بين مؤيد ومعارض، مجلة التراث الأدبي،اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، س2، ع7.

_ المناصرة حسين، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008.

_ النابلسي محمد سعيد ، صورة المرأة العربية في وسائل الإعلام وفنون التعبير، قضايا وتوجهات دراسات عن المرأة العربية في التنمية ،ع 12، بغداد 1985، ص8.

_ ناجي سوسن، المرأة في المرآة، دراسات نقدية للرواية العربية في مصر، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة 1989.

_ نور الدين عصام، " المحايد أو المذكر والمؤنث من غير الحيوان " مجلة الدراسات العربية ع7–8 ، 1988 .

_ هاشم ثريا، نجاح منصور، دليل تدريبي للمدربات والمدربين على قضايا النوع الاجتماعي في التعليم، مطبعة المركز التربوي للبحوث والإنماء، بيروت، لبنان، 2012.

_ الوائلي عامر عبد زيد، المرأة في المخيال الذكوري، مسائلة التمثلات والصور النمطية الإقصائية الفلسفة والنسوية، منشورات الاختلاف.

_ وطفة علي، الشواخص الاجتماعية لوضعية المرأة الاغترابية في الوطن العربي، مجلة الفكر العربي 1995،ع82

_ يقطين سعيد، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة ط1، 2010.

_ اليوسفي محمد لطيف، لحظة المكاشفة الشعرية، الدار التونسية للنشر، تونس.

المراجع باللغة الأجنبية:

_ Abadir Sonia Ramzi , La femme arabe au Maghreb et au Machrek fiction et réalités Alger Entreprise nationale du livre, 1986 .

_ alsheibani Jamal , réécrire l'histoire au féminin ,les enjeux idéologiques poétiques de la narration dans Loin de Médine, thèse de doctorat ,université de Cergy pontoise ,2009.

_ Boudefa saliha ,L'image de la femme dans le discours, OP ,cit .

_Cameron (Deborah) ,Feminism and Linguistic Theory, London,Macmillan,1985.

_ Djebar Assia ,Ces vois qui m'assiègent ,Albin Michel , 1999.

_ Loin de Médine , édition Albin Michel ,1991.

_ Djedidi Tahar Labib, La langue arabe et la sexualité ,Revue :L'homme et la société N28,Avril _ Mai _ juin,1973

_ Fanon .F : sociologie d'une révolution algérienne, ed . MASPERO, paris 1960 .

_ Fraisse Geneviève, Les Femme set le féminisme , in E Universalis, article Femme , p 364 .

_ Khodja Souad, Nous Les Algériennes La grande solitude, Ed Casbah, Alger, 2002.

_ Lakoff Robin ,Language Women's Place ,USA ,1976.

_ Les Algériennes citoyennes en devenir IMED/CMM ,2000,Alger.

_ Minces .J, La femme dans le monde arabe, édition MAZARINE, paris,

_ Mostaganemi Ahlem , Algérie ,femme et écritures ,Paris ,Edition L'harmattan, 1985.

_ Moulay Rachid Abderzak , La loi et la femme au Maroc, UNN/Wider collection dirigée par Fatima Mernissi ,édition bouchère ,Alger,1991.

_ Saï Fatima Zohra, Les Algériennes Dans Les Espaces Politiques, ED Dar El Gharbe ,2002.

_ Smit Philip , Language, The sexes and society, Bosil Black Well, 1984.

_ Djedidi Tahar Labib, La langue arabe et la sexualité ,Revue :L'homme et la société N28,Avril _ Mai _ juin,1973

_ Yaguello Marina , Les mots et les femmes ,Payot ,Paris ,1978.

_ Les fous du langage, Des langue imaginaires et de leur inventures, Seuil, 1984.

الملاحق

استبيان

حول موضوع: لغة المرأة الجزائرية والعوامل المؤثرة فيها

المعلومات المذكورة في هذه الاستمارة سيتم استخدامها فقط لأغراض علمية للبحث المذكور أعلاه، أتمنى أن تجيبوا عن الأسئلة بكل دقة وموضوعية.

الأسئلة:

1ــ أسئلة عامة:

الفئة العمرية

☐ **20-24** ☐ **25-30** ☐ **40-31** ☐ **أكثر من 40**

الجنس

☐ **أنثى** ☐ **ذكر**

المهنة:

.....

1

2ــ المرأة الجزائرية والمجتمع:

كيف ترى نظرة المجتمع للمرأة الجزائرية ؟

☐ نظرة تقدير ☐ **نظرة دونية** ☐ **نظرة مساواة للرجل**

هل أعطى المجتمع الجزائري للمرأة الحرية الكافية

هل للتخطيط لمستقبلها بشكل حيادي ؟ (مواصلة التعليم

اختيار الزوج، العمل .....إلخ)

☐ **نعم** ☐ **لا** ☐ **نوعا ما**

أخرى.....

3 هل للعادات والتقاليد دور في تهميش المرأة في المجتمع؟

☐ **بنسبة كبيرة** ☐ **نوعا ما** ☐ **لم تؤثر في ذلك**

4 2ـ المرأة الجزائرية والدين:

ـ كيف ينظر الدين للمرأة؟

نظرة تكريم ☐ ☐ نظرة تحقير

ـ حسب رأيك هل الدين من ظلم المرأة أم الفهم والتأويل الخاطئ لتعاليمه؟

ـ .....

3ـ المرأة الجزائرية والقانون:

5

ـ هل القانون الجزائري أنصف المرأة؟

نعم أنصفها ☐ لم ينصفها ☐ لست مطلعا على القوانين ☐

ـ هل المرأة الجزائرية واعية بحقوقها القانونية؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

6 ـ هل يتم تطبيق هذه القوانين في الواقع؟

نعم يتم تطبيقها ☐ لا بقيت مجرد حبر على ورق ☐ يطبق البعض منها ☐

4ـ المرأة الجزائرية والإعلام:

7

ـ هل يسلط الإعلام الجزائري الضوء على قضايا المرأة ومعاناتها ؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

8

ــ كيف يظهر الإعلام الجزائري المرأة؟

	قيادية		ربة بيت		مكملة للرجل

أخرى.....

9

ــ من خلال متابعة وسائل الإعلام الجزائرية هل لفت انتباهك إعلاميات برز دورهن في تغطية الأخبار؟

	كثيرا		قليلا		لا

10 5ــ المرأة الجزائرية و السياسة:

ــ هل نالت المرأة الجزائرية حقوقها السياسية في الجزائر؟

	نعم		نالت البعض من هذه الحقوق		لم تنل حقوقها بعد

11

ــ هل يتقبل المجتمع الجزائري تولي المرأة للمناصب القيادية؟

	نعم		أحيانا		لم يستطع تقبل ذلك

12 ــ ما رأيك في الأداء السياسي للمرأة الجزائرية؟

	جيد		متوسط		ضعيف

المصطلحات النسوية الواردة في الرسالة

النسوية:

حركة النساء من أجل التحرر من سلطة المجتمع الأبوي، وهي ذات مفهوم سياسي، تسعى للنضال ضد التمييز الجنسي وإلى تحقيق المساواة بين الجنسين وتعمل على دراسة تاريخ المرأة وإلى تأكيد حقها في الاختلاف وإبراز صوتها وخصوصياته.

الأنثى:

هي المرأة كائن بيولوجي أي (الطبيعة).

الأنوثة:

مفهوم حضاري وتركيب ثقافي يقصد به التربية، ويدل على التركيبات الاجتماعية المشكلة من أنماط الجنس والسلوكات التي تفرضها مبادئ ثقافية واجتماعية معينة.

الجنس:

تحيل كلمة جنس على الفوارق البيولوجية بين الذكور والإناث وإلى الفرق الظاهر بين الأعضاء الجنسية، وكذا إلى الفروق في ارتباطها بوظيفة الإنجاب.

الجندر:

الأدوار والاختلافات التي تقررها وتبنيها المجتمعات بين الرجل والمرأة ، ويعني العلاقات والأدوار والسلوك المناسب الذي يحدده المجتمع لكل من الرجل والمرأة مسبقا في ضوء

موروثات اجتماعية ومنظومة ثقافية تضم مجموعة من العادات والتقاليد والقيم السائدة في مجتمع ما وفي فترة زمنية معينة .

العائلة الأموومية (المجتمع المتريكي):

هي أول وحدة إنسانية متكاتفة عرفتها البشرية وفي هذا المجتمع الأمومي المتمركز حول الأم تبوأت المرأة عرش الجماعة دينيا وسياسيا واجتماعيا .....فقد كانت بحق المنتج الأول في الجماعة.

البطركية أو الأبوية:

سيطرة الأب على العائلة، فالأب هو المحور الذي تنتظم حوله العائلة، إرادته مطلقة، وتعني سلطة الرجل على المرأة، كما تمثل السيطرة المطلقة للذكر على مناشط الحياة ، وخضوع المرأة سيطرته.

الكتابة النسوية:

هي كتابة إبداعية مرتبطة بطرح قضايا المرأة والدفاع عن حقوقها، وهي مرتبطة كذلك بالحركات النسوية وبصراع المرأة التاريخي الطويل للمساواة بالرجل، وهي تختلف عن كتابة الرجل و لها خصوصيات تميزها.

النقد النسوي: يتطرق النقد النسوي بالتحليل والنقد للأدب النسوي المتصل بحركات النساء المطالبة بالحرية والمساواة الاجتماعية والسياسية والحقوقية والاقتصادية ، فهو يعمل على تحليل ومقاربة النصوص الأدبية من وجهة نظر المرأة ذاتها ، وينطلق من منطلق الدفاع عن قضيتها وحقوقها .

الناقدات الواردات في الرسالة

بنمسعود رشيدة:

ناقدة وباحثة مغربية،أستاذة بجامعة محمد الخامس، لها كتاب نقدي مهم (المرأة والكتابة، سؤال الخصوصية وبلاغة الاختلاف) صدر سنة 1994، وكتاب (جمالية السرد النسائي) صدر سنة 2006، إلى جانب مقالات نقدية منشورة في دوريات مختلفة.

دوبوفوار سيمون:

ولدت بباريس سنة 1908، فيلسوفة وروائية وناقدة فرنسية لخصت فكرها النسوي في كتاب (الجنس الثاني) سنة 1949 وكان هذا الكتاب نص تأسيسي للنسوية المعاصرة، كما كتبت العديد من الروايات والمقالات والسير الذاتية.

دو بيزان كريستين:

شاعرة ومؤلفة من أواخر العصور الوسطى، ولدت سنة 1363 بالبندقية وقاومت ما كان يعرف بكره النساء أو الميسوجينية، والأفكار النمطية السائدة في الثقافة المنتشرة في أواخر العصور الوسطى عاشت في فرنسا وكتبت باللغة الفرنسية.

روبين لاكوف :

مولودة بتاريخ 7نوفمبر 1942، أستاذة اللغويات في جامعة كاليفورنيا يرجع لها الفضل في تأسيس فرع دراسات اللغة والنوع من خلال كتابها الذي نشر سنة 1975، بعنوان (اللغة ومكانة المرأة).

زليخة أبو ريشة:

من مواليد 1942 بعكا، أديبة وناقدة أردنية وصحفية، عملت أستاذة جامعية وعضو في في عدد من المنظمات النسوية الأردنية والعربية ورئيسة لمركز دراسات المرأة بعمان من أهم مؤلفاتها (اللغة الغائبة نحو لغة غير جنسوية) صدر سنة 1996.

السعداوي نوال:

من مواليد 1931، طبيبة أمراض صدرية، وطبيبة أمراض نفسية، كاتبة وروائية وناقدة مصرية، دافعت عن حقوق الإنسان وعن حقوق المرأة، أسست جمعية تضامن المرأة العربية سنة 1982، من مؤلفاتها (المرأة والجنس) صدر سنة 1972.

غوز أوليمب:

كاتبة مسرحية فرنسية وناشطة سياسية ولدت سنة 1748 بفرنسا، من أوائل المطالبات بحق المرأة الفرنسية في المساواة بالرجل من خلال إعلانها الخاص بحقوق المرأة والمواطنة، أعدمت بالمقصلة خلال عهد الإرهاب لمهاجمتها نظام الحكومة الثورية .

فرييدان بيتي:

من مواليد 1921 بواشنطن، كاتبة ونسوية أمريكية، قامت بتأسيس المنظمة الوطنية للنساء، من أهم مؤلفاتها (اللغز الأنثوي) خاضت معارك من أجل حصول المرأة على حقوقها الانتخابية كاملة.

فواز زينب:

أديبة لبنانية، شاعرة ومؤرخة، شغلت الحياة الثقافية والأدبية في مصر خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، من الرائدات اللاتي تجرأن على الكتابة الأدبية وروايتها (حسن العواقب) أول رواية عربية .

كاميرون ديبورا:

مولودة بتاريخ 10نوفمبر 1958، ببريطانيا، باحثة في اللسانيات أستاذة اللغة والاتصال بجامعة أكسفورد ومهتمة بعلم الاجتماع ، من أهم كتبها (النسوية والنظريات اللسانية).

كريستيفا جوليا:

لغوية فرنسية من أصل بلغاري، اهتمت بالنسوية والكتابة عن المرأة في منتصف السبعينيات، من أعمالها (النساء الصينيات) وصدر سنة 1977، و(زمن النساء الرغبة في اللغة) سنة 1980، و(قوى الخوف) 1982.

لاكوف روبين:

مولودة بتاريخ 7نوفمبر 1942، أستاذة اللغويات في جامعة كاليفورنيا يرجع لها الفضل في تأسيس فرع دراسات اللغة والنوع من خلال كتابها الذي نشر سنة 1975، بعنوان (اللغة ومكانة المرأة).

المانع سعاد عبد العزيز:

كاتبة روائية وناقدة سعودية، تعمل أستاذة بقسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود من أهم مقالاتها النقدية (النقد الأدبي النسوي في الغرب وانعكاساته في النقد العربي المعاصر) بالمجلة العربية للثقافة سنة 1997.

المرنيسي فاطمة:

من مواليد 1940، بمدينة فاس المغربية، كاتبة نسوية وعالمة اجتماع كتبها ترجمت لعدة لغات، تهتم كتاباتها بالإسلام والمرأة ناضلت من أجل المساواة وحقوق النساء، من مؤلفاتها (أحلام النساء الحريم)، و (ما وراء الحجاب).

مورغان روبين:

من مواليد فلوريدا سنة 1941، كاتبة وشاعرة وصحفية ونسوية راديكالية أمريكية، من مؤلفاتها : المرأة الجديدة سنة1969 ،وعالم المرأة سنة 1992.

ميشال لويز:

مناضلة فرنسية عملت كمدرسة ومسعفة، شاعرة وكاتبة وصحفية ولدت في فرنسا سنة 1830.

ميليت كيت:

من مواليد 1934، ناقدة نسوية أمريكية معاصرة، أحدث كتابها (السياسات الجنسية) الذي صدر سنة 1977 ثورة من حيث العلاقة بين الجنسين .

وولستونكرافت ماري:

كاتبة بريطانية ولدت سنة 1759، فيلسوفة ومناصرة لحقوق المرأة كتبت عن تاريخ الثورة الفرنسية، أدب الأطفال.

ياغيلو مارينا:

أستاذة اللسانيات، وناقدة نسوية من كتاباتها في هذا المجال (الكلمات والنساء) صدر سنة 1987، و(حمقى اللغة: المتخيلة ومخترعوها) سنة 1984 و(جنس الكلمات) صدر سنة 1989.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة.....4

الفصل الأول: العوامل المؤثرة في لغة المرأة (الأبعاد المختلفة لتشكل التصورات النوعية)

1) المجتمع والمرأة تحديد الأدوار والمواضع.....**11**

2)المرأة في الموروث الإنساني.....**33**

3)المرأة والمعيار الديني والإيديولوجي.....**55**

4)الجنس محور تشكل التصورات النوعية.....**68**

5)المرأة والخطاب القانوني والسياسي.....**77**

6)المرأة في الخطاب الإعلامي.....**112**

الفصل الثاني:الانتفاضة النسوية

1)الحركات النسوية ومقاربة النوع.....**138**

2)المرأة والكتابة.....**174**

3) خطاب المرأة.....225

الفصل الثالث: الأنوثة/النوع/ اللغة

1)الخصائص التي تميز لغة المرأة.....232

2)موقع المرأة في اللغة العربية.....250

خاتمة.....282

قائمة المصادر والمراجع.....288

الملاحق 299

Résumé de la thèse

La préoccupation sur le langage de la femme comme une entité particulière, spécifique et différente sur le langage de l'homme ne connait son essor que dernièrement.

Les recherches sur la différence langagière entre les deux sexes connaissent un grand bond dans le domaine des études sociolinguistiques chez les savants occidentaux d'ailleurs plusieurs travaux ont vu jour grâce à l'apparition des mouvement féministes et l'évolution du genre sociale qui se définit comme étant une série d'idées, de croyances sociales, d'images et principes de l'homme et de la femme dans la société. Cette transformation concerne même les statuts et les activités dans toutes les sociétés' elle met l'accent sur le combat de la femme contre l'inégalité qu'elle subit devant l'homme ,le combat de cette dernière pour la liberté et l'égalité entre les deux sexes, mais aussi, la destruction de toute forme de tendance langagière masculine ,et l'aspiration vers un langage neutre qui représente les deux sexes en même temps.

Après avoir consulté les différents travaux sur le comportement langagier et la différence entre des deux sexes, nous avons constaté que ces derniers constaté que ses derniers concernent les sociétés occidentales et par conséquent s'appliquent sur leurs langues, La langue arabe quant à elle ne bénéficie que rarement de ce genre d'études qui traitent la réalité des différences langagières entre les deux sexes ,et qui essaient de bannir la partialité langagière et les causes qui favorisent son existence .

Nous nous sommes concentres dans la présente recherche, sur l'étude du langage de la femme algérienne en particulier et des facteurs qui peuvent agir sur elle comme la société , la culture, la

tradition , la politique et les média, et c'est un sujet qui ,à notre connaissance , n'a jamais été étudié , or les recherches antécédentes sur la femme se sont plutôt penchés sur le langage littéraire seulement (la femme créatrice , la femme en tant que sujet d'écriture et de création), c'est la raison pour laquelle nous avons décider de nous intéresser à ce thème afin de déceler les particularités du langage de la femme en générai et de la femme algérienne en particulier, et d'encourager par la même occasion des travaux de recherche futurs.

L'objectif de notre recherche consiste à répondre aux questions suivantes :

La place de la femme algérienne dans la langue .

La réponse à cette problématique va nous conduire inévitablement aux questions suivantes :

Existe_ il réellement un langage féminin ? Et s'il existe, quelle sont ses particularités ? Ou se situent les différences langagières entre les deux sexes ? Quels sont les facteurs qui encouragent sa création ?Est _ce que le genre social peut rendre justice à la femme langagièrement ?

Est _ce que la langue arabe est une langue de favoritisme ? Ou alors ce sont ses utilisateur qui le sont ? Quels sont les éléments qui encouragent ce favoritisme ?

Quelles sont les particularités du langage de la femme algérienne ?

Quelles sont les facteurs qui agissent sur elle ?

Notre travail se compose de trois parties : dans la première , nous avons cherché les facteurs sur le langage de la femme comme la

société , la culture , la religion , la politique , la loi, les médias et autres , nous avons accompagné cette partie d'un rapport qui démontre l'impact de ses facteurs cités sur sa langue.

Par ailleurs, nous avons parlé dans la deuxième partie de la révolution des femme dans le vingtième siècle à travers les mouvements féministes dans le monde occidental , dans le monde Arabe et en Algérie ; et dans la recherche de la révolution de la femme arabe et algérienne qui est apparue dans ses écrits , ses critiques et ses discours. Enfin, dans la troisième partie, nous avons suivi de prés les particularités langagières qui caractérisent le langage de la femme ,décelés par les analystes, à partir d'une étude sur le parlé quotidien et les moyens de communications non prononcés, et nous sommes tombés sur l'idée du favoritisme langagier à partir de l'analyse de la place de la femme dans la langue arabe entre les supporters du favoritisme masculin de la langue, au détriment de la femme, et les opposants.

Nous avons utilisé dans notre travail la méthode des travaux pratiques bâti sur la description et l'analyse des phénomènes. Notre bibliographie comporte des sources et références anciennes et modernes afin de découvrir les regards ultérieurs sur ce thème ; elle comprend aussi des références et des travaux étrangers, vu que notre thème a été beaucoup plus étudié dans d'autre langue.

Nous espérons au-delà de répondre aux innombrables préoccupations qui nous intéressent, que notre modeste travail va participer amplement à l'étude sociolinguistiques en Algérie.